

الإعجاز في القرآن الكريم

- دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية -

الدكتور

محمد كاظم حسين الفتلاوي

كلية التربية / جامعة الكوفة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

الكتاب:..... الإعجاز في القرآن الكريم
المؤلف:..... الدكتور محمد كاظم حسين الفتلاوي
الطبعة:..... الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
المطبعة : مطبعة الثقلين / النجف الأشرف

التصميم والإخراج الفني
محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
مؤسسة الضمان للإنتاج الفني

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥ م

الحقوق محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

«من إعجاز القرآن أن يظل مطروحاً على
الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل، ثم يبقى
أبداً رجباً لمدى سخي المورد، كلما حسب جيلٌ
انه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيداً وراء مطمح
عالياً يفوت طاقة الدارسين»

الدكتورة
عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)



(٦) الإعجاز في القرآن الكريم

الإهداء

الى مظهر عجائب القرآن وأسراره..

معجزة الكون الخالدة..

حفيد سيدنا محمد ﷺ.

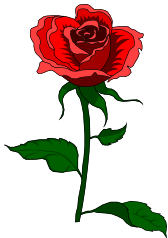
مولاي ثاني عشر الأئمة من آل محمد ﷺ.

أبي القاسم الحجة بن الحسن المهدي عجل الله فرجه.

سيدي أقدم هذا الجهد المتواضع

والعمل المخلص.

محمد كاظم حسين



(٨) الإعجاز في القرآن الكريم

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	المحتويات
١٣	المقدمة
٢٧	الفصل الأول : الإعجاز وأهمية العلم في القرآن الكريم
٢٩	المبحث الأول : مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم
٢٩	أولاً: الإعجاز في اللغة والاصطلاح
٢٩	ثانياً: معنى إعجاز القرآن الكريم
٣٢	ثالثاً: المعجزة في القرآن الكريم
٣٣	رابعاً: شروط المعجزة
٣٤	خامساً: المعجزة والقانون الطبيعي
٣٦	سادساً: التلازم بين وجود المعجزة وبين المدعي للمنصب الإلهي

الصفحة	الموضوع
٣٨	سابعاً: أنواع المعجزة
٣٩	ثامناً: الفرق بين السبق في العلم والإعجاز
٤٠	تاسعاً: التحدي في القرآن الكريم
٤٣	عاشراً: مجال الإعجاز في القرآن الكريم
٥٦	المبحث الثاني: أهمية العلم في القرآن الكريم
٥٦	أولاً: دعوة القرآن الكريم إلى التعلم
٦٢	ثانياً: طبيعة الفطرة الإنسانية وقابليتها للتعلم
٦٥	ثالثاً: فريضة البحث العلمي
٧٢	رابعاً: نسبية المعرفة العلمية
٧٣	خامساً: نظرة القرآن الكريم المنهجية إلى العلوم الطبيعية
	الفصل الثاني: التفسير العلمي للقرآن الكريم
٨٣	المبحث الأول : علم التفسير للقرآن الكريم

الصفحة	الموضوع
٨٤	أولاً: تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح
٨٧	ثانياً: الفرق بين التفسير والتأويل
٩١	ثالثاً: شرف وأهمية تفسير القرآن الكريم
٩٣	رابعاً: شروط وآداب المفسر
٩٧	المبحث الثاني: التفسير العلمي
٩٧	أولاً: تعريف التفسير العلمي
٩٩	ثانياً: نشأت التفسير العلمي
١٠٥	المبحث الثالث: المؤيدون والمعارضون لاتجاه التفسير العلمي
١٠٦	أولاً: المؤيدون من القدماء والمحدثين
١٢٠	ثانياً: المعارضون من القدماء والمحدثين
١٣٠	المبحث الرابع: ضوابط ومنهج التفسير العلمي للقرآن الكريم
١٣٠	أولاً: ضوابط الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم
١٣٢	ثانياً: المنهجية العلمية في التفسير العلمي

الصفحة	الموضوع
١٤٥	الفصل الثالث: التطبيق المنهجي للتفسير العلمي في الآيات الكونية (السماء والأرض)
١٤٩	المبحث الأول: مفهوم الكون
١٧٣	المبحث الثاني: الإعجاز والاستدلال العلمي بالآيات الكونية على وجود الله سبحانه وتعالى
١٧٦	أولاً: الاستدلال العلمي على وجود الله سبحانه وتعالى (الدليل العلمي الحسي)
١٨٠	١- الاستدلال العلمي بالآيات الكونية (آيات السماء)
٢٠١	٢- الاستدلال العلمي بالآيات الكونية (آيات الأرض)
٢١١	ثانياً: الاستدلال العلمي والعقلي
٢٣٥	الخاتمة
٢٣٧	المصادر والمراجع

المقدمة

بين يدي الكتاب:

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا إلى توفيقه على الحكم بالأمر الرشيد، وقوم نفوسنا بين الوعد والوعيد، وحفظه من تغيير الجهول وتحريف العنيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأكوان سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد..

يُعاني المسلمون اليوم من هجمات منظّمة، تستهدف زعزعة اعتقادهم بكتابهم، وترمي إلى إبعادهم عن تعاليمه، وتبغي إلى تربية جيل يرى أن التقدم والمدنية والحضارة والرقي والازدهار... لا يمكن لها أن تتحقق إلا إذا سار على نهج الغربيين، واتّبع سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، ذلك إن الغرب كان قد شهد في القرن العشرين تقدماً علمياً منقطع النظير، الأمر الذي جعله محط أنظار الجميع، لاسيما المتأخرين في ركب التقدم من بني البشر.

ولقد استغل الغربيون، ومن مآلهم من المسلمين، قضية ضعف المسلمين وتقهرهم، وتقدم الغربيين ومعرفتهم، للنيل من القرآن، وللبرهنة على عدم أهليته ومقدرته لمجاراة عصر العلم والاختراع، وزمن الاكتشاف والإبداع؛ إن لم يصل الأمر إلى اعتباره أساس تأخر المسلمين في سُلّم العلم والحضارة.

نقول بعض من مآلاً الغربيين من المسلمين، لأنه ظهر فريق من مفكري العرب أرادوا إقامة صرح العلمانية الأوروبية في قلب بلاد المسلمين، فكانوا يدعون إلى الفكر الحر الذي لا يحدد موقف الدين من الموضوعات العلمية والحضارية، بل لا يعطي أدنى قيمة للفكر الديني، على غرار ما حدث في أوروبا، فهذا الفريق من المفكرين يسعى للكيل للمسلمين بالمكيال ذاته الذي كال به الأوروبيون لدينهم، فكان أن أثر (في ثقافات الجيل الحاضر بصورة واضحة للعيان)^(١).

وتكمن أهمية هذا الكتاب أيضاً في ما أوجزه احد الباحثين من محاولات ومؤامرات تحاك ضد الإسلام لإخراجه عن أصالته وقيمه، وعدّها تحديات، أهمها^(٢):

أولاً: الحيلولة دون استتفاف المسلمين حياتهم على أساس الإسلام.

ثانياً: إثارة الالتباس بين القيم المتكاملة لردّها إلى (منهج فكر) يقوم على الانشطارية.

ثالثاً: طرح مناهج استحدثتها تحديات مجتمعات أخرى وجاءت نتيجة لتطور واسع طويل المدى، تم على مراحل ولم يتحقق دفعة واحدة.

رابعاً: محاولة تصوير المجتمع الإسلامي الحديث، والفكر الإسلامي الحديث وكأنهما مستقلين عن روابطهما التاريخية والثقافية.

خامساً: محاولة إسقاط قيم جذرية ودعائم قائمة وفرائض أساسية كالجهاد والالتزام والأخلاق والمسؤولية الفردية.

(١) د. بن عيسى باطاهر، قضية إعجاز القرآن عند مالك بن نبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد ٢٠، المجلد ٣١، ٢٠٠٢م، ص ١١.

(٢) ظ: أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١٢.

سادساً: محاولة تصوير الإسلام على انه نظرية: بينما هو منهج متكامل أما النظرية فهي عمل بشري يخضع للتغيير والإضافة والحذف، بينما المنهج الرباني على أساس الثبات في دعائمه مع اتساع آفاقه وأطره لتطور المجتمعات وتغير البيئات.

سابعاً: محاولة إيجاد تفسيرات جديدة للمقومات الإسلامية الأساسية عن طريق التأويل أو إخضاع النصوص.

ثامناً: محاولة إدخال مفهوم الترف والإباحية والتحلل والرفاهية المنحرفة على طابع الإسلام الذي يتميز بالأصالة.

وان اخطر التحديات التي يواجهها المجتمع الإسلامي على الصعيد العلمي هي تحديات التبعية وفقدان الذاتية، إذ الغاية القصوى من هذه الدعوات العلمانية والتحررية هي إضعاف المسلمين بدينهم، وزعزعة اعتقادهم بقرآنهم، حتى يصلوا إلى إن الدين يتعارض مع حاجات الحياة من جهة؛ أو إن دائرته لا تتعدى شؤون العبادات، فلا يهتم بالسلوك والمعاملات، وتنظيم المجتمعات، وبذلك يهملون دينهم، ولا يتقيدون بتعاليم قرآنهم، ويميل بعض الذين يهاجمون الإسلام إلى تسمية موقفهم بالعقلاني، ويزعمون أنهم من جماعة العقل الذين يرفضون كل ما يخالفه، ولا يضعون حدوداً له، ولا يمنعون من الشك في كل أمر، ولا يؤمنون بوجود مسلمات لا تُناقش، ومقولات مقدسة لا تُمس متخذين من مسميات الحداثة^(١) والمعاصرة^(٢) غطاءً لهم، فهم يضعون

(١) فقد عرف احدهم الحداثة ب(حالة وعي متغير، يبدأ في الشك فيما هو قائم، ويعيد التساؤل فيما هو مسلم به، ويتجاوز ذلك إلى صياغة إبداعية جذرية لتغيير حادث في علاقات المجتمع، ليجسد موقعاً من هذا التغيير، يصوغه صياغة تتجاوز الأعراف الأدبية للماضي، وتفيد من الكشوف الفكرية للحاضر). جابر عصفور، تعارضات الحداثة، مجلة فصول، مجلد١، عدد١، ١٩٨٠م، ص٧٥.

(٢) يرى الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: إن كثير من الكتاب العصريين وقعوا بالأخطاء والانحرافات، لاسيما أولئك الذين يتعاملون مع الشعار العصري المشبوه: (قراءة معاصرة). ظ: فقه

الإسلام في مواجهة العقل، وقيمون التعارض بينهما كأنه يكون الإسلام في ضفة
والعقل في الضفة الأخرى.

ولعلك عزيزي القارئ تلحظ إن كل مَنْ يحاول إن يصطنع معركة بين الإسلام
وبين العقل لا شك انه وأهم في دعواه، وانه يعيش بعقلية قرون التخلف، وعهود
الانحطاط حيث استخدم العقل بمعنى سلبي مضاد للدين، فقد ظن هؤلاء المدّعون أن
العقل يمثل النواحي التاريخية والعلمية في مواجهة الإلهوية^(١).

والأمر الآخر الذي يلجأ إليه هؤلاء الذين يزعمون إن ثمة معارضة بين الإسلام
والعقل، إلا وهي الاعتماد على الثقافة الغربية والتجربة التاريخية الأوربية، فيعتبرون
الكنيسة الكاثوليكية كالإسلام، وإنهم كأحرار أوربا أو أصحاب العقل فيها، والمعركة في
الشرق كالمعركة في الغرب، والنتيجة التي توصل إليها علماء أوربا يجب أن تكون
كالنتيجة التي سيتوصل إليها علماء الشرق؛ دون تدقيق في مدى صحة هذا التشبيه،
وفي مدى صحة إن تكون عناصر المعركتين واحدة^(٢).

ويخطئ من يحاول أن يطبّق على الدين الإسلامي المناهج الغربية التي طبقها
علماء الغرب على الدين في بلادهم، فما ينطبق هناك لا ينطبق هنا، وما يصلح
هناك قد لا يصلح هنا، فلكل مجتمع خصوصيته ومقولاته ومعاييره ومقاييسه
ومناهجه.

السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١٠، ١٩٩١م، ص٧. وللباحث وجهة نظر، ولا يتفق
كثيراً مع هذا الرأي، إلا بخصوص ما يتفق مع الشاهد.

(١) ظ: المؤلف، المنظور القرآني في بناء الإنسان - دراسة تفسيرية - ، اطروحة دكتوراه (نالت درجة
الامتياز)، كلية الفقه / جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م، فصل البناء العقلي، إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم
العقل في الفكر الفلسفي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م، ص١٣.

(٢) ظ: منير شفيق، الإسلام في معركة الحضارة، بيروت، دار الكلمة للنشر، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٣.

فما عاناه رواد الحركة العلميّة في أوربا، وأصحاب الاكتشافات العلمية من أمثال: كوبر نيكوس^(١) وغاليليو^(٢) وبرونو^(٣) وغيرهم، من محاربة رجال الدين لهم واضطهادهم، فمرد ذلك إلى ما شاع في أوربا قبل عصر النهضة وعصر الإصلاح الديني من مصادرة الحرية الفردية في المناقشة والمحاورة والرفض والقبول، والوقوف عند المفاهيم الخاطئة عن الإنسان والطبيعة والحياة... والتي ارتبطت بتعاليم الكنيسة القطعية التوكيدية، والتي تقدم نسقاً من التفسيرات التي لا تقبل تأويلاً أو تطويراً أو تعديلاً، على أساس أنها صادرة عن سلطة معصومة عن الخطأ، لذلك يجب الإذعان لها، والانقياد لتعاليمها، والاستسلام لمفاهيمها^(٤)، وبالمقابل فإن رواد العلم عند المسلمين وجدوا كل تشجيع وتبجيل وتعظيم وتقدير من قبل الجمهور ومن تصدى

١) نيقولا كوبر نيكوس (ت ١٥٤٣م) الذي احدث انقلاباً في مجالات العلم حين برهن ان الشمس تحتل مركز نظامنا الشمسي، والذي قال بدوران الأرض، لكن المجمع المقدس حكم بان مذهبه باطل مناف للكتب المقدسة، وقد جرت محاكمته وأجبر على الإقرار بما تراه الكنيسة؟ ظ: د. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصر، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ٢٢، دافيد براجاميني، الكون، ترجمة: دار الترجمة والنشر، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٣.

٢) غاليليو (ت ١٦٤٢م) الذي أرغمته محاكم التفتيش على الارتداد عن إيمانه بنظرية كوبر نيكوس وأمرت بتحديد أقامته في بيته لا يبرحه أبداً. ظ: د. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٣٧، دافيد، الكون، ص ١٥.

٣) برنو (ت ١٦٠٠م) الذي اعتقله مجلس تفتيش البندقية فأنكر برونو بعض أقواله وركع وطلب العفو عما بدر منه من أذلال، غير إن محكمة تفتيش روما سجته ست سنوات ثم أعدته حرقاً. ظ: د. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة، ص ٣٤.

٤) ظ: للمؤلف، مفهوم الحرية في الفكر الغربي، بحث غير منشور، ٢٠٠٧م، ص ١١. ومن الإنصاف القول: إن (لا هزيمة الكنيسة في الغرب تعني هزيمة المسيحية كدين، بل هي هزيمة الاستبداد باسم الدين، ولا سقوط الدولة العثمانية يعني سقوط الإسلام كفكر ودين، بل يعني سقوط الاستبداد باسم الدين)، علي الكوراني، ثمار الأفكار، ص ٦.

للأمر^(١) لما حباهم القرآن الكريم من حث على طلب العلم والاستزادة منه لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢)، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُحِشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣)، ومن مصاديق الآية الأخيرة هم العلماء الذين يعلمون أسرار الكون وأطواره، وأسباب اختلاف أجناسه وأنواعه وألوانه، وآيات الله وحكمه فيها، وهو يشمل أكثر العلوم والفنون أو جميعها^(٤).

وبهذا تلحظ سيدي القارئ إن الإسلام قد (وضع الإنسان العربي وجهاً لوجه أمام الطبيعة والكون بكل ما فيها من ظواهر وحركات وموجودات، فقد فتح الطريق السليم للبحث العلمي والتوجه إلى طلب العلم والمعرفة ابتغاء للفهم الصحيح للحياة والكون، والاستغناء كلياً عن الفكر الخرافي وما يحويه من أوهام وخيالات تتعارض مع العقلانية الهادية إلى العلم والعمل)^(٥)، وذلك لأن (الرافد الثاني العظيم للعقل بعد القرآن هو كتاب الكون، متضمناً، منارة للقادة الملهمين، الذين اجتباهم الله عز وجل، لكشف

(١) ولعلنا نجد هنا أو هناك - من المسلمين - ممن لم يفهم من الدين الإسلامي إلا رسمه ومن القرآن إلا شكله، يقف بوعي أو بلاوعي ضد أهل العلم والمتعلمين، مثيراً كل ما هو عائق - مادي ومعنوي - محافظين بذلك على مصالحهم الشخصية الضيقة متأثرين جهلاً بأنظمة وت أخرى تختصر وبتيارات فكرية ما انزل الله بها من سلطان. (المؤلف).

(٢) سورة طه، ١١٤ .

(٣) سورة فاطر، ٢٨، ومن الجدير بالذكر هنا (إن العلماء - بالمنطق القرآني - ليسوا أولئك الذين تحوّلت أدمغتهم إلى صناديق للآراء والأفكار المختلفة من هنا وهناك ومليئة بالقوانين والمعادلات العلمية للعالم وتلهج بها ألسنتهم، أو الذين سكنوا المدارس والجامعات والمكاتب، بل إن العلماء هم أصحاب النظر الذين أضاء نور العلم والمعرفة كل وجودهم بنور الله والإيمان والتقوى، والذين هم اشد الناس ارتباطاً بتكالييفهم مع ما يستشعرونه من عظمة المسؤولية إزاءها.)، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥٩/١٤ .

(٤) ظ: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٩، ١٩٧٩م، ص٢٤٦.

(٥) ظ: ياسين خليل، العلوم الطبيعية عند العرب، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٠م، ص١٧.

الأسرار وتعليم البشرية، حسب حاجة كل جيل ومستواه التحصيلي في مجال العلوم أو مستواه الفكري.

والله ﷻ، يعلم خلقه الأرضي، من جن وانس، بهذين الكتابين غير منفصلين، رابطاً الثاني بالأول هو القرآن المجيد، هادياً ومعلماً ومرشداً ومسدداً^(١).

وهي حقيقة حيث (ما كان لبشر، أن يعلم هذه الأسرار، وهذه الحقائق الفلكية قبل القرآن المجيد، ولا حتى في زمن القرآن، ولا حتى بعد مئات السنين من القرآن، حتى يأذن الله ﷻ بالكشف تدريجياً عما في القرآن وفي الكون : قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾^(٢)(٣).

ولذلك كان حرياً أن اتجهت الدراسات الحديثة نحو دراسة قضية الإعجاز في القرآن الكريم بمنهج جديد فيه مباينة واضحة لما كان سائداً عند الدارسين القدماء، وذلك بالاستفادة من المعطيات العلمية والثقافية التي شهدتها العصر الحديث، فقد كان لثورة العلم اثر في بروز تلك الاكتشافات الكبيرة في ميدان العلوم التطبيقية، وحتى في مجالات الفنون، والآداب، والنظريات النقدية، وأصبح المنهج العلمي هو المتبع في الدراسات الجادة المتسمة بالموضوعية، والأصالة والمنهجية، ومع انه لا يمكن الاستغناء عن الدراسات القديمة - اعني بها الدراسات العلمية - عند البحث في قضية الإعجاز القرآني بالذات^(٤)، نظراً لأهمية هذه الدراسات ورحابة نتائجها، واتسامها بالعمق والإحاطة مع دقتها، إلا إن البحث في هذا المجال مستمر، ولا يمكن

١) عبد الكريم آل شمس الدين، العقل الإسلامي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٢٢٧.

٢) سورة يونس، ٣٩.

٣) عبد الكريم آل شمس الدين، العقل الإسلامي، ص ٢٢٦.

٤) للتوسعة في هذا الموضوع ظ: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الإعجاز البياني للقرآن،

أن يقف عند حد ينتهي إليه، ولذلك أضافت بعض الدراسات الحديثة نظريات جديدة، وتأملات عميقة، تعضد تلك الجهود القديمة، وهي تنفق - أيضاً - مع الروح العلمية في العصر الحديث، وتلبي حاجات الناس في عصر تباينت فيه الثقافات، واختلفت فيه المناهج، وتغيرت فيه الأذواق الأدبية والميول النفسية.

وإذا كان القرن الخامس الهجري هو العصر الذهبي الأول لمسألة إعجاز القرآن، نظراً لما قرّره الباقلاني، والجاحظ، والجرجاني وغيرهم من أفكار ونظريات جليلة في تعليل الإعجاز، وأصبحت مرجعاً لمن جاء بعدهم من الدارسين والباحثين، فإن القرن الرابع عشر الهجري هو العصر الذهبي الثاني، وذلك لما أضافه العلماء والدارسين المحدثون من آراء مبتكرة، وتعليقات جديدة في سياق البحث عن سر الإعجاز ومكمنه في القرآن، حتى تقدمت قضية الإعجاز شوطاً كبيراً إلى الأمام، والسبب في ذلك يرجع إلى ما قدمه هذا العصر للعلماء من معارف، واكتشافات، وعلوم حديثة لم تكن معروفة من قبل، ومايسره من مناهج في البحث ساعدت على الكشف عما في القرآن من معان وأسرار لم يعرفها السابقون.

ولعلي اتفق إلى حد ما مع الباحث والمفكر الإسلامي مالك بن نبي حيث ذهب إلى إن المسلم اليوم فقَدَ فطرة العربي الجاهلي، وإمكانات عالم اللغة في العصر العباسي، فأصبح هذا المسلم مضطراً إلى إن يتناول تفسير القرآن في صورة أخرى، ويوسائل أخرى^(١)، على إن القرآن الكريم لم يفقد بذلك جانب الإعجاز، لأنه ليس من توابعه، بل من جوهره.

حيث إن على المتعلم، لكي يصبح عالماً، إن يفهم القرآن بالتفسير مستعيناً باللغة والنحو، وإن يحكم فهمه بالمنطق، وإن يعلم أحكامه بالفقه وإن يستخلصها بالأصول وإن يكشف عن عالم السماء وما فيه من كواكب بالفلك، وعن عالم الأرض

(١) ظ: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص ٦٧ .

ومافيه من بحار وانهار وسهول وحيوان ونبات بعلم الطبيعة، وان يسير في الأرض ويكشف عن مسالكها ومعالمها بعلم الجغرافية، وان يتقصى أخبار الماضيين ويتتبع مسيرة أحداثهم بعلم التاريخ وان يعرف عوامل الصحة وأعراض المرض وعلاجها بالطب، إلى غير ذلك من العلوم المتصلة بها أو المتفرعة عنها، وبذلك كان القرآن هو القوة الدافعة لطلب العلم.

وبهذا نلاحظ إن المعرفة بهذه العلوم لا يمكن أن تستوي، وقد يزيد بعضها على بعض في العلم، فان على العالم أن يُلمّ بمعرفة كافية فيها إلى جانب العلم الذي اختص به^(١).

والمؤلف لا يزعم إن القرآن دائرة معارف علمية، ولم يُنزل ليكون كتاب علم فلكي أو طبي أو كيميائي.. وإنما مجاله ومقاصده النفس الإنسانية والحياة الإنسانية، فهو يقصد (تهذيب النفوس وتطهير الباطن من أرجاس الطبيعة، وتحصيل السعادة، وتوضيح كيفية السير والسلوك الى الله)^(٢)، ووظيفته أن يُكون تصوراً عاماً للوجود والارتباط بالخالق عز وجل، ويبين وضع الإنسان في هذا الوجود وصلته بربه، وان يقيم على أساس هذا التصور نظاماً للحياة، يتيح لبني البشر استخدام كل طاقاته، ومنها

^(١) وعلى سبيل المثال نلاحظ: إن يعقوب الكندي وأبو بكر الرازي كانا إلى جانب شهرتهما بالطب عالين بالفلسفة والفلك والكيمياء والموسيقى، وكان ابن سينا فيلسوفا وطيبيا وفقهيا وشاعرا، وكان الفارابي إلى جانب شهرته بالفلسفة موسيقيا وعالما بالطب، وكان البيروني إلى جانب علمه بالفلك عالما بالفلسفة والرياضة والجغرافيا، وأبو حنيفة الدينوري إلى جانب علمه بالفلك والرياضة عالما بالنبات، وابن النفيس إلى جانب شهرته بالطب عالما بالأصول والحديث، والزمخشري إلى جانب علمه بالتفسير جغرافيا وعالما باللغة والأدب، وجمع ابن رشد - الحفيد - (ت ٥٩٥هـ) الشهرة في الفقه والقضاء والطب والفلسفة، وغيرهم... للتوسعة ظ: يوسف الحاج احمد، موسوعة الإعجاز العلمي، دار ابن حجر، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ١١.

^(٢) روح الله الخميني، آداب الصلاة، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، طهران، (دت)، ص ١٨٦.

الطاقة العقلية التي تعمل في مجال البحث العلمي، وذلك ضمن الحدود المتاحة للبشر، وما ورد من الآيات إنما ورد بقصد التنبيه إلى ما في خلق العالم من آثار الإرادة والقدرة والعلم والحكمة والإتقان والالتزان الدالة على وجود الله ﷻ، النافية للتكوين بالمصادفة:

وكذلك يُمكن هنا الركون الى القول بأن (علوم الطبيعة تكمل توجهات معاني الحق في التشريع، باعتبار إن العالم المادي جزء من تكوين الطبيعة والحياة في كيان الإنسان، الذي يهدف التشريع لإمضاء سنن الله ﷻ في خلق الإنسان، كما إن الواقع الذي يعيش فيه الإنسان، هو هذا العالم المادي)^(١)، ومن ثم فإن (المصادفة لم يكن لها دخل في تكوين الكون، لان هذا العالم العظيم خاضع للقانون)^(٢).

إذن فمرامي الآيات الكونية ابعده من التأصيل العلمي لأنها جاءت لترسيخ الإيمان من خلال السياق العلمي الذي تتبناه معظم العقول البشرية لأنه من باب الإقناع الحسي والتجريبي الدامغ في الحياة الواقعية للإنسان؛ وقد مثلت هذه الآيات كمائن رصدية للظواهر الكونية في آي القرآن مثل آيات الليل والنهار والنجوم والشمس والقمر والسموات والأرض بما فيها من غيب وشهادة لانطواء (كلام الله على الحكم كلها علميها وعملها.. بدلالة قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿..مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)، وقوله

(١) ظ: حيدر حسين الكاظمي، موسوعة أهل البيت ﷺ الكونية - الظواهر الطبيعية-، دار سحر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، ٤/٢٣.

(٢) ظ: كرسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار القلم، بيروت، ص١٨٩.

(٣) سورة يس، ١٢.

(٤) سورة يوسف، ١١١.

تعالى: ﴿..مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾^(١)^(٢)، وبلحاظ الانطباق بين التكويني والتدويني تحدث الانطوائية أو الإنهاء الكوني بطي السماء، فهو ينطوي حقاً وصدقاً بلحاظ كلمات الله التامات الفعالات، لذا كان الامتداد أكثر وضوحاً في هذه الآيات لأنها بغير أسباب نزول، ونحن نعلم إن هذه الأسباب نافعة في النكته التفسيرية، لكنها هنا في هذه المباحث لا نحتاج إليها وعندها تؤخذ تاريخية الإعجاز بلحاظ تاريخية النص المعجز وليس دليلاً على استمرارية النزول، لذا نحقق بهذا إن هذه الآيات تقع مع قسم الآيات (التي نزلت لأجل الهداية والتربية والتنوير دون وقوع سبب معين - في عصر الوحي- أثار نزولها...)^(٣) لذا فان الوظيفة الرئيسة للإعجاز- العلمي في هذه الآيات يكمن في حشد الحالة الإيمانية في النفس الإنسانية وإنمائها من دون النظر إلى الوظيفة الثانوية وهي التحدي.

وكامنية هذه الآيات بلحاظ إن الله ﷻ يعلم إن الإنسان سيعبد العلم اعتماداً على ما أوتي منه ويغتر به ملحداً بربه كما هو واقع حال معظم علماء الغرب في القرن الحاضر فهم علمانيون - كما مر ذكره - وثيقتهم العلم المشاع بالعالم فلا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لذا كانت مهمتها عن طريق الثابت الاعجازي الخاص بالمحور العلمي الذي يتسم بانطوائه على هذه الآيات الكونية، إذ التبصر في هذه الآيات ملحوظاً في القرآن عبر التدبر العقلي تخصيصاً أي إن الفتح العلمي للآية الكونية هو محورها الأساس في بحثها القرآني، بما يدل على إن النكته العلمية لا تتفك عن العرض القرآني للآية الكونية، وبما إن العقل البشري هو وساطة لإظهار

(١) سورة الأنعام، ٣٨ .

(٢) الراغب الأصفهاني، مقدمة التفسير، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ، ص ٤١٣ .

(٣) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، مطبعة شريعت، قم، ٣، ١٤٢٦هـ، ص ٢٢٧، ظ: المؤلف، محاضرات في علوم القرآن، القيت على طلبة المرحلة الاولى / كلية التربية المختلطة / جامعة الكوفة،

الكمون القرآني وإخراجه فكان ظهورها التدريجي من خلال كمونها ألتحقي وبأمر الله عبر عقول قسم معين من عباده.

وعلى ما تقدم: فلو اطلع الملحدون أو أنصاف الإيمان على هذه الكمائن الاعجازية لأزتهم أزا، وعرفتهم إن آخر مبتكراتهم العلمية قد صحّ بها قبل ألف واربعمئة سنة في جنبات صحراء قريش في جزيرة العرب.

وأخيراً.. لا يدعي المؤلف فيما خطه في هذا الكتاب الابتكار أو الأصالة البحثية، إلا انه يزعم بذل الجهد والطاقة بقدر ما أوتي لإخراج هذا الكتاب بصورة علمية أكاديمية مبرهن فيه على فرضية البحث في الدعوة إلى سبيل الله ﷻ من خلال - الإعجاز في القرآن الكريم ، دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية - وبذلك أكون موافقاً للدكتور احمد الشلبي في قوله: (وليس الابتكار المطلوب في الرسائل هو كشف الجديد فحسب؛ بل هناك أشياء أخرى غير الكشف يشملها لفظ الابتكار، وذلك مثل ترتيب المادة المعرفية ترتيباً جديداً مفيداً، أو الاهتداء إلى أسباب جديدة لحقائق قديمة، أو تكوين موضوع مُنظم من مادة متناثرة أو نحو ذلك)^(١).

وتعلم عزيزي القارئ ان الكتابة في هذا الموضوع على ما فيها من إفادة وعمق وجدة كان بها حاجة منتظرة إلى التآني المتناول والتدبر الفائق والاستيعاب الدقيق، وهذا ما كنت احوم حوله مثابراً مستقصياً بالقدر الممكن قرآنياً وعلمياً متوكلاً على الله ﷻ معتمداً على أمهات المصادر والمراجع مستسهلاً الصعاب والعقبات التي لاقيتها

(١) ظ: كيف تكتب بحثاً أو رسالة؟، إيران، ط٨، ١٩٧٤م، ص٢٠.

خلال هذه الرحلة العلمية^(١)، عامداً إلى الطرح بالمنهج الأكاديمي وما استفادة الباحث في دراسته خلال تحضيره للشهادة الاكاديمية^(٢)، فكان أن حظي البحث بالإشراف من قبل أساتيد ذو باع بالإشراف - لهم مني خالص الاحترام والامتنان -، فكان الفصل الأول الذي تضمن معنى الإعجاز وماهيته في القرآن الكريم وهنا كان لا بد من معرفة موقف القرآن الكريم من العلم ليكون المبحث الثاني فيه عن أهمية العلم في القرآن الكريم، وبيان فضله وحثه على طلبه وهو خلاف ما يزعمه بعضهم أو من التبس عليهم فهم نصوص الآي الكريم في موقف القرآن من العلم والتعلم، وإتماماً لفرضية البحث كان الفصل الثاني تحت عنوان الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، وكان حافلاً بعد التمهيد فيه بأدلة المؤيدين والمعارضين لمثل هذا المنهج وعرض أدلت كل منهم ومناقشتها، وبيان ما خلص إليه المؤلف من رأي، أما الفصل الثالث فكان نماذج من الآيات الكونية - السماء والأرض - وطرحها على طاولة النظر العلمي التجريبي، وتوظيفها في تعزيز الإيمان بخالق الوجود ﷻ وذلك من خلال إعجازها والسبق القرآني للنظريات العلمية الحديثة.

أملاً أن تكون كتابة ما خطه المؤلف صحيحة في مضمونها واضحة في مؤداها: لا سيما وان عدم الدقة العلمية محتملة في هذا الباب وذلك لاضطراد التقدم المعلوماتي في استكناه معالم الآيات الكونية ووجوهها يوماً بعد آخر فضلاً عن غلبة

(١) ولم تقتصر هذه العقبات والصعاب على شخص المؤلف فحسب، بل قد شاركه في هذه الرحلة العلمية بالصبر أهل بيته متحملين مني كثير من تعكر المزاج والانشغال عنهم وعن تلبية احتياجاتهم إلى حد ما، وهموم البحث التي لا يكاد الباحث - أي باحث - أن يفك عنها، مشاطرين إياي كثير من السرور في اكتشاف ما يدعم فرضية بحثي هذا.

(٢) كان هذا الكتاب وفق المنهج الأكاديمي في إعداد الرسائل والاطاريح الجامعية، وقد أنجزت أغلب مباحثه ابان حصولي على شهادة الماجستير ٢٠٠٨م، فكان ان وضعت عليه فيما بعد بعض اللمسات اظنها نافعه.

(٢٦)..... الإعجاز في القرآن الكريم

التعبير العلمي وإشكالاته على كثير من مراجع الموضوع وآفاقه وتعليقاته، وصدق الله العلي العظيم حيث قال:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

واني لأرجو أن أكون قد حققت جانباً قريباً في تدبر الإعجاز القرآني، نسأله ﷻ السداد والصواب. وهو ولي التوفيق.

المؤلف

^(١) سورة النساء: ٨٢، ظ: في تفسيرها، الطباطبائي (ت١٤١٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٩/٥.



الفصل الأول

الأعجاز وأهمية العلم
في القرآن الكريم



الإعجاز في القرآن الكريم (٢٨)

القرآن الكريم : هو كتاب الله الجليل، ذو الآيات البيّنات، والإعجاز المبدع، تتجسم فيه أعلى درجات التصوير الفني، والنثر الرائع، لا يدانيه أسلوب، ولا يناظره بيان ولا تبيين، انزله الله ﷻ على رسوله الكريم محمد ﷺ.

وستناول في هذا الكتاب، ما يتصل ببحث مفهوم الإعجاز من خلال محاور متعددة منها، تعريف الإعجاز، عناصر المعجزة، المعجزة والقانون الطبيعي، الفرق بين السبق العلمي والإعجاز، نوع التلازم بين المعجزة وبين صدق المدعي للمنصب الإلهي، التحدي في القرآن.

المبحث الأول:

مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم

ويجدر بنا أن نشير في هذا المبحث إلى معنى كلمة (عجز) في كل من اللغة والمصطلح.

وقد تلاحظ عزيزي القارئ في معاجم اللغة العربية أن علماء اللغة - خاصة أصحاب المعاجم - قد ركزوا اهتمامهم على مصدر الكلمة وطرق الكشف عنها - أما المادة الاشتقاقية فلم تتل حظاً وافراً من حيث الترتيب الاشتقاقي.

أولاً : تعريفه لغة واصطلاحاً :

قال الراغب الأصفهاني: (عَجَزُ الْإِنْسَانِ) مُؤَخَّرُهُ، وَبِهِ شَبَهٌ مُؤَخَّرٌ غَيْرُهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾^(١).

والعجز أصله: التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة. وأعجزت فلاناً وعجزته، وعأجزته، أي جعلته عاجزاً^(١).

(١) سورة القمر: الآية ٢٠.

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾^(١). وقال سبحانه أيضا: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، هذا عن المعنى اللغوي للجذر الثلاثي للمادة (العجز).

أما الإعجاز، (فهو مصدر الفعل الرباعي اعجز) فهنا فعلان:
الأول : فعل ثلاثي تقول: عَجَزَ، يَعْجِزُ، فهو عاجز، بمعنى ضَعْفٌ عن فعل الشيء وقصْرٌ عن التنفيذ وتأخر عن العمل المطلوب ولم يقدر عليه.

الثاني: فعل رباعي تقول: اعجَزَ، يُعْجِزُ، عَجْزًا فهو معجِزٌ، بمعنى سبق وفاز، تقول اعجز الرجلُ خصمَهُ، بمعنى: فاته وسبقه وفاز عليه وغلبه، بحيث لم يستطع الخصمُ العاجز إدراكه وللحاق به^(٤).

ثانياً: معنى إعجاز القرآن :

كلمة إعجاز القرآن مركب إضافي وكلمة إعجاز مصدر، وإضافتها للقرآن الكريم من إضافة المصدر لفاعله، فكان التقدير اعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله. ومعنى هذا إن القرآن الكريم دلّ بما فيه من بيان على أنه من عند الله، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله وهذا معناه إن القرآن صار معجزاً لهم حيث أوقع بهم العجز والضعف والقصور والتأخر وهو قد تفوق عليهم وفاتهم وسبقهم.

(١) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢، ص ٥٤٧. بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩/٤. فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: السيد احمد الحسيني، المكتبة الرضوية لإحياء التراث، ١٣٧٥هـ، ٢٤/٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣.

(٣) سورة الشورى: الآية ٣١.

(٤) ظ: د. صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط ٢، ٢٠٠٤، ص ١٥.

وقد عرّفه القاضي عبد الجبار بقوله: (معنى قولنا في القرآن الكريم انه معجز انه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به)^(١). ويقول مصطفى صادق الرافعي: (وإنما الإعجاز شيئان ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان، واتصال عنايته ثمّ استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز الإنساني واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت)^(٢).

وقد عرّفه الدكتور صلاح الخالدي حيث قال: (هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفّر ملكيتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحديهم وتقرير عجزهم عن ذلك)^(٣).

وعرّف بأنه: (أمر يعجز البشر منفردين ومجتمعين عن الإتيان بمثله)^(٤). وكذلك عرّف الإعجاز بـ(أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه)^(٥).

فالمعجزة: (هي أن يحدث النبي تغييراً في الكون يتحدى به القوانين الطبيعية التي تثبت عن طريق التجربة والحس)^(٦)، وهي بذلك (خارقة لنواميس الطبيعة وغير ما تعود عليه أهل الدنيا والماديّون والمنكرون للقدرة الإلهية)^(١).

^(١) المغني في أبواب العدل والتوحيد ، دار الكتاب ، ١٩٦٠ ، ١٦ / ٢٢٦ .

^(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي : ط ٩ ، ١٩٧٣ ، ص ١٣٩ .

^(٣) البيان في إعجاز القرآن ، دار عمار ، ط ٣ ، ١٩٩٣ ، ص ٢٣ .

^(٤) عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، ط ٣ ، (د،ت) ، ١ / ٦٦ .

^(٥) أبو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٤١ .

^(٦) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، تحقيق: لجنة المؤتمر العالمي للإمام الصدر رحمته، مطبعة شريعتي، قم، ط ٣، ١٤٢٤هـ، ص ٢٨١ .

وممكن تعريف الإعجاز بأنه (عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة من الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الداعي واستمرار البواعث). وإعجاز القرآن الكريم للمنكرين له يدلّ على انه من عند الله تعالى وليس كلام بشر لما عجز المنكرون عن معارضته.

والخلاصة: إن الإعجاز لغة واصطلاحاً قد جاء متقارباً وذلك بعض المعاني كالضعف والتنشيط والتقصير وما وقع في تلك الدائرة من معان.

ثالثاً : المعجزة في القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم استعمال مشتقات كلمة (عجز) نحو ست وعشرين مرة لكنه لم يرد استعمال مصطلح معجزة ولا (إعجاز) في القرآن ولا في السنة ولم يكن معروفاً هذا الاصطلاح في عهد النبوة والصحابة والتابعين وإنما عُرف في أواخر القرن الثاني تقريباً^(١). وأطلق القرآن الكريم على المعجزة عدة مسميات منها^(٢):

١ (الآيات: قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

٢ (البيّنة: قال سيدنا موسى ﷺ لفرعون ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٥).

١ (داوود العطار ، موجز علوم القرآن ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٥ ، ط ٤٩ .

٢ (ظ : د. مصطفى مسلم : مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم ، ١٩٩٦ ، ص ١٣ .

٣ (ظ : فهد عبد الرحمن الرومي ، دراسات في علوم القرآن ، ط ٤ ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٥٩ .

٤ (سورة الأنعام : الآية ١٠٩ .

٥ (سورة الأعراف : الآية ١٠٦ .

٣ (البرهان: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(١).

٤ (السلطان: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢). وقال سبحانه أيضا: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾^(٣).

رابعاً : شروط المعجزة :

وللمعجزة شرائط نبّه عليها العلماء ، وحددها القرطبي في^(٤):

- ١- أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى.
 - ٢- أن تخرق العادة.
 - ٣- أن يشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل.
 - ٤- أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له.
 - ٥- أن لا يأتي احد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.
- وكذلك يرى الدكتور داوود العطار أن شروط المعجزة الاساسية هي^(٥):
- ١- عجز الآخرين عنها.
 - ٢- إنها خرق للقوانين الطبيعية.

(١) سورة النساء : الآية ١٧٤.

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١١.

(٣) سورة المؤمنون : الآية ٤٥ - ٤٦.

(٤) ظ : القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، دار البيان الحديثة ، ١٤٢٥ هـ ، ١ / ٦٩ - ٧٢.

(٥) ظ : موجز علوم القرآن ، ص ٤٩.

٣ - إنها ليست مستحيلة عقلاً.

٤ - إنها في صدد إثبات دعوى المنصب الإلهي.

فالقرآن الكريم هو (معجزة خالدة تتحدى البشر وتثير دهشة الأجيال على مر العصور، وذلك لان الدين الخالد لا تفيدته تلك المعجزات المؤقتة التي يقيمها النبي على أهل زمانه إتماماً لحجته، لأنها تتصرم بانقضاء زمان حدوثها ولا تبقى منها إلا الرواية والنقل، ثم لا يبقى من النقل على مر الزمان إلا الظن والتخمين، أما القرآن... فقد صُم خصيصاً لكي يلمس إعجازه كل جيل من البشر، ويستدل به على صدق الإسلام وعصمة الإسلام)^(١).

خامساً : المعجزة والقانون الطبيعي :

ذكر السيد محمد صادق الصدر المعجزات والقانون الطبيعي ، نجمل من خلاله ما يأتي^(٢):

- ١ - إن المعجزة متواترة ويقينية الحصول.
- ٢ - المعجزة خارقة لقوانين الطبيعة وغير ما تعود عليه أهل الدنيا.
- ٣ - إنها ناطقة بفشل القانون الطبيعي وانه مجرد صورة لا واقع لها.
- ٤ - إنها ناطقة بلسان حالها بوجود مدبرها وبقدرته وعظمته.

(١) عبد السادة الحداد ، مقالات الشهيد الصدر رحمته في الصحافة النجفية، دار المجتبي ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٠.

(٢) ظ: محمد الصدر، موسوعة الأمام المهدي عج، مؤسسة المجتبي للطبوعات، ط ٤ ، ٢٠٠٦م، ١ / ٤١ ، ٣ / ٢٣٣ .

- ٥ - المعجزة تحصل باستمرار من أول الخلق إلى آخره من حيث لا نعلم ولا نشعر ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(١).
- ٦ - إن القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة.
- ٧ - إن المعجزة لا تحصل عشوائياً، وإنما لها قانونها العام، وهو أنها تقع في طريق إقامة الحجة إذا كانت منتفية، أو إتمامها إذا كانت ناقصة.

فالقوانين الطبيعية قوانين مادية وهي مجرد فكرة لا تؤثر في الخارج. يقول السيد محمد صادق الصدر رحمته الله أيضاً: (إن القوانين الطبيعية. إنما هي صور ذهنية، ما يحدث هو إن هذه الحصة تجلبها الأرض، وهذه الحصة، تجلبها الأرض، إما انه سمي شيئاً بقانون الجاذبية، فهذا عبارة عن مجموعة حوادث جمعناها في ذهننا فسميناها قانون الجاذبية، فحينئذٍ قانون الجاذبية إنما هو فكرة والفكرة لا تؤثر في الخارج، ليس هناك قانون اسمه قانون الجاذبية، وإنما كل شيء يحدث بقدرة الله تعالى، فحينما يزعم الزاعمون الماديون بأننا نعوض عن الله في القوانين المادية، خسروا وخسئوا، لأنها غير موجودة؟ إنما الموجود هو الأفراد.... أما الكلي، المعنى العام غير موجود بطبيعة الحال - فلاحظوا - كذلك القانون الطبيعي بالمعنى العام غير متحقق، سبحانه الله هم يقولون أن ما هو غير محسوس غير موجود، أعطوني

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٥.

❖ ينسب البعض فكرة القانون الطبيعي إلى أرسطو، ظ: د. عبد الحي مجازي، المدخل لدراسة العلوم القانونية، القانون، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢، ص ١٧٩. وعرف القانون الطبيعي بأنه: (القانون النابع من العناية الربانية، التي تحكم هذا الكون، ومن الطبيعة المشتركة السليمة للكائنات البشرية، قانون العقل الصحيح، الذي يتواءم مع الطبيعة، وينطبق على الناس كافة، كما انه أزلي وغير قابل للتغيير)، د. محمد سعيد مجذوب، الحريات العامة وحقوق الإنسان، ص ٢٣، للتوسعة ظ: محمد كاظم حسين، مفهوم الحرية في الفكر الغربي، بحث غير منشور، ٢٠٠٨م، ص ٧.

عن حسٍ وعن رؤيةٍ وعن بصر القانون، قانون الجاذبية مثلاً، أو قانون سرعة الضوء، لا يوجد، إنما هو الموجود بالمصاديق والجزئيات، والحوادث الفردية من الذي يعملها القانون غير الموجود والقانون الموهوم؟ بطبيعة الحال لا، هو اعجز من ذلك، ومن يؤمن به اعجز من ذلك، وإنما الله ﷻ بعزته وقدرته (١).

وكذلك نلاحظ (أن اختيار البيئة والمجتمع - لنزول القرآن الكريم - كان هو التحدي الأول للقوانين الطبيعية التي تقتضي أن تولد الثقافة الجديدة في أرقى البيئات من الناحية الفكرية والاجتماعية) (٢). ومن المعلوم أن مجتمع نزول القرآن الكريم مجتمعاً متخلفاً فكرياً وحضارياً.

وكذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يذكر قصص الماضين وينبئ عن المستقبل بما لا يقبل شك أو خلاف عن العارفين بالماضي أو عند من عاصر الحوادث الذي ذكرها القرآن.

يقول السيد محمد باقر الحكيم رحمته: (وهكذا نجد أن القرآن يتحدى الغيب في الماضي والمستقبل على السواء، ويتحدث بلغة المطمئن الواثق، الذي لا يخالجه شكّ فيما يقوله، وهكذا ما لا يقدر عليه إنسان أو كتاب إنسان وفقاً للقوانين الطبيعية) (٣).

سادساً : التلازم بين وجود المعجزة وبين المدعي للمنصب الإلهي:

هنالك تلازم بين وجود المعجزة وبين صدق المدعي للمنصب الإلهي بأحد

تقريبين (٤):

(١) كريم المنفي : إبداع المرجع ، الناشر سبط النبي ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٥٠.

(٢) محمد باقر الحكيم رحمته علوم القرآن ، مجمع الفكر الإسلامي ، ط ٧ ، ١٤٢٦ هـ ، ص ١٣٠.

(٣) م ن : (نعني بهذا الرمز من خلال هذا الكتاب المصدر نفسه اي السابق) ، ص ١٣٥.

(٤) ظ : حيدر اليعقوبي ، رسائل ومسائل ، النجف الاشرف ، (د ت) ص ١٥.

١ - إن الله لا يظهر المعجزة على يد الكاذب، فإذا أظهرت على يد مدعي المنصب الإلهي آية معجزة فهي حقة.

٢ - إن مدعي هذا المنصب إن وجد المعجزة تعرف انه أهل لهذا المنصب لأنه وصل إلى درجة الكمال التي تظهر المعجزات فيها، وأما إذا لم يظهر عليه معجزة فلم يصل إلى ذلك ، فهو ليس أهلاً.

وان الأهلية تلازم الصدق، لأنه ادعى ذلك والكمال لا يكذب، ولان الفرد إذا وصل إلى مقام من الكمال طلب بلسان حاله آثارها ونتائجها فيجيبه الله تعالى لطلبه^(١).

و) أما عدم الاحتياج إلى المعجزة فهذا هو الأصوب والأفضل ويكون بأحد شكلين: ظاهري وباطني، أما الظاهري... التزام المدعي للصدق وحسن السيرة ونحو ذلك بخلاف العكس، وأما الباطن فمشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢). حيث يرى الفرد منهم بعين البصيرة ويعلم بالعلم اللدني، أن الحق هنا والضلال هنا بلا حاجة إلى إظهار معجزات، وما الحاجة إلى معجزات وهو نفسه يستطيع أن يوجد معجزات بدون ادعاء لمنصب الهي وغيره ، بتأييد من الله ﷻ^(٣).

(١) ظ: م ن ، ص ١٧.

(٢) سورة الحج : الآية ٥٤.

(٣) حيدر يعقوبي : رسائل ومساءل ، ص ١٨.

سابعاً: أنواع المعجزة :

يرى أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير أن المعجزة الإلهية على نوعين (وقتيّة ودائمة)، فجميع معجز الأنبياء وقتيّة - كما يدل عليه الاستقراء - ، فنلاحظ أنها ذهبت بذهابهم ﷺ، إلا معجزة سيدنا محمد ﷺ وهي القرآن فإنها باقية ما بقي الدهر، على أن النبي قد شارك سائر الأنبياء ﷺ في معجزهم الموقوتة فكان له انشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وسعي الأشجار، وشهادة الغيب...^(١).

إن معجزة كل نبي شئ ورسالته شيء آخر، فمعجزة سيدنا موسى ﷺ في العصا واليد البيضاء والآيات البيّنات، ولكن رسالته هي التوراة، ومعجزة عيسى ﷺ في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بأذن الله تعالى، ولكن رسالته هي الإنجيل، إلا نبينا محمد ﷺ فإن معجزته عين رسالته، ورسالته هي معجزته، وهما معاً القرآن^(٢).

ويلحظ أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير أن براعة الإعجاز تتجلى في ملائمة قضية الإعجاز لكل نبي بما يلائم عصره ، وينسجم مع فنون جيله، ويعزى إلى حياة قومه فيما هو طبيعي أو خارق من دون تحد^(٣).

ويشير أستاذنا الدكتور إلى إن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ أول من نبّه إلى هذه الحقيقة العالية^(٤). ثم يذكر رواية ابن السكيت (ت ٢٢٤هـ)، قال ابن السكيت للإمام الرضا ﷺ: (لماذا بعث الله موسى بن عمران بالعصا واليد البيضاء، وآلة

(١) ظ: د. محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص ١١.

(٢) ظ: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٣٠.

(٣) ظ: نظرات معاصرة، ص ١١.

(٤) ظ: م ن، ص ١٢، قيصر كاظم عاجل، البحث القرآني عند الدكتور محمد حسين الصغير، مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ٢٠٠٨، ص ١٣٥.

السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمداً ﷺ بالكلام والخطب؟ فقال الإمام الرضا ﷺ: إن الله لما بعث موسى ﷺ كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، واثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى ﷺ في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيأ به الموتى، وابرأ الأكمه والأبرص بأذن الله، واثبت الحجة عليهم، وإن محمداً ﷺ في وقت كان الغالب أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال: الشعر - فأتاهم من عند الله من مواظ وحكمه ما أبطل به قولهم، واثبت به الحجة عليهم، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال ﷺ: العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه، فقال ابن السكيت: هذا والله الجواب.(١)

ثامناً: الفرق بين السبق في العلم والإعجاز :

هناك فرق بين السبق في العلم والإعجاز، وليس السبق في العلم إعجاز بل هو من مفردات اكتشاف المجهول، وتحقيق الريادة في أولية الاستقراء والاستنباط، إذ قد يتوصل الكثيرون إلى ذلك فيما بعد بنظام أفضل، ومواصفات متكاملة فيكون الرائد في الاكتشاف والاختراع قد سبق الآخرين وحقق ما لم يحققوه من دون إعجاز كما هو الحال في التقنيات الحديثة، وإنما الإعجاز هو التفرد في الشيء في محور الهي على يد الأنبياء ﷺ بين يدي رسالاتهم على سبيل التحدي، فالسبق إلى اكتشاف كيفية مشتركة بين فرد أو جماعات على نحو الابتكار ولا على سبيل التحدي، والمعجزة

(١) الكليني (ت ٣٢٩هـ) محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، طهران، ١٣٦٥هـ ش، ١/٢٤.

مختصة بالنبي ﷺ على سبيله، فالمبتكر - إذن - يحقق سبقاً علمياً ، والتحدي يحقق إعجازاً إلهياً وفرق بين الأمرين^(١).

ومثال ذلك إن نبي الله عيسى ﷺ لم يستعمل مضادات الأمراض وإعطاء الدواء. فيحقق سبقاً طبيياً، وإنما كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بأذن الله من دون وسائل الأطباء^(٢). فيكون هنا فرق بين السبق في الاكتشاف العلمي وبين الإعجاز المتحدي.

تاسعاً : التحدي في القرآن :

إن القرآن الكريم بهر العرب بإعجازه وأدلهم بنظمه، فراحوا يعارضونه بمختلف الوسائل ومختلف الأسباب، فقد حكى القرآن الكريم تخرصاتهم في ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣). لقد تحدى القرآن الكريم الخلق اجمع ، منذ عصر الرسول محمد

ﷺ وإلى يوم القيامة ، على أن يأتوا ولو بسورة قرآنية واحدة.

إن هذا التحدي الذي أعلنه القرآن الكريم كان على مستويين:

أ - **موضوع التحدي:** لم تكن أراجيف المشركين الباطلة ضد القرآن الكريم لتوقف سير الرسالة أو لتفنع المشركين أنفسهم بصدق دعواهم، ولكن الله تعالى لم يدع نلك الأقاويل لتتنزل أثرها في النفوس المريضة، فرد تلك الأقاويل من ابسط طريق. هو تحدى البشر أجمعين بثلاث تحديات:

- أن يأتوا بمثله، أي بمثل القرآن.

(١) ظ : د. محمد حسين الصغير ، نظرات معاصرة ، ص ١١.

(٢) ظ : م ن ، ص ١٢.

(٣) سورة الأنفال : الآية ٣١.

- أو بعشر سور من مثله مفتریات.
- أو سورة واحدة من عصر رسول الله ﷺ والى يوم القيامة.
قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾^(١). وقال
تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾^(٢). وان كانت مساوية
لأصغر سور القرآن أيضا لا بأس، يعني تسقط حجة القرآن^(٣).

وترى سيدي القارئ: إن هذه الدعوة للمقابلة والتي يصطلح عليها علماء العقائد بـ
(التحدي) هي احد أركان المعجزة ، وعندما يرد هذا التعبير في أي مكان، نفهم
بوضوح إن هذا الموضوع هو من المعجزات.

ب (جهة التحدي: يقول الدكتور العطار: (وجه القرآن الكريم التحدي إلى
الإنس والجن، في اظهر مظاهر قوتهم ومنعتهم وهم مجتمعون، ولكن بعض
الاجتماعات تحصل بالأجسام مع تشتت الآراء والرغبات، فأضاف القرآن صفة أخرى
تشديداً في تحديهم وإظهاراً لعجزهم هي: تظاهرهم أي تآزرهم وتعاونهم في ذلك
الاجتماع، وليس هذا فحسب بل أضاف القرآن تحديه الثقلين مجتمعين ومتعاونين)^(٤).
ونلاحظ في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٥). عدة نقاط ملفتة للنظر^(٦):

١ - عمومية دعوى التحدي والتي تشمل كل البشر والموجودات العاقلة الأخرى.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٢) سورة هود، الآية ١٣.

(٣) ظ: داود العطار، موجز علوم القرآن، ص ٥٥.

(٤) موجز علوم القرآن، ص ٥٥.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٦) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٩ / ٩٧.

٢ - خلود دعوى التحدي واستمرارها، إذ هي غير مقيدة بزمان، وعلى هذا الأساس فإن هذا التحدي اليوم جارٍ مثلما كان في أيام النبي ﷺ، وسيبقى كذلك في المستقبل.

٣ - استخدام كلمة (اجتمعت) إشارة لأشكال التعاون والتعاقد والتساند الفكري والعملي، الذي يضاعف حتماً من نتائج أعمال الأفراد مئات، بل آلاف المرات.

٤ - إن تعبير ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ تأكيد مجدد على قضية التعاون والتعاقد، وهي أيضاً ضمنية إلى قيمة هذا العمل وتأثيره على صعيد تحقق الأهداف وتجزؤها.

٥ - إن تعبير (بمثل هذا القرآن) دلالة على الشمول والعموم، وهو يعني (المثل) في جميع النواحي والأمور، من حيث الفصاحة والبلاغة والمحتوى، ومن حيث تربية الإنسان، والبحوث العلمية والقوانين الاجتماعية، وعرض التاريخ، والتنبؤات الغيبية المرتبطة بالمستقبل.. إلى آخر ما في القرآن من أمور.

٦ - إن دعوة جميع الناس للتحدي دليل على إن الإعجاز لا ينحصر في ألفاظ القرآن وفصاحته وبلاغته وحسب، وإلا لو كان كذلك، لكانت دعوة غير العرب عديمة الفائدة.

٧ - المعجزة تكون قوية عندما يقوم صاحب المعجزة بإثارة وتحدي أعدائه ومخالفيه، وبتعبيرنا نقول: يستفزهم، ثم يظهر عظمة الإعجاز عندما يظهر عجز أولئك وفشلهم.

وفي الآية الكريمة السابقة يكون ملحوظ أنها دعت جميع الناس، ومن جانب آخر تستفزهم بصراحة في قولها (لا يأتون بمثله) ثم تحرضهم وتدفعهم للتحدي بالقول: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

ولما (انقطعت بهم السبل إلى المعارضة بذلوا له السيف)^(١). وفي ذلك فشلوا أيضاً، لأن الله تعالى أراد نشر الدين الإسلامي الكامل على يد رسوله الكريم محمد ﷺ في جميع أرجاء الكون.

عاشراً : مجال الإعجاز في القرآن الكريم :

اختلف العلماء والباحثون في وجه إعجاز القرآن، وتعارضوا بينهم، وهذا الاختلاف في تحديد إعجاز القرآن، اهو في خصوص نظمه وبيانه أي بلاغته فحسب، أم انه عام الإعجاز، فمنهم من أنهاء إلى عدة وجوه^(٢). ومنهم من اقتصر على وجه واحد^(٣). وقد أقام كل فريق منهم أدلة على قوله، واتهم كل منهم الآخر بالخطأ والانحراف^(٤).

إلا أن الملاحظ في القدامى هو افراط تأكيدهم على الوجه الواحد والتزامهم إعجاز القرآن الكريم على النظم أو البلاغة، ونجاحهم العجيب في دراسة مسائله تأثرت بهم الأجيال المتعاقبة فاقتفت آثارهم فيه ووقفت عند حدودهم، فكان ان (وقر في الروع

(١) مصطفى صادق الرافعي، تأريخ آداب العرب، ضبطها وصححها: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط ١٩٥٣، ٣، ص ١٧٤.

(٢) ظ: الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ) أبي بكر بن محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، علق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح الدين بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٤٨ - ٥١.

(٣) ظ: الجرجاني عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ)، دلائل الإعجاز، تصحيح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨، ص ٢٥، ويعتبر الخطابي أن الكلام يقوم بثلاثة أشياء: (لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لها ناظم)، وإنما صار القرآن معجزاً (لأنه جاء بأفصح الأفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني)، ظ: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م، ص ٢٧.

(٤) ظ: محمود الملكي الأصفهاني، مختصر التمهيد في علوم القرآن، منشورات دار الزهراء، قم، ١٣٧٦هـ، ص ٢٠٨.

أن إعجاز القرآن لا يكون إلا في هذه الناحية البلاغية التي تتعلق بالأسلوب والعبارات والكلمات وموسيقاها وصياغتها فقط^(١).

فكان ان ارتأت مجموعة من الباحثين المعاصرين أن الوقوف عند هذه المعاني لبيان جانب الإعجاز في القرآن لم يعد كافياً^(٢)، ففي ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلاً على إعجاز آخر فهو بذلك يومئ الى أن الزمن متجه في سيره الى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل، وأن الإنسانية ذاهبة الى أرقى عصورها الى هذا المذهب، وأن الدين سيكون عقلياً^(٣)، وذلك (أن القرآن الكريم مهما جاء به من شيء أو فكرة فانه يأتي بها في أقصى ما يمكن في - عالم الإمكان - من أشكالها وعمقها وسعتها وإعجازها ليس في البلاغة فقط بل في كل شيء، كل ما في الموضوع انه كما أن أفراد الإنسان يختلفون في الصفات مع اشتراكهم جميعاً فيها إجمالاً، فبعضهم يتميز بالذكاء، وبعضهم بالشجاعة، وبعضهم بالشبقي وبعضهم بالصبر.... كذلك الآيات القرآنية تتميز بعضها بأن الأظهر فيها تارة هذه الصفة وأخرى تلك الصفة وثالثة غيرها وهكذا)^(٤).

يقول الدكتور العطار: (ولا أظن أن أحداً من العلماء والباحثين، من القدماء والمحدثين، أحاط علماً بما في القرآن من وجوه الإعجاز... وغاية ما أدركوه أنفسهم أنهم وقفوا على وجوه للإعجاز في القرآن ذكروها في مباحثهم وهي قصار جهدهم، ومبلغ علمهم)^(٥). (ولكن ما عرفناه من وجوه الإعجاز أكثر من الكافي في إثبات

١) محمد عبد الحليم أبو زيد، إعجاز القرآن، مجلة الأزهر، ١٩٤٧م، المجلد ١٨، ص ٥٦٠..

٢) للتوسعة في آراء الباحثين المعاصرين المؤيدة للتفسير العلمي ينظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٣) سوف نبحت في الفصل الثالث من هذا الكتاب الآيات الكونية (السماء والأرض)، وبيان الاعجاز العلمي فيهما.

٤) ظ: عبد العظيم الاسدي، حديث الروح مع الشهيد الصدر رحمته، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، (د ت)، ٢ / ١٥١.

٥) موجز علوم القرآن، ص ٥٧.

صدق النبوة وصدق القرآن الكريم نفسه ولعل اشمل وأوضح أشكال الإعجاز، هو الإعجاز البلاغي، بالنسبة إلى الجمهور العام للبشر ومن هنا كان التركيز عليه في القرآن والسنة أكثر^(١).

ومما استدل به القائلون بعموم الإعجاز، هو تصادم القائلين بالتحديد مع قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيِّنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٢).

أما الفريق الثاني القائلون بتحديد مجال الإعجاز استدلوا بمؤاخذات على الفريق الأول وهي ما يأتي:

- ١ - إن التحدي بقليل القرآن وكثيره على حد سواء، وقليل القرآن أحياناً - خصوصاً النازل منه أول البعثة - لا يحتوي على أي من وجوه الإعجاز، ومع ذلك فإن التحدي قائم كغيره، وهذا يدل أن هذه الوجوه ليست هي إعجاز القرآن المطلوب.
- ٢ - إن النبي ﷺ كان يطلب من الناس الإيمان به وبرسالته بدليل واحد، هو القرآن الكريم المقروء، لا ما يحويه من معارف وغيب أو أي وجه آخر من وجوه الإعجاز الأخرى التي ذكرت.
- ٣ - إن وجوه الإعجاز التي ذكرت، عدا الأسلوب البلاغي، توجد كلاً أو بعضاً في كتب الله الأخرى كالتوراة أو الإنجيل ومع ذلك لم يقل احد بأنها معجزة كمعجزة القرآن.
- ٤ - إن من وجوه الإعجاز ما لا تظهر إلا بعد مدة، قد تطول، وقد تقصر، كأخبار الغيب وأسرار الخليقة ودقة تشريعاته، فهل ينتظر الناس تحققها ليصدقوا بهذا الإعجاز أو ماذا؟

(١) عبد العظيم الاسدي، حديث الروح، ٢ / ١٥٢.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

٥ - ما يستفاد من رواية ابن السكيت المارة الذكر عن الإمام الرضا عليه السلام ^(١). فظاهر السؤال وتقرير الإمام إن المتبادر للذهن، هو إعجاز القرآن في أسلوبه البلاغي.

وفي معرض الإجابة للسيد محمد صادق الصدر رحمته الله على استدلال كل فريق في مسألة مجال وجوه إعجاز القرآن الكريم، بعد أن عرض عليه سؤال مشتمل على تلك الاستدلالات فكان جوابه على الفريق الأول بما يأتي:

إن قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ ^(٢). وغيرها شامل لكل أنواع الإعجاز ولا يختص بالإعجاز البلاغي كما هو واضح، فالحق مع المستشكل هنا، بل لا يكون (مثلاً) للقرآن إلا إذا كان متضمناً لجميع صفاته الإعجازية، لا خصوص الإعجاز البلاغي، وإنما تخيلوا أن الإعجاز البلاغي هو الصفة الرئيسة الوحيدة فكان (مثل) القرآن ما كان معجزاً بلاغياً بالخصوص، وليس بصحيح، فلو كان معجزاً بلاغياً فقط لم يكن مثلاً للقرآن الكريم ^(٣).

أما جوابه على الفريق الثاني فكان متعدداً بحسب تعدد استدلالهم فكان كالاتي ^(٤):

١ - إن الوجه الأول الذي استدلوا به، جوابه: انه ليست كل الآيات متساوية في صفات الإعجاز، مع العلم إن بعض الصفات تكون سالبة بانتفاء الموضوع، لأنها خارجة عن مجالها بالمرة، فتكون الصفات الإعجازية هي في خصوص الميادين التي تطرقها، وان بعض الآيات لا يتساوى فهمها وإدراكها إلا بشروط معينة: منها عمق

^(١) ظ: الكليني: الكافي، ١ / ٢٤.

^(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

^(٣) ظ: عبد العظيم الاسدي، حديث الروح، ٢ / ١٥٢.

^(٤) ظ: م ن، ٢ / ١٥٢. للتوسعة، ظ: سالم شبيب بدوي، البحث القرآني عند السيد محمد الصدر رحمته الله، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر رحمته الله، ١٤٣٠ هـ، ص ١٩٥.

الذكاء والعلم والإيمان، فقولهم: (لا يحتوي على أي من وجوه الإعجاز) موافق لفهم المتكلم به وهو على ما يبدو قاصرٌ عن فهم القرآن الكريم.

٢ - لا دليل على اختصاص معجزات النبي ﷺ بالقرآن ، بل الظاهر أن النبي ﷺ حين كان يطلب من الناس الإيمان به كان تارة يستعمل قابلياته الشخصية في الإقناع ، وتارة أخرى يستعمل الآيات الأخرى غير القرآن ، ومرة ثالثة يستعمل آيات القرآن نفسه مع الاعتماد على الجهات النفسية للسامعين بمقدار مالهم من مستوى التفكير ، وكان هذا كافياً في اتجاههم إلى احترام القرآن وإيمانهم به.

٣ - لم يثبت وجود أي وجه من وجوه الإعجاز في الكتب السماوية السابقة، سواء منها المتبقي أم التالف، ولهذا لم يقل احدٌ بأنها إعجازية، ومن الواضح أن الأنبياء السابقين لم يكونوا يعتمدون في معجزاتهم عليها بل على المعجزات الأخرى المروري قسم منها في القرآن الكريم نفسه، وإنما كانت هذه الكتب تتكفل وظيفتين رئيسيتين:

أ) التشريع العام الذي يكفل تنظيم المجتمع وهذا اقله في التوراة.

ب) الحث على طاعة الله تعالى والخشوع له من اجل رضاه، وهذا اقله في الإنجيل ، مع وجود كلتا الصفتين في كلا الكتابين.

٤ - إن وجوه الإعجاز خلال الزمان الطويل، خاصة بالأجيال التي تطلع عليها وما بعدها... وأما الأجيال السابقة فحسبها ما تعرف من وجوه الإعجاز.

٥ - رواية ابن السكيت تركّز على الجانب البلاغي باعتباره اعمّ واشمل في فهم البشر... وليس فيها دلالة على اختصاص الإعجاز به وانه لا يجوز غيره.

وبناءً على ما تقدم يمكن أن نلاحظ انه لا يستطيع أي باحثٍ في كتاب الله تعالى أن يحيط بوجوه إعجازه ولا بأكثرها ، ولا يسعى احدهم إلى ذلك لعلمه انه لا يحيط بكلام الله إلا الله سبحانه (فالقرآن معجزٌ في تاريخه دون سائر الكتب ومعجزٌ في أثره

الإنساني ، ومعجز كذلك في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء؟ فهي باقية ما بقيت (١).

وبهذا الصدد يمكن أن نذكر ما أورده الدكتور محمد حسين الصغير في بحثه من وجوه الإعجاز ومظاهره، (مختصراً):

١ - الإعجاز الغيبي: ويتمثل بما تحدث عنه القرآن الكريم بضرس قاطع في الإنباء عن الغيب الماضي والمستقبلي (٢).

أ (إخبار بالغيب المجهول في الماضي البعيد (٣). أي عرض سيرة الأمم السالفة وجزئيات أحداثها، وكبريات أنبائها بلهجة الجزم واليقين، فاخبر عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأهل الكهف، وقوم عادٍ وثمودٍ وغيرهم، وجمهرة عظيمة ممن أصابهم عذاب الاستئصال بمجريات أحوالهم بما يعتبر كشفاً لأدق التفاصيل التاريخية بما لا علم لأحد به على وجه الكمال، وهي حالة لا عهد بها للمجتمع العربي في مكة، مما جعلهم يتهافتون على هذه الأخبار.

ب (إخباره بالغيب عن الأحداث المستقبلية بلغة التأكيد بعدة مناسبات أبرزها: ١ - وعده المؤمنين بالنصر في بدر، قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (٤). ونلاحظ أن من الواضح أن احد عناصر الإعجاز في القرآن الكريم هو تضمينه للأخبار الغيبية، وهذا ما نلاحظه في الآية مورد البحث (٥).

(١) مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٢ هـ ، ص ١١٠.

(٢) ظ : د. محمد حسين الصغير ، نظرات معاصرة ، ص ١٤.

(٣) ظ : محمد باقر الحكيم ، علوم القرآن ، ص ١٣٤.

(٤) سورة القمر : الآية ٤٥.

(٥) الشيرازي ، الأمثل ١٧ / ٢٥٤.

٢ - إخباره بغلبة الروم وانتصارهم فيما بعد (الم، غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)^(١). وهنا (ينقدح هذا السؤال، وهو هل يستطيع إنسان أن يخبر بعلم عادي بسيط، عن مثل هذه الحادثة المهمة بضرس قاطع...؟ حتى لو فرضنا أن الأمر كان مع تكهّنٍ سياسي - ولم يكن - فينبغي أن يُذكر هذا الأمر بقيد (الاحتياط) والاحتمال، لا بمثل هذه الصراحة والقطع، إذ لو ظهر خلافه لكان أحسن دليل وسند على إبطال دعوى النبوة بيد الأعداء!)^(٢).

٣ - إخباره عن فتح مكة، قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(٣). ونلاحظ في هذه الآية (واحدة من المسائل الغيبية التي اخبر عنها القرآن، وهي شاهد على أن هذا الكتاب سماويّ وانه من معاجز النبي الكريم حيث يخبر قاطعاً عن أداء مناسك العمرة ودخول المسجد الحرام في المستقبل القريب وعن الفتح القريب قبله أيضاً، وكما نعلم أن هذين التنبؤين قد حدثا فعلاً)^(٤).

٢ - الإعجاز التشريعي: ويتمثل بما فصله القرآن بآيات الأحكام وفقه القرآن بما لا عهد لمناخ الجزيرة بتفصيلاته الدقيقة، فقد نظّم حياة الفرد والأمة بأحكام لا مزيد على إبرامها برباط الحرية من دون فوضى وبريقه الامتثال من دون استعباد، فالأحوال الشخصية قد نظمت بأحكامها الجديدة في الزواج والطلاق والعدة والنفقة والموارث والوصايا والحدود والديّات والجروح والقصاص والديون والعقود بما لم تسبق إليه اعرق الأمم تشريعاً^(٥).

(١) سورة الروم: الآية ١ - ٣.

(٢) الشيرازي، الأمثل ١٢ / ٣٤٧.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٤) الشيرازي، الأمثل ١٦ / ٣٥٤.

(٥) ظ: د. محمد حسين الصغير، نظرات معاصرة، ص ١٥.

٣ - الإعجاز الصوتي: ويتمثل في جزء منه في الحروف المقطّعة بفواتح بعض السور القرآنية ، فهي حالة فريدة من الاستعمال وقف العرب موقف المتحير، ولا سابق عهد لهم بأصدائها الصوتية، مما قطعوا به إن هذه الأصوات المركبة من جنس حروفها هي نفسها التي تتركب منها القرآن ولكن لا يستطيعون أن يأتوا بمثله^(١).

٤ - الإعجاز العددي: ذكر بعض الباحثين المعاصرين^(٢). إن التماثل في الأعداد والتكرار في الأرقام هو صورة من صور إعجاز القرآن التي لا يمكن للباحث أو الدارس أو القارئ أن يستعرضها إلا وهو يؤمن بالإيمان الكامل المطلق إن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا بوحى من الله ﷻ لآخر أنبيائه وخاتم رسله، لأنه شيء فوق القدرة وابعد من حدود العقل البشري، فهذا الوجه من الإعجاز وجه قابع، ودليله العدد والحساب، والعدد لا يختلف والحساب لا يخطئ.

- فلفظ الدنيا مثلاً قد تكرر في القرآن الكريم قدر ما تكرر لفظ الآخرة.

- ولفظ الشياطين قد تكرر في القرآن الكريم قدر ما تكرر لفظ الملائكة.

- ولفظ الموت قد تكرر في القرآن الكريم قدر ما تكرر لفظ الحياة.

وهذا التوازن والتناسق العددي في موضوعات القرآن الكريم لا يمكن أن يكون مصادفة قدرية أو حادثة عفوية، لأنه توازن مقصود، وتناسق غير محدود، وهذه الأعداد المتساوية والأرقام المتمثلة في ألفاظ القرآن التي تم توزيعها في الآيات توزيعاً دقيقاً أعظم من أن تحدها طاقات بشرية أو أجهزة حاسبة أو عقول الكترونية.

١ (للتوسعة ط: د. محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ١٤٢٠هـ، ص٨١ - ١٠٢، د. عبد الحميد هندأوي ، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة.، ص١٥.

٢ (ط: عبد الرزاق نوفل ، الإعجاز العددي للقرآن الكريم ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٨ - ١٠ ، ص ١٨١ - ١٩٢.

ويرى الباحث عبد الرزاق نوفل أن التساوي في عدد الألفاظ أو ما يطلق عليه الإعجاز العددي هو المرتبة الأولى للإعجاز، ثم تأتي الآيات بعد ذلك قمة في البلاغة والبيان وروعة في الصياغة والإتقان، أي أن بلاغة القرآن وفصاحته تأتي في المرتبة الثانية من وجوه الإعجاز العددي الذي وضعه الباحث في المرتبة الأولى.

ومن الجدير بالذكر إن فكرة الإعجاز العددي ليست حديثة أو نابعة في عصرنا الذي يهتم بالأرقام والحساب وشؤون الاقتصاد، وإنما هي فكرة قديمة ذكرها السيوطي (ت ٩١١هـ) في بعض كتبه حيث نراه يشير إليها بقوله: (وقال ابن سراقه في وجوه إعجاز القرآن: ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب، والموافقة والتأليف، والمناسبة والتصنيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم والحساب انه ﷺ صادق في قوله: أن القرآن ليس من عنده، إذ لم يكن قد خالط الفلاسفة ولا تلقى عن أهل الحساب وأهل الهندسة^(١)).

٥- الإعجاز الاجتماعي: إن المطلع على تأريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام^(٢). يلتبس وبعلاء الفارق الذي أحدثه الإسلام وتعاليمه بالجانب الاجتماعي لهم، وجعلهم أمة تفود الأمم وفق آيات الكتاب العزيز فهي (مفتاح لتثقيف المرء، وإذكاء مواهبه، وتفتيق ما في ذهنه من طاقة وإرضاء ما في نفسه من طموح، وللدفع به إلى الثقافة العالية، والسمو به إلى المدنية الصحيحة)^(٣). فجعل منهم أمة تحمل هذه الرسالة للأجيال، فتتناسى حروبها وشحنائها.

(١) ط: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق سعيد المنذوب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ٢ / ٣٣٧.

(٢) للتوسعة ط: د. جواد علي، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨.

(٣) محمد أمين زين الدين، الإسلام ينابعه مناهجه غاياته، مطبعة الآداب النجف الاشرف، ط ٢، ١٩٧٨، ص ٢٤٦.

يقول الدكتور محمد البستاني: (المجتمع الإسلامي - في نطاق الملتزمين بمبادئ الله تعالى - تجسد ملامحه في كونه : مجتمعاً - متعاملاً مع الله تعالى -، متعبداً له تعالى، متراحماً فيما بين منتسبيه، شديداً على العدو، إنسانياً في تعامله صابراً على شدائد الحياة، متحملاً مسؤوليته الاجتماعية، مجاهداً في تحقيق ذلك..... ومن ثمّ، يحيا متوتراً ومتوازناً في آن واحد ، متوتراً من حيث تحمله للمسؤولية، متوازناً من حيث ممارسته للطاعة، فضلاً عن كونه (متوازناً دنويًا) من حيث المعطيات المترتبة على نمط تعامله مع الجماعات الأولية والثانوية التي تطبعها سمة التعاون على البر والتقوى...)(^١).

فتلاحظ عزيزي القارئ من كل هذه الملامح مقارنة مع ما كان عليه العرب قبل الإسلام هو إعجاز اجتماعي أفاضته الآيات الربانية على مجتمع فط كل المجتمع العربي (البدو)، وما كان هذا ليحدث على يد البشر.

٦- الإعجاز البياني: اعجز القرآن الكريم العرب عن معارضته لم يخرج عن سنن كلامهم ألفاظاً وحروفاً، تركيباً وإسلوباً، ولكنه في اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الاسمية والفعلية... وفي النفي والإثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتكثير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والإيجاز، وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، وفي النص والفحوى... وهلم جرا. ولكن القرآن في هذا ونظائره بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر(^٢).

وهو ما تؤكد الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في قولها: (من فجر المبعث، فرض القرآن إعجازه على كل من سمعوه من العرب، على تفاوت مراتبهم في

(^١) الإسلام وعلم الاجتماع ، مجمع البحوث الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٢٥٠.

(^٢) ظ: د. عبد المجيد محمود مطلوب ، مباحث في علوم القرآن والحديث ، مؤسسة المختار لنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ١٣٥.

البلاغة، وقد تحير المشركون في وصفه، وحرصوا على أن يصدوا العرب عن سماعه، عن يقين بأنه ما من عربي يخطئه أن يميز بين هذا القرآن وبين قول البشر^(١).

٧- الإعجاز العلمي: والإعجاز العلمي هو إخبار القرآن أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول، وهذا مما يظهر صدق الرسول محمد ﷺ فيما أخبر به عن ربه ﷻ.

قال أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير: (ونريد به ما أورد القرآن من نظريات وقوانين توصل إليها العلم الحديث فيما بعد في مسار الأرض وانشطار النجوم، وتعدد الأفلak، وأبعاد السماوات وزوجية الكائنات، دون استعمال القرآن لقوانين الحس والتجربة والمعادلة....)^(٢).

وترى عزيزي القارئ أن الحقائق القرآنية العلمية الكامنة أشارت إلى صحة البحث العلمي وهي (لم تكشف إلا بعد قرون من التنزيل لذا كانت كل آية منها برهاناً علمياً ودليلاً منطقياً عقلياً على أن القرآن هو كلام الله ﷻ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(٣) (٤).

وبذا فان كثيراً من الآيات الكونية تشير إلى العلوم الكامنة في القرآن وهي لآليء تستخرج تباعاً مساوقة لتقدم العقل البشري ولها القدر المعلى في الإعجاز العلمي، من هنا كانت الكمائن منبعاً لا ينضب لتصديق العلوم الجارية في الأرض والسما و) بياناً من الله الخالق الذي أبدع هذا الكون ولا بد وان تكون آياته التي انزلها متوافقة مع

١ (الإعجاز البياني ومساائل ابن الأزرق ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١ ، ص ٣٣ .

٢ (ظ : نظرات معاصرة ، ص ١٥ .

٣ (سورة النساء : الآية ١٧٤ .

٤ (د. عدنان الشريف ، من علم الفلك القرآني -الثوابت العلمية في القرآن الكريم - دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص ٧ .

خلقه الذي أبدع ومن ثمّ فلا بدّ وان تكون حقاً مطلقاً ونحن نرى هذا الحق في زماننا في ظل الكم الهائل للمعرفة بالكون ومكوناته التي بدأت تتضح أمام رؤى العلماء في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه وبصورة لا يمكن أن ينكرها إلا جاحد^(١).

وهذا يعني كما يقول الدكتور الكبيسي: (إن الله سبحانه وتعالى قد انزل آياته وترك تأويلها لوثبات العقول العالمية تتلمس إعجازها على مدى علمها وفهمها وانزل آيات آخر وترك تأويلها لتعجز المعلومات في النفس البشرية وكشف أسرار الكون العلمية (في الآفاق وفي أنفسهم) وانزل آيات أخرى وترك تأويلها لاستكمال الأسباب وتحقق الحوادث في المستقبل)^(٢).

وهنا يبقى المكنون القرآني موجوداً أبداً رديفاً علمياً احتياطياً للإنسان لأنه من خزان الله ومن ذلك تكون الآيات تابعة لحراسات الكمائن العلمية التي تقوم - على نحو عال وأمين - بحفظ النواميس الكونية وحماية القوانين الإلهية موازنة وتعويضاً وإبانة على وفق التشكيل الإلهي وذلك لأبعاد التحريف وإزالة الخطل وشوائب العلم من العقول البشرية الوافدة لكي تدخل الحرم الإلهي مطهرة نقية (موحدة).

وفي ختام هذا المبحث (الإعجاز القرآني)، يكون لزاماً وانسجاماً مع ما تقدم آنفاً أن يكون المبحث الثاني لهذا الفصل عن أهمية العلم في القرآن الكريم، إذ إن تحقق الإعجاز العلمي في الآيات الكونية^(٣) بحسبان استمرار الجهل البشري النسبي إزاء العلم الإلهي المطلق فالجهل يقل بأخذه اقباساً بمرور الزمن من النور الإلهي الذي لا تُطفأ مصابيح... ومع ذلك فالفجوة المعرفية قائمة في ذات الإنسان لذا

١) د. زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٢، ١، ٣٥.

٢) د. احمد الكبيسي، الإعجاز القرآني في وصف اليهود (بحث) ضمن بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، بغداد، مطبعة الأمة، ١٩٩٠م، ص ٢٦.

٣) كما سوف يمر بنا بحث بعض الآيات الكونية في الفصل الثالث من هذا البحث - المؤلف □□.

فالكامنية هنا ترفد الإعجاز بمطاوله لا نهائية إذ تمثل الكمائن العلمية جزءاً من هذه المطاولات الكونية، وفي هذا المعنى يقول الرافعي: (وبالجملة فقد وضع ما لم يكن يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره بيد أن القرآن كتاب كل عصر وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز ونحن قد قلنا في غير الجهات التي كتب فيها كل من قبلنا وسيقول من بعدنا فيما يفتح الله به إن ذلك على الله يسير)^(١).

^١ (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص ١٥٤ .

المبحث الثاني :

أهمية العلم في القرآن الكريم

العلم هو السبيل الوحيد الذي يجعل الإنسان أكثر وعياً وإدراكاً لما يحيطه وبه يكون المرء أعمق إدراكاً لأبعاد وجوده وعلاقته بالكون.

لان الإنسان يطلّ من خلال أبراج العلم على عوالم جديدة، فتنتمى رؤيته بالشمولية التي تجعله أكثر وعياً بالحقائق، وأكثر قدرة على ما كان يجمله فيما سبق.

وبالفكر يرتقي الإنسان من مرحلة الجهل والظلام إلى مرحلة الاهتداء والمعرفة، وتمثل الأفكار البناءة لدى كل إنسان الثروة الحقيقية التي يتمكن بها من تسيير حركته نحو تحقيق أهدافه المنشودة.

وبهذا نلاحظ أهمية العلم، وسوف نرى من خلال المحاور التالية أهمية العلم في القرآن الكريم:

أولاً : دعوة القرآن إلى التعلم :

كانت دعوة القرآن الكريم إلى العلم واضحة وصريحة منذ أول آية نزلت منه قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١).

ومن هذه الآيات نلاحظ: (إن أساس الإسلام أقيم منذ البداية على أساس العلم والقلم... ولذلك استطاع قوم متخلفون أن يتقدموا في العلم والمعرفة حتى يتأهلوا - باعتراف الأعداء والأصدقاء - لتصدير علومهم إلى العالم! إن علم المسلمين ومعارفهم هو مزق ظلام القرون الوسطى في أوروبا وادخلها عصر الحضارة،

(١) سورة العلق : الآيات ١ - ٥.

وهذا ما يعترف به علماء أوروبا أنفسهم فيما كتبوه في حقل تاريخ الحضارة الإسلامية وفي تراث الإسلام.^(١)

وتوالت الآيات القرآنية نزولاً في الحث على العلم والرفع من شأن العلماء. ففي القرآن ما يقرب من سبع مئة وخمسين آية أو يزيد هي من صميم العلوم الطبيعية. بل إن الشيخ محمّد عبده يصرح بان أكثر من ثلث الآيات بل نصفها تقريباً تحث على النظر في الكون والبحث عن الأسباب والمسببات^(٢).

ذلك أن إشادة القرآن بالعلم فتح أمام العباد سبل التعليم ومهد لهم الوسائل لكي يكتسحوا كابوس الجهل بكل أشكاله وصوره من دون توقف، بل حضّ على الاستزادة من العلم مع الملازمة لما يحدث من تغيير في المنهج ما دامت البشرية سائرة إلى الأمام، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣).

يقول الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): (ما أمر الله رسوله ﷺ بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم)^(٤).

وهنا نلاحظ: (إذا كان النبي ﷺ مأمور أن يطلب زيادة من ربه إلى آخر عمره مع غزارة علمه، وروحة المليئة وعياً وعلماً، فإن واجب الآخرين واضح جداً، وفي الحقيقة، فإن العلم من وجهة نظر الإسلام لا يعرف حداً، وزيادة الطلب في كثير من الأمور مذمومة إلا في طلب العلم فإنها ممدوحة، والإفراط قبيح في كل شيء إلا في طلب العلم)^(٥).

١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥، ٢٠/٢٥٣.

٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المنار، ١٣٧٣ هـ، ص ٤٧.

٣) سورة طه: الآية ١١٤.

٤) الكشاف: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١، ٣ / ٩١.

٥) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل، ١٠ / ٦٣.

وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(١). من المعروف أن سورة الرحمن من السور التي تتحدث عن النعم ويمكن تسميتها بـ (سورة الرحمة) أو (سورة النعمة) ولهذا فإنها بدأت بالاسم المبارك (الرحمن) الذي يشير إلى صنوف الرحمة الإلهية الواسعة^(٢).

ولهذا نلاحظ: (إن أول واهم نعمة تفضّل بها الله سبحانه ، هي نعمة (تعليم القرآن)، وما أروع من تعبير! حيث أننا إذا تأملنا جيداً فإننا ندرك أن هذا الكتاب العظيم هو مصدر كل الخير والنعم والعطايا الإلهية العظيمة، كما أنه وسيلة للوصول إلى السعادة والخيرات المادية والمعنوية)^(٣).

فالعلم الذي يأمر به القرآن لم يكن مقصوراً على جزيئة معينة في هذا الكون بل هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق من شئ، ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة وذي غير حياة^(٤).

والظريف في الآية المتقدمة (إن بيان نعمة (تعليم القرآن) ذكرت قبل (خلق الإنسان) و(علمه البيان) في الوقت الذي يفترض فيه أن تكون الإشارة أولاً إلى مسألة خلق الإنسان، ومن ثم نعمة تعليم البيان، ثم نعمة تعليم القرآن، وذلك استناداً للترتيب الطبيعي، إلا أن عظمة القرآن الكريم أوجبت أن نعمل خلافاً للترتيب المفترض)^(٥).

وبالتالي كانت قراءة الكتاب الكوني شاملة مقترنة بالنظر والفكر والعبادة ، قائمة على ما وضعه الله ﷻ في كتابه من أسس المنهج العلمي للإنسان كي يتعلم ويسير

(١) سورة الرحمن : الآيات ١ - ٤.

(٢) الشيرازي : الأمثل ، ١٧ / ٢٦٧.

(٣) الشيرازي ، الأمثل ، ١٧ / ٢٦٩.

(٤) ظ : عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، نهضة مصر للطبع والنشر ، (د ت) ، ص ٥٧.

(٥) الشيرازي ، الأمثل ، ١٧ / ٢٧٠.

عليه في نظريته للكون، وكان علينا أيضا أن نبحث عن أسس هذا المنهج وكيفية الاستفادة منه في أبحاثنا العلمية.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

نلاحظ: في هذه الآية المباركة (أن التفكير في أسرار الخليقة، وفي نظام السماء والأرض يعطي للإنسان وعياً خاصاً ويترك في عقله آثاراً عظيمة، وأول تلك الآثار وهو الانتباه إلى هدفية الخلق وعدم العبثية فيه، فالإنسان الذي يلمس الهدفية في اصغر أشياء هذا الكون كيف يمكنه أن يصدق بأن الكون العظيم بأسره مخلوق من دون هدف، ومصنوع من دون غاية؟)^(٢).

إذ لا معنى للأوراد والطقوس من غير التفكير^(٣). والتفكير لو أراد مُريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه لم يقدر عليها، لأن مجاري الفكر غير محصورة، وثمراته غير متناهية.

وترى عزيزي القارئ أن هناك أنماط للتفكير يمكن أن نلاحظها في:

١ - التفكير الابتكاري : حيث يقوم المبتكر بابتكار ألوان من الإشباع حين يوافق الآخرون على آرائه، أو حين يعلم أن ما يبتكره له فوائده الاجتماعية.

٢ - التفكير الناقد : حيث يتميز هذا التفكير بالقدرة على التمييز بين الحجة الجيدة، وغير الجيدة.

٣ - التفكير الاستدلالي : هذا النوع من التفكير يتطلب استخدام أكبر قدر ممكن من المعلومات بهدف الوصول إلى حلول تقاربية.

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩١.

(٢) الشيرازي ، الأمثل ، ٣ / ٣٤ .

(٣) ظ : علاء الحسون ، تنمية الوعي ، دار الغدير ، قم ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٤٤ .

٤ - التفكير الجماعي : كثير من المسائل والمشكلات الاجتماعية تتطلب تفكيراً

في جماعة، فهذا التفكير يفيد في فهم ما يجري في الجماعة وهي تفكر.

٥ - المستوى التصوري : وهو مستوى من التفكير، يعتمد على استخدام الصور

الحسية المختلفة، حيث يستطيع المتحدث من خلال حديثه - وأحياناً من خلال تساؤلاته - أن يصل لمراده^(١).

كما أن هناك أساليب تساعد على تحسين التفكير، حتى تساعد الشخص، كي

يصل إلى قراره الذي تنعكس آثاره عليه في حياته، ومن هذه الأساليب المستخدمة لتحسين التفكير عند الفرد^(٢):

١ - تحسين الظروف المادية والفسولوجية والانفعالية لفرد.

٢ - تحسين ظروف العمل، من ناحية التهوية والهدوء يؤدي إلى تحسين التفكير.

٣ - تنظيم الوقت يساعد على تحسين التفكير.

٤ - ومما يساعد على تحسين الفكر - أيضاً - : دراسة الأخطاء الشائعة التي

قام بها السابقون.

وبذلك يكون العلم الذي يكشف عن سرّ الله في خلقه ومعرفة حقائق الوجود

المكنونة والتي تخرج إلى حيّز الوجود في ثوب علمي ببحوث العلماء وجهودهم، الذين

كرمهم الله سبحانه ورفع من شأنهم ، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٣).

١) ظ : نبيل محمد السمالوطي ، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ، جدة ، دار الشروق ، ١٩٨٠ ، ص ١٦٠.

٢) للتوسعة : ظ : د. فؤاد أبو حطب وآخر ، التفكير دراسات نفسية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠٩.

٣) سورة المجادلة : الآية ١١.

ونلاحظ في هذه الآية المباركة أهمية العلم واقتترانه بالإيمان (وفي الحقيقة إن الموفقية في طريق التكامل وجلب رضا الله والقرب منه مرهون بعاملين أساسيين هما: (الإيمان والعلم، أو الوعي والتقوى وكل منهما ملازم للآخر، ولا تتحقق الهداية بأحدهما دون الآخر)^(١). لهذا وصف الله ﷻ أولي العلم بأنهم من اللذين يشهدون له بالوحدانية.

فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

ونلاحظ هنا أن (العلماء في هذه الآية وضعوا إلى جانب الملائكة. وهذا بذاته تمييز للعلماء على غيرهم، كما يستفاد من الآية أن العلماء إنما امتازوا على غيرهم لأنهم توصلوا إلى معرفة الحقائق، وعلى رأسها معرفة وحدانية الله. ومن الواضح أن الآية تشمل جميع العلماء، أما قول بعض المفسرين بان (أولوا العلم) هم الأئمة الأطهار ؑ فلأن الأئمة من اظهر مصاديق ذلك)^(٣). إذن سبيل العلم في القرآن الكريم من سبل الحق تبارك وتعالى ووسيلة من وسائل تحقيق الإنسان لرسالته في الحياة عبداً لله ومستخلفاً في الأرض، أمر بالقيام على عمارة الحياة قدر الاستطاعة في غير ضرر ولا ضرار^(٤).

١ (الشيرازي : الأمثل ، ١٨ / ٩٩ .

٢ (سورة آل عمران : الآية ١٨ .

٣ (الشيرازي : الأمثل ، ٢ / ٢٩٣ .

٤ (ظ: د. زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، مركز البحوث والمعلومات، قطر، ١٩٨٨، ص ٧٣.

وهو ما يؤكدّه الشيخ محمّد الغزالي بقوله: (وليس ثمة تفاوت بين العلم والدين ، فإنّ الله الحق هو مصدر الاثنتين، وإذا لوحظ أن هناك اختلافاً فليس بين علمٍ ودينٍ، بل بين دينٍ وجهلٍ اخذ سمة العلم، أو بين علمٍ ولغو لبس سمت الدين)^(١).
وبذلك يكون للعلم في القرآن طريق محدد يسير فيه، وهدف معين يرمي إليه، وهو المحافظة على الإنسان وإبقاء مكانته كأدمي، لكي يحقق الغاية من وجوده ويسخر ما في الكون لمصلحته ومنفعته بما وهبه الله عزّ وجلّ من فطرة وقدرة واستعداد للتعلم، بطريقة علمية أخلاقية ذات صلة ربانية.

ثانياً : طبيعة الفطرة الإنسانية وقابليتها للتعلم :

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فهذه الآية الكريمة جمعت بين ثلاثة أمور فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله وكلاهما موافق لناموس الوجود وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه^(٣).

الأمر الثالث وهو الثوابت الكونية التي دلّ عليها قوله تعالى: (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) فثبات تلك السنن واطرداها واتساقها فيما بينها مع السنن الجارية من السنن التي فطر الله الناس عليها.

^(١) نظرات في القرآن ، إصدارات بيت القرآن ، الكتاب الخامس ، البحرين ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٠.

^(٢) سورة الروم : الآية ٣٠.

^(٣) ظ : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ١٩٨٧ ، ط ١٣ ، ص ٣٧٦.

إن (الآية المتقدمة تؤكد على إن الدين الحنيف الخالص الخالي من كل أنواع الشرك، هو الدين الذي ألهمه الله سبحانه في كل فطرة، الفطرة الخالدة التي لا تتغير، وإن كان كثير من الناس غير ملتفت لهذه الحقيقة)^(١).

وبما أن (الطريقة العلمية يتوقف استخدامها على الوجه الصحيح على الاستعداد الفطري للمرء، وعلى النظرة التي اكتسبها خلال ثقافته وخبرته)^(٢).

فانه ليس ثمة تعارض بين الإدراك الفطري والمكتسبات الخارجية (لأنه بالإدراك الفطري تميّز الأشياء بعضها عن بعضٍ ، وتقول عن شيء منها انه ماء وعن آخر انه هواء وهكذا لا يكون بين الناس اختلاف في ذلك كله، بل ولا يجوز لأحد أن يجعل شيئاً من هذا موضعاً لتشكك ما دام على صلة بالناس في مجال الذوق الفطري وحده، وإن الأشياء في المجال الفطري تدرك بكيفياتها، إذن الجانب فيه كفي بخلاف الإدراك العلمي الذي فيه كمي لا كفي، ومن هنا تظهر الدقة العلمية، والدقة لا تكون إلا بتحويل ما هو كفي في مجال الإدراك إلى ما هو كمي مؤلف من وحدات متجانسة)^(٣).

فالفطرة والمكتسبات الخارجية مصدران من مصادر العلم ولذا يقول جابر بن حيان (ت ٧٥٠هـ): (بأنّ للعلم مصادر، احدهما المذهب القائل بأنّ لديني ينبع من الفطرة، وثانيهما أنّ العلم آتٍ كله من الخارج بالتحصيل والتلقين، ثم يضيف إليها ثالثاً أن يكون في نفس المتعلم استعداداً للتلقي ثمّ تجيء العوامل الخارجية فتستخدم ذلك الاستعداد الفطري)^(٤).

^(١) الشيرازي : الأمثل ، ١٢ / ٣٧٩ .

^(٢) ظ : والد ماركمفرت، فتوحات علمية ، ترجمة: يوسف الحاروني ، مراجعة: عبد الفتاح إسماعيل ، مؤسسة سجل العرب، ١٦٦٤ ، ص ٢٥٤ .

^(٣) ظ : د. زكي نجيب محمود ، المنطق الوضعي ، مكتبة الانجلو ، ١٩٨٠ ، ٢ / ٩ .

^(٤) د. زكي نجيب محمود ، جابر بن حيان ، مكتبة مصر ، (د ت) ، ص ٤٥ .

فالفطرة الإنسانية هي أساس الوعي الكوني ، وبها يبحث الإنسان ويتأمل في الكون، نظراً لأهميتها جاءت الآية مذكّرة لها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

فالقرآن سار بالفكر البشري قدماً معتمداً على ما فطر عليه الإنسان من اتجاه نحو التعقل والنظر ، فهو دين الفطرة بحق في كل شيء فمن يدرسه يراه يتطابق مع مقتضيات الفطرة البشرية^(٢).

(فالشعور الفطري بوجود الخالق من الدلائل الصادقة على وجود الخالق)^(٣). أما ما يظهر على بعض الملحدّين من الكفر بالله والاستهزاء بمن دعاهم إلى عبادته، فإنّ ذلك لا يعني الكفر المطلق المبني على اليقين الكامل، وإنما هو انحراف في الطبيعة الإنسانية، وتحويل للغريزة الفطرية المتجهة إلى الخالق الحق إلى عبادة المخلوقات الأخرى، بسبب المبالغة في الانحراف بدافع لا أخلاقي، وظلم مرآة فطرته بدخان نار الشهوات، وبعض الغرائز العاتية المستكبرة^(٤).

ولذا فإننا نجد ذلك الملحد يستعمل سبل المغالطات والتفسيرات الخاطئة للأشياء تظليلاً وتمويهاً على السذج من أتباعه. فالانحراف والميل عن الخط السوي أمر طارئ

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) د. فوقية حسين محمود ، مقالات في أصالة الفكر المسلم ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٨٨ ، ص ١١.

(٣) ظ: د. عمر سليمان الأشقر ، العقيدة في الله ، دار النفائس للنشر ، الكويت ، ص ٦٥ ، د. محمد حسن الحمصي ، الإيمان بالله ، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر ، ص ١٣.

(٤) ظ: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، دار العلم ، بيروت ، ط ٢ ، ص ٥٩.

على البشرية، وذلك حين فساد الفطرة^(١). ولأجل ذلك يذهب كثير من أهل العلم إلى القول بأن القرآن لم يطل في الاستدلال على وجود الله، وإنما ركّز على تصحيح الاعتقاد به وتوحيده التوحيد الصحيح، وهذا صحيح، ولكن لما كان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، والرسول الذي انزل عليه الكتاب خاتم الرسل، والدين الإسلامي خاتم الأديان، ولم يقبل من احدٍ التدئين بسواه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٣). كان لا بدّ أن يشتمل هذا الكتاب على الدعوة إلى العلم وحث الفطرة الإنسانية باستعمال الحجج والبراهين القاطعة التي تقمع شبهة كل منحرف أو معاند في كل زمان ومكان.

ثالثاً : فريضة البحث العلمي

إنّ فريضة البحث أمرٌ قرآنيٌّ لا ينفرد منه إلا ذو عقلٍ متجمد وفكر خاطئٍ لان فريضته من متطلبات الخلافة في الأرض والتي تميّز بها الإنسان بالعقل، الذي تخاطبه الآيات القرآنية وتدلل على قيمته.

ونلاحظ أنّ (هذا الخطاب للعقل لا ينحصر في العقل الوازع ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ، بل يعمم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له ذهن الإنسان من خاصية أو وظيفية، إذ هي جميع ما يمكن أن يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك والعقل المفكر الذي يتولى الموازنة والحكم على المعاني والأشياء)^(٤).

١ (ظ : الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة للنشر ، بيروت ، ابن تيمية ، منهاج السنة ، تحقيق :

د. محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ٢ / ٢٠٢ .

٢ (سورة آل عمران : الآية ١٩ .

٣ (سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

٤ (عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، ص ٤ .

ولا شك أنّ تعاليم الإسلام رفعت المستوى العقلي عند العرب إلى درجة كبرى، فهذه الصفات التي وصف بها الإسلام، الله ﷻ، نقلت العرب من عبادة الأصنام والأوثان، وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر وإسفاف في الفكر، إلى عبادة إله وراء المادة (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)^(١).

التذكر والاعتبار والنظر، والتدبر والتأمل والتفكير:

ألفاظ متقاربة، يحاول الغزالي أن يفرّق بينهما، فيقول: التدبر، التأمل، والتفكير، عبارات مترادفة على معنى واحد، ليس تحتها معان مختلفة، أما التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني، وإن كان أصل المسمى واحداً، كما إن اسم الصارم والمهند والسيف، يتوارد على شيء واحد، ولكن باعتبارات مختلفة، فالصارم: يدل على السيف، من حيث هو قاطع، والمهند: يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه (وهو الهند)، ومنه قول كعب:

إن الرسولَ لنورٍ يُستضاءُ به مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولٌ^(٢).

والسيف يدلّ دلالة مطلقة عليه، من غير إشعارٍ بهذه الزوائد، وكذلك الذكر والاعتبار والنظر.

فالتذكر: استحضار معرفة سابقة، للانتقال منها إلى معرفة أخرى. والاعتبار والتدبر، التفكير في المعرفة السابقة، لاستخلاص العبر منها.

^(١) ظ: د. واضح الصمد، الحضارة العربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ص ٥٥.

^(٢) ظ: جمال الدين الأنصاري، شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا رسول الله ﷺ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط ١٩٨٤، ص ٣، ص ٢٧.

والنظر والتأمل والتفكير: هو طلب المعرفة السابقة، للوصول إلى معرفة جديدة، فكل متفكر متذكّر، وليس كل متذكّر متفكراً، وفائدة التذكّار إحضار المعارف إلى بؤرة الإدراك، وفائدة التفكّر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلّة.

والمعارف إذا اجتمعت في القلب، وتفاعلت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى، فإذا حصلت معرفة أخرى، وتفاعلت مع معرفة أخرى، حصل من ذلك نتائج آخر، وهكذا تتكاثر النتائج، وتتماهى العلوم والمعارف والفكر إلى غير نهاية، والسبب في أنّ أكثر الناس منعوا الزيادة في العلوم: أنهم فقدوا رأس المال، وهو المعارف التي تنثر العلوم^(١).

والذي نلاحظه هنا هو أهمية البحث وفريضة في القرآن الكريم، ولا بدّ أن نتعرف على الأدوات التي يتمّ من خلالها استخلاص المعارف والبحث وهي:

* العقل والقلب والفؤاد:

في كتب اللغة: **العقل:** الحجر، والنهي ضد الحمق، والجمع عقول، يقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عقلاً، ومعقولاً، ورجل عاقل، وهو الجامع لأمره، ورأيه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه، ويُردها عن هواها، والعقل: التثبت في الأمور، والعقل: القلب، والقلب: العقل، وسميَ العقلُ عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه، وقيل: العقل هو التمييز الذي يميّز به الإنسان من سائر الحيوان، وعقل الشيء يعقله عقلاً: فهمه^(٢).

وترى سيدي القارئ أنّ العقل جهاز الإدراك، أو ملكة الإدراك التي يناط بهما الفهم والتصور^(٣). والقرآن الكريم يتناول العقل من حيث وظيفته، التي هي التعقل والتفهم والتدبر، فيدعو إلى ذلك وينعي على من لم يستخدمه الاستخدام الصحيح، من

(١) ظ: إحياء علوم الدين بهامش الإتحاف، ١٠ / ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٩ / ٣٢٦.

(٣) عباس العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ص ٨.

حيث سلامة المقدمات، للوصول بها إلى سلامة النتائج ، فيقول جلّ شأنه: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

أما القلب: ففي كتب اللغة: هو مضغعة من الفؤاد، معلقة بالنيباط، وقال ابن سيدة: القلب الفؤاد، وقد يعبر بالقلب عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٤). أي عقل. قال الفراء: وجائز في العربية أن تقول: مالك قلب، وما قلبك معك، تقول: ما عقلك معك، وأين يذهب قلبك؟ أي أين ذهب عقلك؟ وقال غير الفراء: (لمن كان له قلب) أي تفهم وتدبر، وقيل القلوب والأفئدة قريبان من السواء، قال الأزهري: ورأيت بعض العرب يسمي لحمة القلب كلها - شحمها وحجابها - : قلباً، وفؤاداً، قال: لم أرهم يفرقون بينهما، ولا أنكر أن يكون القلب هي العقلة السوداء في جوفه^(٥).

وأما الفؤاد، ففي كتب اللغة: الفؤاد: القلب، وقيل: غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، والجمع أفئدة^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥١.

(٤) سورة ق: الآية ٣٧.

(٥) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ١١ / ٢٧١.

(٦) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ١ / ١٦٦.

والقرآن الكريم يتناول الفؤاد على انه موئل الفكر، وجهاز الإدراك أيضاً، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١). وقوله تعالى أيضاً: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^(٢).

وهكذا نجد أنّ القرآن الكريم يعبر عن القوة المدركة في الإنسان - حسب الظاهر - بالعقل أو الفؤاد أو القلب.

يقول الدكتور احمد الوائلي: (إنّ القرآن الكريم أنّ يعبر بالقلب عن العقل لأنه يخاطب العرب حيث نزل بلغتهم وهم يعبرون عن العقل بالقلب)^(٣).

وهو ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٦). فإننا نلاحظ أهمية البحث العلمي في القرآن الكريم وكيف أنّ الإسلام ينهى عن أنّ يقول الإنسان ما لم يسمع، أو ما لا يقوم على العلم، أو يتحدث عن أشياء لم يرها، إذ العلم وحده هو الميزان دون إتباع الظن والوهم والحدس، أو الاعتماد على الشكّ والإشاعة، لان سبيل الاعتماد على هذه المصادر يؤدي إلى آثار خطيرة على حياة الفرد والمجتمع، هذه الآثار يمكن أنّ نلاحظها كما يلي^(٧):

^(١) سورة الإسراء الآية ٣٦.

^(٢) سورة الفرقان ، الآية ٣٢.

^(٣) نحو تفسير علمي للقرآن ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ، من هدي النجف ، ١٣٩١ هـ ، ص ٥٢.

^(٤) سورة البقرة : الآية ٩٧.

^(٥) سورة الأنعام : الآية ٤٦.

^(٦) سورة الإسراء : الآية ٣٦.

^(٧) ظ : ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل ، ٨ / ٣٥٤.

- ١ - إنَّ اعتماد ما هو دون العلم يؤدي إلى هضم حقوق الأفراد وإعطاء الحق لغير صاحبه.
 - ٢ - الاعتماد على الظن وما شابهه يؤدي إلى تعريض كرامة الإنسان المؤمن للخطر، ويقلل أيضاً من اندفاع وحماس المخلصين.
 - ٣ - اعتماد ما هو دون العلم، يؤدي إلى انتشار الشائعات.
 - ٤ - اعتماد الظن وغيره يقضي على ملاكات الدقة والبحث والتحقيق عند الإنسان ويجعله ساذجاً سريع التصديق.
 - ٥ - إنَّ الاعتماد على غير العلم ينقض العلائق الودية الحميمة القائمة بين الناس في البيت والسوق ومحل العمل ، ويجعل بعضهم يسيء الظن بالبعض الآخر .
 - ٦ - اعتماد غير العلم يفسد في الإنسان قابلية الاستقلال الفكري ويجعله عرضة للأفكار الفاسدة.
 - ٧ - إنَّ اعتماد غير البحث العلمي يكون قاعدة للتعجل في انتخاب الأشياء والحكم على الأشخاص والمعلومات مما يسبب الندامة والفشل فيما بعد.
- ففريضة البحث والتفكير وإعمال العقل يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد، ويتبصّر ويتدبّر وهو العقل الذي يقابل الجمود والعنت والضلال^(١). وهذا العقل الذي يبغيه القرآن هو الباحث في الكون عن السنن لكي يكتشفها، التي تأخذ به إلى التدبّر واستشعار عظمة الخالق ثم تقواه ، بشرط إلا يكون متبّعاً الطريق المعوج وإنما يكون فهم الكون والحياة طريقاً للوصول إلى الله ﷻ^(٢). وهذا ما يجعل الباحث يقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣).

(١) ظ: عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، ص ١٤ □.

(٢) ظ: د. إبراهيم الصياد ، المدخل الإسلامية للطب ، مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٧.

(٣) سورة آل عمران : الآية ٩.

والخلاصة: أنّ القرآن الكريم أمرنا بالبحث والنظر والتعلم والإحاطة بكل معلوم يصدر عن العقول^(١). ذلك أنّ المسلم أولى من غيره بطرق التقدم وطرق العلم الحديث وبكل علم من علوم المعرفة لأنه مأمور بالبحث عن إسرار الكون ومطالب بالفهم والتفكير^(٢)، ومن ثمّ فالمسلم اقدر من غيره على البحث والاستخدام المثمر الصحيح الذي يوصل إلى نتائج علمية مستقيمة^(٣).

وذلك لان معه المنهج الرباني والتوفيق الإلهي واستقامته مع ربه، فكلما حدث خلل أو تعثرت الأمور أمامه فزع إلى ربه، فلن يضل أبداً ما دام يسير في هذا الطريق الإلهي.

فماذا يكون مصير الأمة الإسلامية إذا لم تأخذ فريضة البحث؟

ليس لهم مصير إلا التخلف والاضمحلال بين الأمم لأنهم عطلوا وسائل المعرفة العلمية والبحث ونقضوا استخلافهم في الأرض والتي من أهم مقومات القيام على عمارتها بالتفكير والنظر والتدبير والسير في الأرض وبكل ما أتيح للمسلم من أدوات ووسائل تنفيذاً لأوامر الله عز وجل^(٤).

هذا هو مصير الأمة إذا لم تأخذ بفريضة البحث العلمي واستغلال ما أتيح لها من وسائل لتحصيل المعرفة العلمية الصحيحة.

(١) ظ: عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، ص ٦٠ .

(٢) ظ: م ن ، ص ١٤٤ .

(٣) ظ: محمد بن صامل السلمي ، منهج كتاب التاريخ الإسلامي وتدريسه ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، ١٩٨٨ ، ص ٤٤ □ .

(٤) ظ: منتصر محمود مجاهد ، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٢٥ .

رابعاً : نسبية المعرفة العلمية :

من الضروريات التي أشار القرآن الكريم نسبية المعرفة العلمية، لان الحقائق لا تكشف عن نفسها ولا يكتشفها العقل دفعة واحدة بل تأتي على سبيل التدرج^(١). وهذا الأمر يحتاج إلى بحث متواصل حتى تستطيع البشرية كشف السنن الموجودة في الكون والتي لم يكشف منها إلا القليل، لأن البشرية على الرغم مما وصلت إليه ما زالت حتى الآن على بعد من الشاطئ ولم تبتل أقدامها من بحر المعرفة^(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

وهنا نلاحظ (أن الإنسان يشعر مع هذا البيان البليغ الواضح أن معلوماته مقابل علم الله كالصفر مقابل اللانهاية، ويليق به أن يقول فقط: (إن علمي قد أوصلني إلى أن أطلع على جهلي فحتى التشبيه بالفطرة من البحر لتبيان هذه الحقيقة لا يبدو صحيحاً)^(٤).

فالكل يغترف من معين العلم الإلهي ، فالذي يأخذ من هذا المعين ويكتسب العلم كسباً لا بد أن يكون العلم نسبياً ، وليس ذلك بعيب في البشر ولكن له أهميته في اكتشاف حقائق الأشياء وخصائصها كما وكيفاً^(٥).

١) ظ : د. محمد السيد الجليند ، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين ، مكتبة الزهراء ، ١٩٩٠ ، ص ١٤ .

٢) ظ : د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ ، ص ١٥٠ .

٣) سورة لقمان : الآية ٢٧ .

٤) الشيرازي : الأمثل ، ١٣ / ٤٧ .

٥) ظ : د. محمد السيد الجليند ، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين ، ص ١٤ .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١). وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢).
وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾^(٣).

هذه النسبية التي يرشدنا إليها القرآن تبين التفاوت بين البشر في المعرفة، فما يعرفه الإنسان ربما لا يعرفه الآخر ، فليس هناك داعٍ للإنكار ما دام قد أصبح حقيقة واقعة، كما تُبين الآيات إنَّ الحقائق لا تنكشف للعقل دفعة واحدة، بل الأمر في ذلك يتوقف على وضوح المقدمات وصفاء الذهن وقدرته على استنباط وإدراك العلاقات بين المقدمات والنتائج والربط بينها بأحكام الضرورة العقلية^(٤). حيث أنّ نسبية المعرفة تعطي دلالة التفرقة بين ما هو ضروري وما هو بديهي وما هو في حكم الغائب ليس دليلاً على عدم وجوده لأنه ربما يكشف بعد ذلك، فالإنسان لا يستطيع أن يحيط بكل شيء علماً ولكنه يحيط بجزء من العلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٥).

خامساً : نظرة القرآن الكريم المنهجية إلى العلوم الطبيعية

إنَّ نظرة القرآن الكريم نظرة شاملة تحوي بداخلها الظواهر الكونية، وما يدخل تحت اسم العلوم الطبيعية، التي تعرّض لها القرآن في أكثر من موضع على جهة الاختصاص لان القرآن والكون تعبيران لحقيقة واحدة، وما فصل في الآيات من

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(٢) سورة طه : الآية ١١٤ .

(٣) سورة النساء : الآية ١١٣ .

(٤) ظ : د. محمد السيد الجليند ، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين ، ص ١٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .

المبادئ والحكم جعل أساساً لهذا الكون، فالكون تصديقٌ عملي للقرآن أو بتعبير آخر إنَّ القرآن إظهار لفظيٍّ للحقيقة الربانية، وإن بقية الكون إظهارٌ عملي لتلك الحقيقة^(١). وكلا الجانبين (اللفظي والعملي) يُعضد كل منهما الآخر في ظلَّ المفهوم القرآني.

ف نجد الآيات التي تتحدث عن الكون تبدأ بوقائع عملية ثم تنتهي بالتفكير والتدبر والعبرة، فهي تبدأ بالملاحظة وتنتهي إلى السبب.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ أُثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢). فهذه أحداث واقعة في الكون مرتبطة بالجانب الفكري والعملي، وعلى المسلم أن يتدبرها ويصل من وراء هذا التدبر والفكر إلى أن الله قد خلق له هذا الكون وسخره له وعليه أن يجتهد في البحث في السنن الإلهية التي تحكم الكون مع الالتزام بالحق وتفهم القوانين ويرضى بكل مجريات الأمور، ويوقن أن أمور الكون وما فيه كلها بيد الخالق العظيم^(٣).

ذلك أن التصور القرآني للكون يقوم على أساس أن الوجود كله من خلق الله تعالى أودعه سبحانه قوانينه التي تتحرك بها، والتي تتناسق مع حركة أجزائه فيما بينها، كما تتناسق بها حركته الكلية، لان وراء هذا الكون مشيئة وقدرة وناموس، هذا الناموس يتسق بين مفردات هذا الوجود وينظّم حركته جميعاً، فلا تصادم ولا اختلال

١) ظ: وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، ترجمة: محسن عثمان الندوي، دار الصحوة، ١٩٨٤، ص ٧٨.

٢) سورة الرعد: الآية ٣.

٣) ظ: د. زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، ص ٧٣.

ولا تعارض^(١). لان المؤمن الذي يفهم شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله في إطارها الشامل يجمع بين وحدة النظام في بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية ووحدة الطاقة بردها إلى أصل واحد وان تعددت صورها، وبين وحدة الحركة في طواف الالكترونات حول النواة وطواف الكواكب حول الشمس وطواف المسلمين حول الكعبة^(٢).

إنّ ضرورة الإيمان الواعي المتدبر تشمل الجوانب الاعتقادية أساساً، والتي لا بدّ أن تكون عن قناعة وبعيدة عن المحاكاة والتقليد، وكذلك الجوانب الأخرى للتشريع الإسلامي، حيث تعتبر المعرفة ملاك كلّ عمل وعبادة، وذلك أنّ كل حركة وعمل يجب أن يكون مبنياً على المعرفة والعلم، وما كان فاقداً لهذا الأساس فلا قيمة له^(٣). فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة)^(٤).

وبناءً على هذا فإنّ القرآن الكريم قد رسم سياسة العلوم الطبيعية ، في إطار قوانينها وضبطها علمياً مع لفت نظر الإنسان إلى علل الأشياء وأسبابها وتهيأت المناخ العلمي والعقلي للإنسان الذي يدفعه بذلك إلى البحث والكشف^(٥) عن حقائق

١) ظ: د. توفيق يوسف الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٨٨، ص ١٨٠.

٢) ظ: د. احمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ٣٥ - ٣٦.

٣) ظ: عبد اللطيف الراضي، المنهج الحركي في القرآن الكريم، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٩١، ص ٤٨.

٤) بن شعبة الحراني (توفي القرن الرابع الهجري)، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ص ١٧١، المجلسي محمد باقر(ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، بيروت، ٢٦٧/٧٤.

٥) ظ: د. زغلول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي ، ص ١٥.

الكون الذي فيه آيات الله، والتي تدعو بمنطق علمي لمعرفة الله عن طريق آياته، لان القرآن لم يقم كهنوتاً يحتكر العلوم الطبيعية^(١).

ومن هنا نلاحظ أنّ (المعرفة هي أفضل أنواع العبادات والقربان ،حتى أنّ قيمة كل عبادة وقربة إنما تتاط بمبلغ معرفة العامل والعابد، فالمعرفة والعلم مقياس قيمة الإنسان.. ولذا فإنّ الإيمان الذي لا يقترن بالعلم ليس له تأثير يُذكر، سواء على مستوى الاعتقاد أو العمل والسلوك، حيث العمل لا بدّ أنّ يكون ثمرة الاعتقاد)^(٢).

فقد ربط القرآن الكريم في وضوح بين خشية العلماء لله والعلوم الطبيعية، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾^(٣).

ف) العلماء - بالمنطق القرآني - ليسوا أولئك الذين تحوّلت أدمغتهم إلى صناديق الآراء والأفكار المختلفة من هنا وهناك ومليئة بالقوانين والمعادلات العلميّة للعالم وتلهج بها ألسنتهم، أو الذين سكنوا المدارس والجامعات والمكاتب، بل إنّ العلماء هم أصحاب النظر الذين أضاء نور العلم والمعرفة كل وجودهم بنور الله والإيمان والتقوى، والذين هم اشدّ الناس ارتباطاً بتكاليهم مع ما يستشعرونه من عظمة المسؤولية إزاءها^(٤).

وبطبيعة الحال نلاحظ أنّ (العلم حول الموجودات والظواهر الطبيعية يؤدي بالعلماء المؤمنين إلى الخشوع أمام الله، وإلا فإنّ من لا إيمان لهم، لا تشملهم الآية

١) ظ: د. احمد سليم سعيدان، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة، عدد ١٣١، المجلس الوطني، الكويت، ١٩٨٨، ص ٨٣.

٢) عبد اللطيف الراضي، المنهج الحركي في القرآن الكريم ، ص ٤٨.

٣) سورة فاطر: الآية ٢٧ - ٢٨.

٤) (الشيرازي : الأمثل ، ١٤ / ٥٩.

الكريمة ﴿نَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وان كانوا مطلّعين على بعض العلوم الطبيعية^(١).

وهو مصداق قوله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

فانّ دراسة الظواهر الطبيعية من قبل الأفراد غير المؤمنين لا تقرب هؤلاء من الله ﷻ. وذلك (لان العالم - الرباني - كلما ازداد علماً أدرك أنّ وراء هذا النظام، في هذا الكون قدرة إلهية عالية تحفظه وتحميه فيزداد خشية وخضوعاً لأحكامه وإتباعاً لأوامره)^(٣).

فبمقدار تعمق العالم في البحث في الكون تكون خشيته لله تعالى، لأنه يرى من نواميس الكون والخلق المتقن ما يجعله يسجد لمبدع الكون^(٤).

إنّ مثل هذا الإيمان المبني على الرؤية الواضحة والبصيرة النافذة، والتدبّر فيما خلق الله، والقناعة المبنية على أساس المعرفة والتفكير العلمي، هو المطلوب حقاً للإنسان المؤمن، والعامل الرسالي^(٥).

١) د. مهدي كلشني، القرآن ومعرفة الطبيعة، ص ٥١.

٢) سورة يونس: الآية ١٠١.

٣) ظ: د. عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، دار الاعتصام، القاهرة، (د ت) ص ٢٤٤.

٤) ظ: د. عبد الحليم محمود، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٥، وللتوسعة ظ: منتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، ص ٢١ - ٢٩، د. محمد احمد درينقة، القرآن والعلم، دار الأرقم للطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص ٥٨.

٥) ظ: عبد اللطيف الراضي، المنهج الحركي في القرآن الكريم، ص ٢٢٥، د. سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط ١٩٨٦، ص ٣٧.



الفصل الثاني

منهج التفسير العلمي للقرآن الكريم



(٨٠) الإعجاز في القرآن الكريم

الفصل الثاني: منهج التفسير العلمي للقرآن الكريم :

لم يحظَ نصٌّ من النصوص السماوية، أو مما أنتجه العقل الإنساني بمثل ما حظي به القرآن الكريم من جهود لبيان معانيه والكشف عن أسراره، فقد نزل القرآن على أمة العرب في زمن كانت تعيش فيه في مجتمع لم يعرف مفاصل الحضارة القريبة من الرقي للأمم المجاورة، فقد كانت أمة أمية، تعيش وضعاً معرفياً محدوداً، جاءها هذا النص وهو يشتمل على المعارف الكونية والأحكام القانونية والقيم الأخلاقية والتصور الكوني الشمولي للإنسان إزاء الله والكون والمجتمع الإنساني برمته.

وترتيباً عليه، فإن لكلّ جيلٍ استعداداته الخاصة به وفقاً لدرجة تحضره واشتغال ملكاته وتقدّم تقنياته، لكلّ جيل استعداداته الخاصة به من النص، فإنّ تطوّر النظر العقلي، كقيل بأن يُعيد قراءة النص وفقاً لما وقّره من قدرة على اكتشاف معانٍ من النص لم يكتشفها الجيل السابق أو الأسبق لا لنقص في عقلية ذلك الجيل، وإنما لأن ذلك الجيل لم يكن قد امتلك بعد أدوات الاستمداد، ولم تظهر في أروقه المكتشفات العلمية والعقلية التي يرغب في اكتشاف ما إذا كان النص يتعارض معها أو يوافقها، أو على الأقل قد سكت عنها بحيث تركها للعقل الإنساني.

إذاً لكلّ عصر حصة من المعاني المتعددة المخبوءة في النص القرآني الثابت في ألفاظه ومبانيه، المتعدد في مضامينه ومعانيه، طالما صمّم بالأصل للإرشاد جميع البشر مهما اختلفت بيئاتهم وعقلياتهم وحضاراتهم وتقنياتهم ونوع مشكلاتهم الفردية والاجتماعية، العقلية والتجريبية. ومما لا شكّ فيه أنّ شخصية الكاتب خليط متجانس من ثقافات متنوعة وعلوم شتى مهدها الكاتب في بوتقة واحدة لتخرج على شكل نتاج متكامل يعتمد على علوم جمة اكتسبها بالتعلم والدرية.

ومما لا يخفى على كل ذي لبٍ أيضاً إن تفسير القرآن الكريم مهمة شاقّة مضنية خطيرة لما يتمتع به القرآن من عمق وشمولية وأحكام وتشابه فضلاً عن تنوّع الغايات

القرآنية بين أمر ونهي وخبر واستخبار وتشريع وعبر وغير ذلك مما جعل منه بحراً يصعب ركوبه فضلاً عن سبر أغواره ومن ثمّ كان التفسير (أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان)^(١) لارتباطه بمقاربة أقدس النصوص وأكملها مما يحتم على المفسر ان يكون ذا ثقافة موسوعية تتفحص كل أنواع الثقافات والعلوم السابقة له والمعاصرة مشتملاً على أنواع المعارف كلها مثل كل كتب التفسير وكتب الحديث والسير والوقائع وكتب الاجتماع واللغة وكتب الأعلام وكتب الفقه وللمشتغلين بالتفسير العلمي بالكتب العلمية بشتى أبوابها واستكمالاً لهذا الفصل سوف نقف فيه على المباحث التالية :

أولاً: علم التفسير .

ثانياً: التفسير العلمي .

ثالثاً: مؤيدو التفسير العلمي وأدلتهم ومعارضوه وأدلتهم .

رابعاً: ضوابط الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم .

(١) السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الإتيقان، ٤ / ١٧٣ .

المبحث الأول :

علم التفسير

(تعريفه... أهميته... أقسامه)

التفسير تفعيل، مأخوذ من الفسر، أو مشتق من السفر، وهو بهذا يخضع إلى طائفتين من الآراء:

الأولى: وتعني بنفس اللفظ وكون جذره الفسر، وتتفرع عن هذا ثلاثة أقوال :

أ (الفسر مصدرًا: وهو الإبانة وكشف المغطى، والفعل منه كضرب ونصر فنقول: فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم فسراً أبانه^(١). وكذلك يراه الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) من الفسر وهو البيان^(٢).

ب (ويرى ابن الانباري (ت ٥٧٧هـ) إن الكلمة من قول العرب (فسرت الدابة وفسرتها، إذ ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول في الكشف^(٣). إلا إن هذا الكشف حسي اخذ إلى المعنى.

ج (ويرى الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، وتابعه السيوطي (ت ٩١١هـ) إن الفسر مأخوذ من التفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء فيكتشفون به المريض فكما إن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها^(٤).

^(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب، ٦ / ٣٦١، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٢ / ١١٠.

^(٢) ابن عطية الغرناطي (ت ٩٧٢هـ) مقدمتان في علوم القرآن، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٧٣.

^(٣) الزركشي، البرهان، ٢٠ / ١٤٧.

^(٤) م ن، السيوطي، الإتيان، ٤ / ١٦٧.

فالدلالة عند هؤلاء تنحصر في اللفظ نفسه من دون اشتقاق من جذر آخر وهو أما من الفسر، وهو البيان، أو من الفسر للدابة إذا أطلقت حصرها في كشف الأمر الحسي للدلالة على أمر معنوي أو من التفسر وهي الكشف، وكل هذه المعاني تدور حول البيان والإظهار والكشف وهي معان متقاربة.

الثانية: إن التفسير تفعيل مقلوب الجذر عن (السفر) فيقال سفرت المرأة سفوراً، إذا أَلقت خمارها عن وجهها فهي سافرة^(١). وتقول: أسفر الصبح إذا أضاء^(٢). والسفر كشط الشيء عن الشيء كما تسفر الريح الغيم عن وجه السماء فتسفر^(٣).

ويضع الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) مقارنة سليمة بين الفسر والسفر فيستعمل الفسر للمعنى العقلي والسفر للمعنى الحسي، فيقوم الأول بتصوير العمل الذهني، والثاني يتكفل في إبراز التشخيص الحسي، فهو يرى ان الفسر والسفر يتقارب معانها كتقارب لفظيهما لكنه جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول... فجعل السفر لإبراز الأعيان للإبصار فقل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح^(٤).

ويرى أمين الخولي صحة هذا الرأي ويؤكد إن المادتين تلتقيان في معنى الكشف، ثم يرى السفر للكشف المادي والظاهرة، والفسر للكشف المعنوي والباطن^(٥).

أولاً: التفسير في الاصطلاح :

أما التفسير في الاصطلاح فقد عُرف بتعاريف كثيرة كلّها تقريبية ليست جامعة ولا مانعة؛ وذلك لدخول كثير من العلوم والقيود في ما هيئته على الآراء، وخروجها في

(١) الزركشي، البرهان، ٢ / ١٤٧.

(٢) السيوطي، الإتقان، ٤ / ١٦٧.

(٣) ابن عطية، مقدمتان في علوم القرآن، ص ١٧٣.

(٤) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤١٢ وص ٦٣٦.

(٥) أمين الخولي، دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير، اوفسيت، (ت ١٩٣٣م)، ٥ / ٣٤٨.

آراء أخرى، فيختلف المفهوم على هذا سعة وضيقاً، فنلاحظ ان توسع به بعضهم فيجعله متناولاً لكل علوم القرآن، ويقتصر به البعض الآخر على الدلالة الموضوعية لألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها، إفراداً وتركيباً، وقسم ثالث يعود به إلى جملة ما في القرآن من مراد الله تعالى.

الرأي الأول: ويمثله الزركشي في البرهان^(١). وتابعه فيه السيوطي في الإتيان^(٢). يقول الزركشي عن التفسير في الاصطلاح: (وفي الاصطلاح هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها وزاد قوم: علم حلالها وحرامها ووعداها ووعيدها وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها)^(٣).

ونقل عنه السيوطي قوله: (التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيّه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)^(٤).

وهنا يلحظ أستاذنا الدكتور محمد حسين الصغير (إن الزركشي ومن تابعه حمل آداب المفسر وشروطه في التفسير وسعة معارفه وإدراكه على الحد الاصطلاحي، بل تجوز على مصادر التفسير في اللغة والنحو وجعل التفسير شاملاً لجملة من علوم القرآن والأحكام والشريعة فهو يتكلم عن التفسير ويريد لوازمه من الإحاطة

^(١) الزركشي، البرهان، ٢ / ١٤٨.

^(٢) السيوطي، الإتيان، ٤ / ١٦٩.

^(٣) الزركشي، البرهان، ٢ / ١٤٨.

^(٤) السيوطي، الإتيان، ٤ / ١٦٩.

والتخصص، ومعرفة طائفة من العلوم التي يعرف بها التفسير وليست هي التفسير^(١).

الرأي الثاني: ويلخصه أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) بقوله: (التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمالك لذلك)^(٢).

فأبو حيان ذهب إلى متعلقات على التفسير التي يتوصل فيها إليه فأشار إلى علم القراءات وعلم اللغة وعلوم البلاغة في المعاني والبيان والبديع وحالة التركيب في الحقيقة والمجاز وتتمت ذلك في معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول.

الرأي الثالث: وهو المعبر عن وجهة نظر المتأخرين، ويحوره محمد عبد العظيم الزرقاني بقوله: (التفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)^(٣).

ويلحظ الدكتور محمد حسين الصغير إن (تعريف المتأخرين أقرب إلى الدلالة الاصطلاحية، وتحديد لمفهوم المصطلح العلمي للتفسير، وحصص إرادته الفنية عليه، وتقبيده: بقدر الطاقة البشرية، لا يخلو من نظر وأصابه)^(٤).

ويلحظ أيضاً إن: (مقارنة تحديد القدامى وضبط المتأخرين تبدو النتيجة الواحدة من التفسير وان عبّر عنها بشكل أو بآخر وهي بيان مراد الله ﷻ من قوله في كتابه

(١) دراسات قرآنية، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم دراسة مقارنة، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ، ص ١٧.

(٢) الزركشي، البرهان، ٢ / ١٤٨.

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربيه، القاهرة، ١ / ٤٧١.

(٤) دراسات قرآنية، ص ١٨.

الكريم، وهنا يلتقي المعنى الاصطلاحي للتفسير بالمعنى اللغوي وهو إرادة الكشف والبيان، وهذا يعني إن المفهوم الاصطلاحي للتفسير منحدر عن الأصل اللغوي له، وهو ما أرجحه وإميل إليه^(١).

ثانياً: الفرق بين التفسير والتأويل :

لقد اهتم الباحثون في علوم القرآن، وكذلك المفسرون في التفريق بين التفسير والتأويل، ويفترض الرجوع إلى اللغة أولاً لمعرفة المعنى اللغوي للتأويل والمعنى الاصطلاحي لهم فيه، ثم بحث الفرق بينهما..

أ (التأويل في اللغة: مأخوذ من الأول وهو الرجوع، قال في القاموس: (آل إليه أولاً ومالاً رجع..... ثم قال: وأول الكلام تأويلاً وتأوله تدبّره وقدره وفسّره)^(٢).

ونلاحظ هنا انه جعل التأويل بمعنى التفسير كأنه باعتبار إن المؤلّ - إي المفسّر - يُرجع اللفظ إلى معناه.

ب (إما في الاصطلاح: فقد قيل إن ما هو المقصود عند السلف غير ما هو المقصود عند المتأخرين، قال محمد حسين الذهبي: التأويل عند السلف له معنيان :

احدهما: تفسير الكلام وبيان معناه - سواء وافق ظاهره أم خالفه فيكون التأويل والتفسير - على هذا - مترادفان، وهذا ما عناه مجاهد من قوله: أن العلماء يعلمون تأويله، يعني القرآن، وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، ويقول: اختلف أهل التأويل في هذه الآية، ونحو ذلك فإن مراده التفسير.

(١) م ن، ص ١٨.

(٢) أبو حيان، القاموس المحيط، ٣ / ٣٣١.

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به، فإذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا هو نفس طلوعها.

المعنى الثالث: التأويل عند المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثه والمتصوفة.. هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح - إي الظاهر - إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به^(١).

وهنا نجد إن الصحيح في التأويل (لا يشترط فيه وجود الدليل أو القرينة على المعنى المرجوح دائماً، ولذلك يطلق التأويل على حمل اللفظ على غير المعنى الظاهر فيه ولو من دون دلالة على ذلك، نعم ربما تكون هناك أدلة أو قرائن خفية يعرفها العارف بالتأويل)^(٢).

ومعنى آخر هو حكمة ومغزى بعض الأفعال مما يخفى على الناس عامة، كما في قضية الخضر عليه السلام مع النبي موسى عليه السلام ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٣). إشارة إلى الحكمة التي ظهرت لأفعال الخضر عليه السلام.

إذن ف(التأويل هو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال والأفعال، فمورده حصول الشبهة في قول أو عمل، أوجبت خفاء الحقيقة (الهدف الأقصى أو المعنى المراد) فالتأويل إزاحة هذا الخفاء)^(٤).

^(١) ظ: التفسير والمفسرون، ١ / ١٧ - ١٨.

^(٢) رياض الحكيم، علوم القرآن دروس منهجية، دار الهلال، ط ٣، ٢٠٠٦ م، ص ١٥٢.

^(٣) سورة الكهف، الآية ٨٢.

^(٤) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط

وبهذا نستشف إن مصطلح التأويل يتصل بالاجتهاد في تقريب معاني الخطاب،
يقول الزركشي:

(والرابع ما يرجع إلى اجتهاد العلماء، وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل: وهو
صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، فالمفسر ناقل والمؤول مستنبط)^(١). فالاجتهاد،
بمصطلح التأويل، يبدو محصوراً في صرف اللفظ عن معناه الظاهر - كما تقدم -
إلى معنى يحتمله موافقاً للكتاب والسنة^(٢).

فالمؤول للدليل يتعامل مع عدد تراتبي من المعاني القريبة والبعيدة لاستنباط
المرجع الموافق للدليل (فمتى أمكنه حمل الشيء على ظاهره كان أولى، إذ العدول
عن الظاهر إلى غير الظاهر إنما يمكن لمرجح^(٣)).

وقد اجتهد اللغويون والمفسرون والأصوليون في تحديد ضابط مصطلح التأويل
ورصد تقلباته في الدليل باعتباره غرضاً يسعى إلى تحصيل المعنى وترجيحه، وانتهى
من آرائهم مثلاً ما أشار إليه السيوطي بقوله: (قال أبو حيان في (شرح التسهيل):
(التأويل إنما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول،
إما إذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلا بها فلا تأويل، ومن ثم كان مردوداً
تأويل أبي علي: ليس الطيب إلا المسك، على إن فيها ضمير الشأن لأن أبا عمر
ونقل إن ذلك لغة تميم)^(٤).

١ (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢ / ١٤٩.

٢ (طاش كبرى زاده احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، تحقيق: كامل بكري وآخر، دار الكتب
الحديثة، ١٩٦٨، ٢ / ٥٧٣.

٣ (أبي حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، مطبعة السعادة، ١٣٥٨ هـ، ١ / ٣٠٨.

٤ (السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩ هـ، ص ٢٩.

وقد أدت مناقشات مصطلح التأويل وعلاقته بالنص من حيث وجوهه ونظائره إلى مشاحنات في اعتباره وسيلة من وسائل الفهم أو مبدأ من مبادئ الخلاف؟ وفي هذه المسألة نجد للتأويل نصيباً من الاهتمام في الدرس الحديث خصوصاً في دراسته باعتباره قضية متشعبة الأغراض، ومن النماذج التي نوردها كتأملات في مصطلح التأويل في علاقته بالنص، ما أشار إليه الدكتور طيب تيزيني في قوله: (إن صيغة التأويل تلك الملتبسة.. تبرز هنا، بمثابته سمة ثالثة للنص القرآني والحديثي، أسهمت بقوة ملحوظة وعبرَ جُلّ الفرقاء في إحالته إلى موضوع بحث نقدي، بقدر أو بآخر، ومن ثمّ في اختراقه بنيوياً ووظيفياً^(١)).

وهنا نلاحظ إن ما قدّمه المؤلف يبتعد عن تحديد المصطلح وتلخيصه للمعنى المراد وجعله هو التفسير عينه ولا يمكن لهذا الأخير إن ينفكّ عنه كعلاقة المجاز بالحقيقة، وبسبب غياب هذا التدقيق نجده يستعمل ما يمكن إن نسميه بتأويل المؤول عندما يريد أن يعلّق على رأي أبي البقاء الكفوي في تحديده مستوى الدراية الذي يتصل بالتأويل ومستوى الرواية الذي يتصل بالتفسير، بقوله: (في هذا التمييز بين (الدراية) و(الرواية) ننتبين ما هو الأكثر خصوصية بكل منها، ولكننا نشير إلى ما لم يشير إليه أبو البقاء والذين عناهم في حديثه، وهو إن عنصر (الذاتية) يمكن إن نلتسمه ليس في (الدراية - التأويل) فحسب، بل كذلك في (الرواية - تفسير)، مما يضعنا أمام صيغة طريفة من (التفسير التأويلي) الذي يمثل بنية مركبة من إحدى لحظات ما أتينا على ذكره تحت حد القراءة الجدلية المركبة^(٢))، ومعنى ذلك انه حسب تيزيني لا يمكن إن نميّز بين التأويل والتفسير وان دائرة التأويل اشمل من دائرة التفسير، الأمر الذي جعله يجمع بين مصطلحين لا يستوعبهما التركيب الذي يقصده بـ (التفسير التأويلي)،

^(١) النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٧، ٥ / ٢٦٤.

^(٢) م ن، ٥ / ٢٦.

فيجعل التفسير خاضعاً لاختراقات تأويلية عبر الاختيارات الإستراتيجية التي يستخدمها المفسر، وذلك عندما يستعين المفسر مثلاً بنمط المعجزة اللغوية والمنظومات الدلالية المشروطة بحدود عصره.

وأما التفسير فقد شاع استعماله في كلمات العلماء والمفسرين في معنيين :

(١) مطلق حمل اللفظ على المعنى، سواء كان ظاهراً فيه أم لم يكن، وسواء كانت هناك قرينة أم لا، وبملاحظة هذا المعنى قد يسمّى حمل اللفظ على المعنى الباطن تفسيراً، فيقولون عنه: انه تفسير بالباطن.

(٢) خصوص حمل اللفظ على المعنى الظاهر منه - الذي رغم خفائه على البعض - وان كان سبب هذا الظهور التأمل والتمعن في نفس الكلام أو القرينة المحيطة بالكلام فيكون التفسير - بهذا المعنى - في مقابل (التأويل) الذي هو حمل اللفظ على غير المعنى الظاهر، وهو اخص من التفسير بالمعنى الأول^(١).

ثالثاً: شرف وأهمية تفسير القرآن الكريم :

وإما شرفه فلا يخفى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢). قال ابن عباس: (يؤت الحكمة من يشاء، قال المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله)^(٣). وقال ابن

(١) للتوسعة في الفرق ظ: رياض الحكيم، علوم القرآن دروس منهجية، ص ١٥٣، د. محمد حسين الصغير، دراسات قرآنية المبادئ العامة للتفسير، ص ١٨، د. عبد الغفار عبد الرحيم، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، دار الأنصار، القاهرة، ص ١٢١، محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص ٢٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٣) الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، التبيان، ٢ / ٣٤٨، ابن كثير (ت ٧٤٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م، ١ / ٣٢٩.

عباس عليه السلام أيضاً: (يعني تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر) ^(١). وقال أبي الدرداء في يؤتى الحكمة قال: (قراءة القرآن والفكرة فيه) ^(٢).

وقد اجمع العلماء إن التفسير من فروض الكفايات واجلّ العلوم الشرعية، وقال الاصبهاني: (اشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن) ^(٣).

وبيان ذلك إن اشرف الصناعة أما بشرف موضوعها مثل الصياغة فإنها اشرف من الدباغة لان موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما اشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة وإما اشرف غرضها مثل صناعة الطب فإنها اشرف من صناعة الكناسة لان غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح وإما بشدة الحاجة إليها كالفقه فان الحاجة إليه اشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة في الكون في احد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه لان به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فانه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاثة إما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وإما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وإما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى ^(٤).

^(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ / ٣٢٩.

^(٢) السيوطي، الدر المنثور، دار المعرفة، بيروت، ١ / ٣٤٨، الشوكاني، فتح القدير، ١ / ٢٩١.

^(٣) السيوطي، الإتيان، ٢ / ١٧٥.

^(٤) ظ: السيوطي، الإتيان، ٢ / ١٧٥.

رابعاً: شروط وآداب المفسر :

البحث العلمي النزيه يُعتبر أساس المعرفة الحقة التي تعود إلى طلابها بالنفع ولذلك فإن تهئ أسبابه لأي باحث في أي مجال من مجالات العلم عامة يجب ان يتحلى باحثه بصفات تكون عوناً له في نضج ثماره ودنو قطوفه، والاشتغال في التفسير من أهم مجالات البحث العلمي، وذلك ان التفسير بوصفه علماً تتوقف ممارسته على شروط كثيرة وآداب خاصة وعامة يجب ان يلتزم بها المفسر، ولا يمكن بدونها أن ينجح البحث في القرآن الكريم وبقوِّق المفسر في مهمته.

أولاً: شروط المفسر:

ويمكن أن نلخص تلك الشروط في النقاط الآتية^(١):

(١) صحة العقيدة: فان العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها وكثيراً ما تحمل ذوبها على تحريف النصوص ومخالفة النقل.

(٢) إن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن فما أجمل منه في موضع فانه قد فصل في موضع آخر وما اختصر في مكان بسط في مكان آخر.

(٣) إن يطلب التفسير من السنة الشريفة حيث هي شارحة للقرآن موضحة له، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢). وقال

(١) للتوسعة: ظ: د. عبد الغفار عبد الرحيم، الإمام محمد عبده، ومنهجه في التفسير، ص ١٢٣، محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص ٢٤٢، محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص ٢٠٧، وقد قسم استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير آداب التفسير الى: الآداب الموضوعية، والآداب النفسية، والآداب الفنية، ظ: دراسات قرآنية، مكتب الاعلام الاسلامي، ايران، ط ٢، ١٤١٣هـ، ص ٣٣ وقد اختصرنا في هذا المقام على الآداب النفسية كما يقتضيه.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٤.

رسول الله (ﷺ): (إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه)^(١).

٤ (العلم باللغة العربية وفروعها فان القرآن نزل بلغة العرب ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، إذ (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)^(٢).

٥ (العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن كعلم القراءات والتوحيد وعلم الأصول وأصول التفسير ناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله.

٦ (دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر أو استنباط معنى، وبالتدبير القائم على النظر التمحيصي وفي التفكير الدال على المناظرة الموجهة فتعيش والحالة هذه من القرآن في صورة تجسد تلك المعاني محسوسة وتهيء لك الألفاظ ناطقة شاخصة فتنفجر الحكمة من مكنها ويفلت الإبداع من مخبأه ويتحقق بذلك التفسير مقترناً بالذائقة الفنيّة يسراً ودقة وأداءً.

٧ (السلامة في جوارح البدن وكذلك المعافاة في نفسه؛ إذ (ثبت أن المصابين في هذين الجانبين تترك إصابتهم بصماتها على نتاجهم الفكري شاءوا أم أبوا، بل وحتى من أصيب بعاهة اجتماعية ظهرت آثار إصابته في كثير مما عمل وكتب وقال)^(٣).

ثانياً: آداب المفسر :

لا جدال في أن حالات المفسر النفسية والروحية، لها عظيم الأثر في عملية التفسير، وهناك آداب للمفسر يجب إن يتحلى بها حتى يكون نموذجاً صالحاً لتطبيق

^(١) احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت، ٤ / ١٣١.

^(٢) الزركشي، البرهان، ١ / ٢٩٢. السيوطي، الإتقان، ٢ / ٤٧٧.

^(٣) محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص ١٥٩.

كلام الله قولاً وعملاً، وقد تحدثت عنها الكتب بالتفصيل. نجملها خشية الإطالة، وهي^(١):

حُسْن الخُلُق والخصال الحميدة كالتواضع والروح العلمية، وأن يتآلف مع القرآن الكريم ويتعاشق مع آياته، وأن يكون ذا صدر واسع ويتحلّى بالحلم والأناة في فهم مداليل الآيات الشريفة والكشف عنها، لا يتصف بالكِبَر والتحيز، ويتعاطى مع التفسير من زاوية سلبية، ويركب مركب التواني والترخي والعجلة، فهذه الصفات تنعكس آثارها سلبياً على عمل المفسر.

من جهة أخرى، إشارة بعض الروايات والآيات الشريفة الى عدد من الحالات النفسية، منها ما رُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: (وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حق تلاوته، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه، وأما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم، وأبعده من مذاهب قلوبهم، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنه ليس شئ أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، وفي ذلك تحير الخلائق أجمعون إلا من شاء الله، وإنما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه، وأن يعبدوه، وينتهوا في قوله إلى طاعة القوام بكتابه، والناطقين عن أمره، وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم، لا عن أنفسهم..)^(٢).

(١) للتوسعة في هذه الآداب ظ: د. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ٣٤٢، د. عبد المجيد محمود مطلوب، مباحث في علوم القرآن والحديث، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر، ٢٠٠٤م، ص ١٨٥، د. محمد أمين فرشوخ، المدخل الى علوم القرآن والعلوم الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٦٨، ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، محاضرات ألقيت على طلبة المرحلة الثانية، مادة: (مناهج المفسرين) في كلية الدراسات الإنسانية في النجف الأشرف، ٢٠١٠م. وقد ذكرت فيها شواهد عدة عن المفسرين ممن تحلى و ممن لم يتحلّى بما ذكرنا اعلاه من آداب، وقد ارجأنا ذكرها هنا لضيق المقام ولأسباب اخلاقية.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٩١/٢٧.

ولعل تأكيد الروايات على الربط بين الفهم الجزئي أو السطحي للآيات الشريفة، وبين الإعداد النفسي لاعتناق الإسلام: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١)، خير شاهد على ما نقول، وكذلك دلالة الآية الكريمة: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢)، على إعراض المتكبرين عن قبول الحق وصدّهم عن آيات الله، كما تُصرح به تنمة الآية، حيث يُمكن لنا من خلالها، الوقوف عن كُنْب على الحالة النفسية للمتكبرين في فهم الآيات.

وان يتحلى المُفسّر بالامتثال والعمل وتحري الصدق والضبط في النقل والتواضع ولين الجانب وعزة النفس والجهر بالحق وحسن السمات والأناة والروية وحسن الإعداد وطريقة الأداء...



(١) سورة الزمر، الآية ٢٢.

(٢) سورة الاعراف، الآية ١٤٦.

المبحث الثاني:

التفسير العلمي (تعريفه، وتاريخ نشأته، تطوره).

أولاً: التفسير العلمي.. تعريفه :

في بادئ الامر نوضح ان المقصود من العلم في عنوان (التفسير العلمي) هو استخدام العلوم التجريبية والتي تُقسم الى قسمين: العلوم الطبيعية (الفيزياء، الكيمياء...)، والعلوم الإنسانية (علم الاجتماع وعلم النفس...).

ولقد عرف الباحثون التفسير العلمي للقرآن تعريفات متعددة، نذكر منها قول العلامة محمد حسين الطباطبائي قال عند تناوله طريقة المتكلمين والفلاسفة والأشخاص الذين يحاولون التوفيق بين القرآن والعلوم الجديدة، أخذ ما يوافق مذهبهم وتأويل الآيات المخالفة: (إن هذا الطريق في البحث أحرى به أن يُسمى تطبيقاً لا تفسيراً)^(١).

والعلامة الطباطبائي أشار هنا الى قسم خاص من أقسام التفسير العلمي فقط، وهو حمل النظريات العلمية وتطبيقها على القرآن، وهو ما يؤدي الى التفسير بالرأي

(١) الميزان في تفسير القرآن، ٧/١. ونجد ان العلامة قد أشار الى قسم خاص من أقسام التفسير العلمي فقط، وهو حمل النظريات العلمية، وتطبيقها على القرآن، وهو ما يؤدي الى التفسير بالرأي الممنوع. كما استفاد العلامة من اكتشافات العلوم في مواضع متعددة من تفسيره، كما هو واضح في الآية ٣٠ من سورة الأنبياء والآية ٤٧ في سورة الذاريات في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، إذ قال ضمن احتمالات تفسيرها: (فيكون المراد توسعة خلق السماء كما تميل إليه الأبحاث الرياضية اليوم)، الميزان في تفسير القرآن، ٣٣٠/١٨، ولهذا نلاحظ ان العلامة لا يرفض جميع أنواع التفسير العلمي للقرآن الكريم.

الممنوع^(١).

وأما الدكتور محمد حسين الذهبي، فقد عرفه بقوله: انه (التفسير الذي يُحَكِّم المصطلحات العلميّة في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مُختلف العلوم والآراء الفلسفية منها)^(٢).

أو هو (تفسير يذهب قائله الى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن، ويرى في القرآن ميداناً يتسع للعلم الفلسفي والإنساني في الطب والتشريح والجراحة والفلك والنجوم والهيئة وخلايا الجسم وأصول الصناعات ومختلف المعادن، فيجعل القرآن مستوفياً بآياته لهذه الحثثيات، ويحكم الاصطلاحات العلمية في القرآن ويجتهد في استخراج هذه العلوم)^(٣).

وهذا غير استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن، وفرق واضح بينهما؛ لأن الأول: يعتقد بتضمن القرآن لجميع هذه العلوم من حيث هي علوم ومعارف.

(١) إذ استفاد العلامة الطباطبائي من اكتشافات العلوم في مواضع متعددة من تفسيره، ولهذا فهو لا يرد جميع أنواع التفسير العلمي. ظ: على سبيل المثال تفسيره في الآية ٤٧ من سورة الذاريات.
(٢) التفسير والمفسرون، ٢ / ٤٧٣. ونجد في هذا التعريف ان الدكتور الذهبي اعتبر التفسير العلمي أعمّ من التفسير الفلسفي، مع أنهما يختلفان حسب تعريف المشهور، فالقصد هنا هو العلوم التجريبية في قبال العلوم العقلية.

وكذلك نجده أشار الى قسمين من أقسام التفسير وهما: "تحميل النظريات على القرآن" واستخراج العلوم من القرآن" في حين يوجد قسم ثالث هو "استخدام العلوم في فهم القرآن".

(٣) أمين الخولي، مناهج تجديد، ص ٢٨٧. ولنفس المعنى ينظر: د. عبد الأمير زاهد، مقدمات منهجية في تفسير النص القرآني، مطبعة الضياء للطباعة، النجف الاشرف، ٢٠٠٨، ص ٢٩. ولنفس المؤلف ظ: الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم قراءة في المنهج، مجلة المنهاج، مركز الخديير للدراسات الإسلامية، العدد ٩، السنة ٥، ٢٠٠٠ م ص ٥٩، محمد علي الرضائي، مناهج التفسير واتجاهاته، تعريب: قاسم البيضائي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط ٣، ٢٠١١ م، ص ١٩٥ وما بعده. وقد افاد المؤلف كثيراً في هذا الفصل من هذين المرجعين.

والثاني: يعتقد أن القرآن حين تناول مظاهر الكون عامة من الشمس والقمر والنبات والمطر، لم يتناولها ليعطينا قواعد علمية عن هذه الأشياء، ولكن ليلفت النظر إلى الدليل النظري الذي يدل على عظمة الله سبحانه، ولن نستطيع أن نلفت النظر إن لم نطلع على العلوم والمعارف، إذ في ضوئها نفهم كثيراً من أسرار القرآن.

وعلى كل حال فإن هذا النوع من التفسير يقوم أصلاً على شرح وإيضاح الإشارات القرآنية التي تشير إلى عظيم خلق الله سبحانه، وكبير تدبيره وتقديره، وهو بهذا دعوة إلى الحق عز وجل وترسيخ للإيمان بما جاء به النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم (١).

ثانياً: نشأته:

من المعلوم خوض القدامى في إعجاز القرآن الكريم فأثبتوه، وبينوا وجوهه وتباينت أقوالهم فيه، فمنهم من أكد على فصاحة اللفظ، ومنهم من أشار إلى بلاغة النظم، وآخرون نهبوا إلى صدق المعاني وما فيه من إخبار بالغيب، وعمد بعضهم إلى جمع ذلك كله وجعل القرآن معجزاً بها مجتمعة (٢)؛ لكن تركيز القدامى على البحث في الإعجاز كان على جهة النظم القرآني أو البلاغة القرآنية (٣) يعتقد بعضهم إن التفسير العلمي من مستجدات القرن العشرين، بسبب غزو أوروبا للعالم الإسلامي بعد تحقيق نهضتها العلمية التجريبية.

والحق، إن في هذا اختزالاً لتجربة عرفها تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، فقد كان

(١) وهذا ما سوف يوظفه المؤلف في كتابه هذا من خلال الفصل الثالث عند تناوله الآيات الكونية في القرآن الكريم.

(٢) ظ: أحمد شهاب الدين الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، ١٣٢٧هـ، مصر، ٥٤٤/٢، وكذا ما مر بنا في متن الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٣) ظ: أوجه الإعجاز، الفصل الأول من هذا الكتاب.

القرن الثالث هو قرن انتقال (علوم الأمم الأخرى) بالترجمة إلى الثقافة الإسلامية، وكان من ضمنها أبحاث جليلة في البصريات والكيمياء والطب والتشريح عُدت آنذاك، أجزاء من الفلسفة، وهكذا امتد تأثير هذه العلوم إلى التفسير .

فنلاحظ في المرحلة الزمنية (القرن الثاني الى الخامس الهجري) حيث بدأ ترجمة الآثار اليونانية الى اللغة العربية، وسعى بعض علماء المسلمين الى تطبيق بعض آيات القرآن على الهيئة البطليموسية كأبن سينا (ت ٤٢٨هـ)^(١)، وكذلك نلاحظه في تفاسير المعتزلة، كتفسير الجبائي وما أمر به ابن تومرت من الحمل على التأويل^(٢). والرماني (ت ٣٨٥هـ) ومن سار على منهجهم، ومن ذلك رأي المطهر بن طاهر المقدسي المسمى (البدء والتاريخ (٣٥٥هـ)) الذي لا يستطيع إن يخفي سروره حينما يوفق إلى تأييد إحدى المعجزات بأدلة العقل الذي يعده أم العلوم جميعها^(٣).

فهو يعالج المعجزات النبوية ويبين جريانها على سنن الطبيعة، وينتهي إلى استخلاص مهم، وهو إن الشيء قد يكون معجزة في وقت ويكون بعينه غير معجزة في وقت آخر، ويكون معجزة لقوم وغير معجزة لقوم آخرين^(٤).

١) هناك بعض الأشارات العلمية في بعض الأحاديث الواردة عن أهل البيت (ع) في تفسير آيات القرآن كعدد المشارق والمغارب في سورة المعارج الآية ٢٠، ظ: الشيخ الصدوق، معاني الاخبار، ص ٢٢١، وكذا أسماء بعض الكواكب في سورة التكوير: ١٥-١٦، ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٦٧٧/١، ولكن هذا لا يُعتبر من التفسير العلمي الاصطلاحي، لأنه لا يستفيد من الكشوفات العلمية في التفسير بل يُعتبر جزءاً من التفسير، الروائي، والأسرار العلمية لأهل البيت (ع).

٢) ظ: آدم متز، الحضارة الإسلامية، ترجمة: محمد أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٦٧، ١ / ٣٦٥.

٣) المقدسي، البدء والتاريخ، ١ / ١٧٥.

٤) م ن، ٥ / ١٧٣.

لذلك، انقسم الناس، من القدماء، في قبول هذا الاتجاه أو رفضه إلى فريقين سنذكرهما ونذكر أقوالهما في المبحث القادم، على إن الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) قد ضمّن تفسيره التبيان إشارات علمية تنم عن الروح العلمية التي اتّسمت بها ثقافته، وتوحي بانتهاجه منهجاً عقلياً منفتحاً على ما في الكون من معارف وعلوم، ومن ذلك قبوله لفكرة كروية الأرض؛ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(١).

والرازي ممن مارس عملية التفسير العلمي في كتابه (مفاتيح الغيب) ضمن أدواته في التفسير، وأيد هذا الاتجاه الزركشي والسيوطي وأبو بكر بن العربي والرماني وغيرهم. قابلهم، في رفضه والتشديد في إنكاره، الشاطبي وأبو حيان الأندلسي التوحيدي.

أما حديثاً: ففي القرنين التاسع عشر والعشرين، اندفع الأوروبيون لاحتلال أجزاء من الوطن العربي الإسلامي، ونقلوا مع جيوشهم العلوم والتقنية التي توصلوا إليها، وكان المسلمون قد عاشوا خارج التطور الزمني للمعرفة سبعة قرون، فأيقظهم هذا الاكتساح العسكري والثقافي والعلمي التجريبي، وبدا الصراع الحضاري في إغراق الصحوة الإسلامية الأولى، فالمسلمون وجدوا هويتهم وذاتهم في التمسك بالقرآن والسنة والثقافة الإسلامية وإن كانت القطيعة المعرفية قد امتدت عدة قرون، فهناك فجوة بين (الفكر والثقافة والعلم الأوروبي) وبين الثقافة الدائرة حول النص القرآني وشروح السنة والفقهاء المتوقف تطوره لعدة قرون.

هذه الفجوة الحضارية شكلت مشكلة فكرية لا يمكن للمسلمين، في هذه الآونة، حرق المراحل لرفع النص وثقافة النص إلى مستوى التحديات الفكرية والفقر على فجوة

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢. ظ: التبيان في تفسير القرآن، ١/١٠٣.

القطيعة، ولأنهم مغلوبون مادياً وثقافياً.

وهنا نلاحظ إن هناك فرق بين الوضعين:

(١) فالمسلمون حينما انفتحوا على الفكر الغربي في العصر العباسي كانوا على مستوى من العافية الفكرية والعقدية والمنهجية بحيث تقبلوها وتمثلوها، ثم ميزوا ما ينفعهم منها مما لا ينسجم مع فكرهم فقد اخضعوا الوافد الفكري لمعاييرهم الإسلامية، وهم الذين قادوا الوافد الفكري، ولم يستسلموا للوافد الغربي وبتيحوا له قيادة العقل الإسلامي.

وعلى الرغم من ذلك، كانت هناك الحركة الفكرية إزاء هذا الوافد، تحلله وتقييمه وتشخص المفيد منه، لان تلك الأجيال كانت متصلة في الإبداع مع القرون الأولى المتصلة بأصول الرسالة الإسلامية (القرآن والسنة).

يقول جوارافسكي: (والحقيقة إن الإسلام لم يعط أوروبا معارف جديدة وحسب، بل أثر جوهرياً في طبيعة نمو العمليات الثقافية وتطورها، وساعد في كثير من الحالات على تشكيل الوعي الذاتي الأوروبي)^(١).

وترى عزيزي القارئ إن: (الإسلام لا يمنع المجتمع الإسلامي من الأخذ بأحدث ما ابتكره العقل البشري من تنظيمات وطرائق فنية، وأساليب تكنولوجية، وصيغ إدارية للتعامل الكفاء والفاعل مع الأشياء بهدف أعمار الأرض، وتقدم المجتمع، ولكن لا بدّ من إن يخضع الاقتباس لضابط العقيدة التي تخضع لجميع عوامل الأخذ عن الآخر إلى نطاق حدود التشريع الإسلامي، فهي تمثل الحصانة الواقعية من كل دخيل

(١) الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة: د. خلف محمد الجراد، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص٤٢.

على الإسلام^(١).

٢) بينما الوضع في القرن العشرين، مختلف، فقد كانت الأمة قد خرجت توأ من قرون ستة لم تتحرك قواها الإبداعية، وبين الأمرين فارق كبير جداً^(٢).

إذ (فاجأت صحوه أوروبا الهائلة المسلمين وهم في غفلة من أمرهم وبعده عن دينهم وجاءهم الاحتلال، ومن بين يديه ومن خلفه إبداعات حضارية أخاذة وفاتنة، وزاد الطين بلة، أن كان المسلمون في مدة ركود حضاري وجمود اجتماعي سببه الأول: التقريط في تطبيق دينهم تطبيقاً صحيحاً، لذلك كانوا هم الطرف الضعيف في هذا الصدام، لهذا كانت لديهم قابلية شديدة للتأثر ونشرب الأنماط الوافدة...)^(٣).

وبداهة لم تكن عوائد الغرب شراً كلها، ولكن قانون الاجتماع البشري، وطبائع الأشياء تقتضي بان الاقتباس هنا لا يكون إلا في قشور الأشياء، وليس في لباب الحضارة، وسجل المؤرخون وعلماء الاجتماع هذه الظاهرة مراراً^(٤).

ويرى الدكتور زاهد مصداق هذا الاستسلام ما جاء في تفسير المنار، وهو تفسير مدرسة الإمام محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا الذي قال: (إن إدخال مباحث علوم الكون في التفسير هو من أهم أركانه، والعمل بهدي القرآن فيه.. وكان سلفنا من مفسري السلف والخلق يذكرون ما يعلمون من أسرار الخلق وكذا ما يتلقون عن أهل

(١) د. محمد كاظم حسين الفتلاوي، حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨، ص ٢٥٢.

(٢) د. عبد الأمير زاهد، دور الجامعات، ص ٨.

(٣) د. محمد كاظم حسين، حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي، ص ٢٥٣.

(٤) قال ابن خلدون، (ت ٨٠٨ هـ): (إن المغلوب مولع أبداً بالغالب في شعاره وزيه، ونحلته وسائر أحواله وعوائده، حتى انه إذا كانت أمه تجاوز أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا الشبه والافتداء حظ كبير.)، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٤٧.

الكتاب^(١). وذكر أقوال الأطباء في ضرر الخمر وما قاله علماء الفلك في السماوات والأرض^(٢). وما قاله العلماء في تصرف الأرواح والرياح وأسبابها ومنافعها.

ثم أعقبه محمد احمد الاسكندراني (ت ١٣٠٦هـ) في كتابه (كشف الاسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية، والأرضية، والحيوانات، والنباتات، والجواهر المعدنية)، ومن المتأخرين الدكتور صادق عبد الرضا علي في كتابه (القرآن والطب الحديث)، وغيرهم ممن سترد أسماؤهم وكتبهم وأدلتهم، وقابل هؤلاء الشيخ محمود شلتوت وأمين الخولي والعقاد وغيرهم في رد هذا الاتجاه إلى مجموعة استدلالات في الوقوف بوجهه سنذكرها في المبحث القادم.



(١) تفسير المنار، ٩ / ١٥٤.

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٢ / ١٥٩.

المبحث الثالث:

المؤيدون والمعارضون لاتجاه التفسير العلمي:

كأي اتجاه جديد لا بدّ من أن يكون له من يتبناه ويستند في ذلك إلى أدلة لتسويقه، وله من يعارض وله أدلة يستند إليها لردّه ومنعه، فالتفسير العلمي اتجاه جديد ظهر في القرن الرابع الهجري، وكان له في القرنين الخامس والسادس الهجريين دور، ثم خبا أمره، وعاد ليظهر في مؤلفات عديدة في القرن العشرين، ولا يزال التصنيف فيه مستمراً.

وإن الغالب على هذه الدراسات أن تكون مبنية على الموضوعات^(١). وعُرف البحث في هذا الموضوع بالتفسير العلمي^(٢) أو الاتجاه العلمي في التفسير^(٣) أو التفسير العصري^(٤).

والذين أرخو تيارات التفسير صنّفوا العلماء إزاء هذا الموضوع صنفين: المعارضون والمؤيدون^(٥). غير أن الواقع يقتضي مزيداً من التدقيق والضبط فيصنّف

١) ينظر على سبيل المثال أحمد محمد سليمان، القرآن والعلم، دار العودة، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م، د. عبد الغني عبود، الاسلام والكون، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٨٢م..

٢) د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٤٠/٣، أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ١٩٦١م، القاهرة، ص ٢٨٧.

٣) ظ: د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٢٤٧.

٤) ظ: د. بنت الشاطي، القرآن والتفسير العصري، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠م، وفي هذا الكتاب رد على د. مصطفى محمود في كتابه: القرآن.. محاولة لفهم عصري.

٥) للتوسعة ينظر: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١٤٠-١٥١، د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ص ٢٩٥، د. عبد الامير زاهد، الاتجاه العلمي

المعارضون صنفين:

١- المعارضون مطلقاً.

٢- المعارضون المتحرزون.

أولاً: المؤيدون من القدماء والمحدثين:

١- القدماء.

عُرف من القدماء ممن أيدّ التفسير العلمي أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وكان سباقاً إلى هذا الاتجاه، حيث دعا إليه في كتبه وبين إن القرآن الكريم منبع العلوم الدينية والذنبوية، فقد ورد عنه في (إحياء علوم الدين) انه يذهب إلى إن في القرآن سبعة وسبعين ألفاً ومائتي علم إن لم نقل هذا العدد مضروباً في أربعة، لان لكل كلمة في القرآن حداً ومطلعاً وظهراً وبطناً، ويرى الغزالي تبعاً لذلك إن في القرآن رموزاً ودلالات على النظريات والعقليات يختص أهل الفهم بإدراكها^(١).

وألف بعد (إحياء علوم الدين) كتابه الآخر الذي سماه (جواهر القرآن)، وفي كتابه هذا أكثر وضوحاً في تأييد الاتجاه العلمي للتفسير، حيث ذكر في الفصل الخامس منه أصناف العلوم، فيذكر علم الطب والنجوم وهيأة العالم، وهيأة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، وعلم السحر والطلّسمات... وغير ذلك. ولكيفية انشعاب علوم الطبيعة والرياضة والطبّ وغيرها من القرآن^(٢). معللاً ذلك بأنّ الظواهر الطبيعية

في تفسير القرآن الكريم قراءة في المنهج، ص ٥٩، وقد وقفت أخيراً على دراسة د. عبد الله شحاته: تفسير الآيات الكونية، دار الاعتصام، ١٩٨٠م، حيث صنف المؤلف العلماء في هذه المسألة في ثلاث اتجاهات: اتجاه مؤيد، واتجاه معارض، واتجاه وسط، ص ٧-٨ .

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣ / ١٥٣.

(٢) ظ: الغزالي، جواهر القرآن، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨، ص ٢٦.

جميعها أفعال لله، ويمثل لذلك بأمثلة كثيرة منها ما ورد في الفلك من إن الله قد قدر القمر منازل حتى عاد كالعرجون القديم، وذلك ليعلم الناس عدد السنين والحساب، وإن الشمس ليست ثابتة، إنما هي كوكب متحرك لقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١).

ومن الأمثلة أيضاً ما يقوله في فهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٢)، إذ يقول: (لا يمكن تفسيرها إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددها وأنواعها، وحكمها ومنافعها، وقد أشار في القرآن في مواضع إليها، وهي علوم الأولين والآخين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخين)^(٣).

وبهذا يظهر توظيف الغزالي للثقافة العلمية التي توضح النص، ويؤيد ظهورها في تفاسير المسلمين الذين اعتنقوا تلك الفكرة كالرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) فحاول أن ينقل أفكار الغزالي إلى دائرة التطبيق العملي، فملاً تفسيره بأنواع العلوم والمعارف الإنسانية التي كانت سائدة في عصره، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٤). ناقش مدى تصوّر نزوله من السماء (الكواكب)، أم من عموم ما علا الإنسان (الغيوم والسحاب المرتفعة)، وينقد رأي الجبائي في ما ذهب إليه من انه عبارة عن بخار متجمع يتصاعد، فيتصل بسقف أملس وهو الهواء البارد الذي يوجب الثقل والنزول، وحيث إن الأرض كروية الشكل، فان الماء يرجع إلى نقطة المركز^(٥). فيرى

^(١) سورة يس: الآية ٣٨.

^(٢) سورة الانفطار: الآية ٦ - ٨.

^(٣) جواهر القرآن، ص ٣٤.

^(٤) سورة الإنعام: الآية ٩٩.

^(٥) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٢ / ١٠٢.

ذلك مما يحتاج إلى رؤية أعمق، بينما يذكر في مكان آخر، انه صعد إلى جبل (فرداخان) في (كابل) ليرى المطر ينزل من السحاب.

ومثالنا الآخر عند الرازي في تطبيق المسائل العلمية على القرآن، انه استدل على سكون الأرض بالآية الكريمة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(١)، وكذلك ناقش الرازي الآراء الفلكية القديمة لبطليموس، وقدماء الهند، والصين، وبابل، ومصر، والروم، والشام، وهو في معرض تفسيره للآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ومع هذا الاتجاه المحدث البيهقي الذي يذكر في سننه، في باب أصول العلم، إن القرآن خبر الأوليين والآخرين^(٣).

ثم يعضدهم الزركشي في (البرهان) تعقيباً على قول الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤). أو قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥). فيرى ذلك مستنداً لما في القرآن من إشارات لأصول العلوم والعقليات.

وفي أثناء تعداده للعلوم الموجودة في القرآن يقول: (ونظر قومٌ إلى الآيات الدالة في حكم الله في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج، فاستخرجوا منه

١) سورة البقرة، الآية ٢٢، ظ: مفاتيح الغيب، ٩٤/٢

٢) سورة البقرة، الآية ١٦٤، ظ: مفاتيح الغيب، ١٦١/٤.

٣) السيوطي، الإتيقان، ٢٤ / ٤.

٤) سورة الإنعام: الآية ٣٨.

٥) سورة النحل، الآية ٨٩.

حكم الموافيت، ويرى إن القرآن حوى علوم الطب والهيئة والجبر وأصول الصنائع^(١).
تابعه على هذا المنهج السيوطي، وقد أورد مجموعة آيات دالة على أصول
العلوم^(٢).

وهذا الاتجاه تبنّاه أبو بكر بن العربي في كتابه (قانون التأويل) الذي يرى إن العلوم القرآن (٧٧٤٥٠) علماً على عدد كلماته مضروبة في أربعة ثم يضيف إن هذا من دون اعتبار التراكيب والروابط، لكنه يرى مجمل هذه العلوم لا تخرج عن التوحيد والتذكير والأحكام، ويرى أن التوحيد يتحقق في معرفة المخلوقات، والعلوم أداة لمعرفة وظائف أعضاء هذه المخلوقات وفي التذكير إن كشف الأسرار في المخلوقات ابلغ أدوات التذكير، وفي الأحكام (منافع ومضار) في متعلقاتها، فحرمة الخمر متعلقها المضرة، ووجوب الزكاة متعلقها المصلحة العامة للناس.

لذلك ذهب الرماني المعتزلي إلى أن في النص القرآني فصول المعرفة جميعها.

ولهذا يقول السيوطي: (اشتمل كتاب الله على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها وعدد علومه في عجائب المخلوقات وملكوت السماوات، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى، وبدء الخلق)^(٣).

ومن المحدثين أيضاً نجد ان العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تعرّض لهذا النوع من التفسير في بعض أجزاء كتابه، وذكر أنه لا يوجد تعارض بين (السماوات السبعة) الموجودة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

^(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤ / ٢٢.

^(٢) الاتقان، ٢ / ٢٧١.

^(٣) السيوطي، الإكليل، ص ٢ - ٥.

سَمَوَاتٍ ﴿١﴾، وما ثبت في علوم النجوم من الأفلاك التسعة؛ لأن الفلك الثامن والتاسع في لغة القرآن هو الكرسي والعرش ﴿٢﴾.

وكذلك ما نلحظه عند الملا صدرا الشيرازي (١٠٥٠هـ): الفيلسوف الشهير، أكد على هذا الاحتمال في تفسيره ﴿٣﴾، وكذلك الملا هادي السبزواري ﴿٤﴾، والسيد هبة الدين الشهرستاني (ت ١٣٦٨هـ) إذ استدل على حركة الأرض بالآية الكريمة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ ﴿٥﴾، وكان يعتقد بأن تأييد وتصديق العلوم، والاكتشافات العلمية عن طريق الدين والعلماء، هو سبب من أسباب تقوية إيمان الناس ﴿٦﴾.

ولأن هؤلاء في مؤلفاتهم موسوعيون، فقد أدرجوا التفسير العلمي في تفاسيرهم ضمناً ولم يفرده بمؤلف مستقل، ويظهر إنهم ليسوا بحاجة إلى تسويغ هذا الاتجاه، لعدم ظهور معارض له آنذاك.

فتلحظ عزيزي القارئ ان القدماء من المفسرين قد توغلوا بعلوم القرآن في استخراج العلوم المختلفة من القرآن الكريم توغلاً شديداً حتى أنهم لم يتركوا علماً من العلوم إلا قالوا: إن القرآن قد تحدث عنه أو أشار إليه إشارة قوية قريبة أو بعيدة، كأنهم بذلك أرادوا تطبيق الآية الكريمة بقول الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿٧﴾، فكل ما

١) سورة البقرة، الآية ٢٩.

٢) ظ: بحار الأنوار، ٥/٥٧.

٣) ظ: محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، منشورات بيدار، قم، ط ٣، ١٣٦٦هـش، ٢/٢٨٩.

٤) ظ: شرح المنظومة قسم الفلسفة، منشورات قم، ط ٦، ١٣٦٩هـش، ص ٢٦٩.

٥) سورة البقرة، الآية ٢٢.

٦) الإسلام والهيئة، ترجمة: خرمشاهي، مطبعة الغري، النجف الاشرف، (دت)، ص ١١٠.

٧) الذهبي، التفسير والمفسرون، ٢ / ٥٠٨.

يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم قد ذكره في القرآن مفصلاً أو مجملاً، اذكر منها، مثلاً، مثالهم في الآيات التي لها صلة بالطب، فقالوا في قوله تعالى عن العسل انه: ﴿ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾^(١). وفي مجال الصناعات: ﴿ أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴾^(٣)، فيه إشارة الى بناء السفن وما يستخدم فيها من نجارة.

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا ﴾^(٤)، فيه إشارة الى صناعة النسيج.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾^(٥)، والحرث تهيئة الأرض للزراعة وإلقاء البذور فيها للإنبات، وفي ذلك إشارة الى الحرثة.

وغير ذلك كثير من الآيات التي تشير الى الصناعات المختلفة والآلات التي تستعمل فيها، وتدعو الضرورة إليها ولا نذكرها كلها بطبيعة الحال، وإنما اكتفينا بذكر بعضها باعتبارها أنموذجاً للكيفية التي ينظر بها العلماء المتقدمون الى القرآن المجيد واستنباط ما فيه من آيات تشير الى العلوم والصناعات، فكلما ذكر لفظ يحمل معنى من تلك المعاني أو يشير الى ما كان يستخدمه الناس في حياتهم ومعاشهم اعتبروه دليلاً على أن القرآن قد جاء بعلوم الأولين، وتحدث عنها، وحوى الى علوم الدين

(١) سورة النحل، الآية ٦٩.

(٢) سورة الكهف، الآية ٩٦.

(٣) سورة هود، الآية ٣٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤١.

(٥) سورة الواقعة، الآية ٦٣.

وفروعه علوم الطب والفلك والهندسة والزراعة والصناعة حتى يتحقق معنى قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

وكذلك يمكن القول ان نظرة المفسرين المتقدمين الى آيات القرآن الكريم التي اشتملت على ألفاظ تدل على معناها بطريقة عفوية فيها من الفطرة والبساطة أكثر مما فيها من الاستعانة بوسائل العلم وامتلاك أسبابه، واستخدام آلاته، فإننا نلتمس لهم العذر إذ لم يكن العلم قد تطور في زمنهم هذا التطور العظيم الذي نلحظه الآن في عصرنا الحديث وما فيه من إمكانيات هائلة ووسائل علمية متطورة وآلات دقيقة تساعد الباحثين على الاستمرار في أبحاثهم والتوصل الى أهدافهم.

٢: المحدثون :

فإذا انتقلنا الى العصر الحديث وجدنا بعض العلماء المتخصصين يتناولون القرآن من وجهة نظر علمية صرفة لإثبات ما فيه من إعجاز وسبق علمي أشارت إليه الآيات التي تتفق وما يتوصل إليه العلم في أوج تقدمه.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: (ولقد نما الاتجاه العلمي في العصور الأخيرة، فظهرت تفاسير ومؤلفات مستقلة أودع فيها أصحابها كل ما توصل إليه العصر من علوم ومعارف)^(٢)، ولعل مرد ذلك إن العالم الإسلامي انقطع تواصله، بعد غيبة مفروضة عليه، مع حركة العلم لمدة استمرت عدة قرون وكان المسلمون أشبه بالنيام الذين استيقظوا على مدافع نابليون حينما غزا مصر في القرن الثامن عشر (١٧٩٨م). ومعه التقنيات الغربية، وإزاء هذا الحدث العظيم حاول المفكرون المسلمون تعويض هزيمتهم الحضارية بإظهار سمو المضامين العلمية في النص القرآني^(٣).

(١) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٢) علوم القرآن والتفسير، طبع دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١م، ص ٩٢.

(٣) ظ: د. عبد الأمير زاهد، مقدمات منهجية في تفسير النص القرآني، ص ٣٨.

فكان أن ألف باحث اسمه محمد بن احمد الاسكندراني في سنة ١٢٩٧هـ، كتاباً اسماه (كشف الأسرار النورانية القرآنية في ما يتعلق بالإجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية)^(١)، ثم ألف عبد الله باشا فكري رسالة قارن فيها بعض مباحث الهيئة بالوارد من النص القرآني في سنة (١٣١٥هـ)^(٢)، ثم جاء كتاب عبد الرحمن الكواكبي (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) وهو عبارة عن مجموعة مقالات وصف القرآن فيها بأنه: (شمس العلوم وكنز الحكم)^(٣). إن أهم ما يستفاد من تنظيرات الكواكبي ما كشف عنه من ثغرة في التفكير العلمي عند المفسرين، فقال: (إن السرّ في إحجام العلماء عن تفسير الآيات الكونية والأخلاقية في القرآن إنهم كانوا يخافون مخالفة رأي بعض السلف القاصرين في العلم، فيُكفّرون ويُقتلون)^(٤).

وعن أهمية التفسير العلمي يرى الكواكبي إن العلوم هي (الكاشفة عن إعجاز القرآن الكريم)، وأن الإعجاز هو أهم مسألة في الدين، لم يفوها حقها من البحث، واقتصروا على ما قاله بعض السلف في فصاحته وبلاغته وإخباره^(٥).

ويرى انه لو أطلق للعلماء عناء التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق لأهل الخرافات لرأوا فيه الألوف من آيات الإعجاز.

ولرأوا في كل يوم آية تجدد مع الزمان والحدثان، لان في ظهور النص مؤيداً للمكتشف، إظهار للإعجاز القرآني، ويُعدّ شاهداً انه كلام لا يأتيه الريب، فإذا كان العلم قد اكتشفَ إن مادة الكون أثيرية فقد كان القرآن قد وصف السماء بأنها دخان

١) طبع في مصر سنة ١٢٧٩هـ...

٢) طبع بالقاهرة سنة ١٣١٥هـ.

٣) الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص ٢٢.

٤) م ن.

٥) م ن.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(١). وكون الكواكب في حركة دائمة قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢).

ومن هؤلاء:

الدكتور مصطفى صادق الرافعي، في كتابه (إعجاز القرآن)، فقد عقد فصلاً خاصاً بـ (القرآن والعلوم) قرر فيه (أن القرآن بآثاره النامية معجزة أصيلة في تاريخ العلم كله.. إلى ما شاء الله)^(٣). ثم الطبيب الدكتور عبد العزيز إسماعيل الذي ألف كتاباً اسمه (الإسلام والطب الحديث)، المؤلف من مجموعة من مقالات نشرها في مجلة الأزهر، وقد طُبع سنة (١٣٥٧ هـ)، ويرى إن في القرآن آيات لا يفهم معناها الحقيقي إلا من درس العلوم الحديثة^(٤). ويرى انه سيأتي الوقت الذي يكون فيه العلماء الماديون اقرب الناس إلى الدين^(٥).

وقد استفاد من هذا التراكم الشيخ المفسر طنطاوي الجوهري (ت ١٩٤٠م) الذي ألف تفسيره المسمى (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) ويقع في ٢٥ مجلداً.

والشيخ الجوهري كان منذ صباه مولعاً بهكذا كشائف علمية دينية، مغرماً بالعجائب الكونية، ومُعجباً بالبدايع الطبيعية، مشوقاً الى ما في السماء والأرض من جمال وكمال وبهاء كما يقول هو عن نفسه في مقدّمة تفسيره، إذ قال: (لَمَّا تَأَمَّلْتُ الأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ، وتعاليمها الدينية، أَلْفَيْتُ العُقَلَاءَ وبعض أَجَلَّةَ العُلَمَاءِ، عن تلك

(١) سورة فصلت: الآية ١١.

(٢) سورة يس: الآية ٤٠.

(٣) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة العربية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ٧، ١٩٦١، ص ١٢٨.

(٤) عبد العزيز، الإسلام والطب الحديث، ص ١.

(٥) م ن، ص ١٢١.

المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكّر في خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب. فأخذت أوّلّف كتباً لذلك شتّى، كنظام العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصّع، وجمال العالم... ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقةً لعجائب الصنع.. (١).

ويرى الشيخ الطنطاوي إن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية لم يعتن بها، بينما حفلت مئات قليلة من آيات الأحكام بالآلاف الكتب، ويرى أن الإسلام جاء للأمم كثيرة، وإن سور القرآن متممات لأمرٍ أظهرها العلم الحديث (٢). ويرى انه إذا كانت معرفة آيات الأحكام فرض كفاية، فالآيات العلمية فرض عين لوجوب معرفة الله على كل فرد قادر (٣). وهذا الأتمودج يطوّر نظام التعليم الإسلامي، لأن علوم البلاغة ليست هي نهاية لعلوم القرآن، بل هي علوم لفظه، والمطلوب اليوم علوم معناه، وخالصة الدواعي أن تفسيره تخصص في علم الكائنات في القرآن (٤).

ومما تجدر إليه الإشارة ان هذا الاتجاه لم يلق قبولاً لدى الناس لأنه، فيما يرون، حمل القرآن أكثر ما تحمله آياته، فنال تفسير الجواهر جملة من الانتقادات، منها فهم آيات القرآن على ضوء معطيات تقدم الغرب والافتباس منه، يقول الدكتور محمد حسين: (فأوسع تفسيره نقلاً عن مزاعمهم ودعواهم مما أدخل الضعف والفساد على كتابه ذلك في كثير من المواضع) (٥). ومنهم من يرى انه حسن النية ولكنه أخطأ

١) الجواهر في تفسير القرآن، ٢ / ١.

٢) ظ: الجواهر في تفسير القرآن، ٣ / ١١.

٣) ظ: م ن، ٣ / ١١.

٤) ظ: م ن، ٣ / ١١.

٥) حصوننا مهددة من داخلها، مكتبة المنار، الكويت، ١٩٦٨م، ط٢، ص ٣٠٩.

طريقه^(١)، ولعل من الوقائع الدالة على حملة النقد وتفاقمها مصادرة الحكومة السعودية لتفسير الجواهر^(٢). وعدم سماحها بدخوله إلى البلاد^(٣).

ومع هذا الاتجاه - التفسير العلمي - الألوسي وابن باديس ومحمد عبد الله دراز وحسن ألبنا وكذلك نلحظ الدكتور محمد احمد الغمراوي في كتابيه: (بين الدين والعلم) و(في سنن الله الكونية) وكذلك مجموعة التفاسير العلمية التي نشرها في المجالات المصرية، لاسيما مجلة الأزهر الشريف، ثم طبعت بعد وفاته سنة ١٩٧٣م تحت عنوان: (الإسلام في عصر العلم)^(٤)، ويرى الدكتور الغمراوي (أن في القرآن إعجازاً علمياً لا يجرؤ المكابر أو الملحد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه)^(٥).

وكذلك نلحظ حنفي احمد في كتابه: (التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن) واحمد عزت باشا في كتابه: (الدين والعلم)، ومحمد الطاهر بن عاشور^(٦)، والشيخ محمد متولي الشعراوي^(٧)، ومحمد عبد الحليم أو زيد^(٨)، والدكتور البشير التركي^(٩)، ومحمد عبد المنعم الجمال^(١٠)؛ والدكتور صلاح الدين الخطاب^(١١)، وغيرهم^(١).

(١) ظ: د. محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص ٣٠٣.

(٢) ظ: الذهبي، التفسير والمفسرون، ٢ / ٥٠٨.

(٣) ظ: الجواهري، الجواهر في تفسير القرآن، ٢٥ / ٢٣٨.

(٤) د. محسن عبد الحميد، علوم القرآن والتفسير، ص ٩٢.

(٥) الإعجاز العلمي للقرآن، دار الفكر، بيروت، ص ١٥.

(٦) التحرير والتنوير، ١ / ١٠٤ - ١٠٥.

(٧) معجزة القرآن، تونس، ط ١، ١٩٨٣.

(٨) ظ: مجلة الأزهر، ١٨ / ٥٦٠.

(٩) ظ: الله والعلم، تونس، ١٩٧٩م، ص ٨٨.

(١٠) ظ: التفسير الفريد، القاهرة، ١٩٧٠م.

(١١) ظ: الجانب العلمي في القرآن، مطابع مصر، ١٩٧٠م.

أدلة المجيزين وملخص ما يستدل به من تبني الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الأمور الآتية:

(١) إن الله تعالى أمر بالتدبر في كتابه الكريم أمراً على سبيل الوجوب العيني، بينما أمر بالنتقته بأحكام الكتاب على سبيل الوجوب الكفائي، وإن آيات العلوم الكونية أكثر من سبعمائة وخمسين آية، بينما آيات الأحكام لا تعدو مائة وخمسين آية في أقل الآراء، وخمسمائة في أكثر الآراء تقديراً مع المتكرر، فلزم من المقدمتين العناية من الكل بالآيات العلمية.

(٢) إن التوحيد والعقائد مما يجب تحصيله عقلاً على نحو الاستقلال ولا تتم معرفته إلا بمعرفة عجائب الخلق، ولا يتم هذا إلا بالدمج بين القرآن والعلوم، فهذا المزج أكثر ترسيخاً للعقيدة.

(٣) يرى بعض العلماء أن تقدم الفلسفة والعلوم التجريبية في الغرب دليل على بطلان منهج القدماء (المنهج العقلي الأرسطي)، ثم إنه لا يمكن الاعتماد على الروايات في التفسير لاختلاطها بالإسرائيليات، ووجود الوضع، وكثرة الكذب، فلم يبق إلا التفسير العلمي، أي تفسير القرآن على ضوء النظريات، والفرضيات العلمية^(٢).

(٤) إن هذا المزج يوضح إثبات البرهان أو إقامته على عدم التعارض بين الحقيقة الدينية والحقيقة العلمية، وهذا من صلب المعتقد، وفي هذا إثبات لاستمرار حاكمية النص القرآني المعصوم على المنجز العلمي التجريبي.

(٤) التفسير العلمي يؤدي إلى إقبال غير المسلمين على القرآن، وخصوصاً من

(١) ظ: محمد الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي، ص ١٦٣.

(٢) ناقش العلامة محمد حسين الطباطبائي هذه الآراء بعد عرضها، للتوسعة ظ: الميزان في تفسير القرآن، ٨/١ وما بعدها.

فئة الشباب، عندما تُثبت الكشوف العلميّة حقانية الإشارات المذكورة في القرآن، وهذا ما اعترف به بعض المنصفين في الغرب^(١).

٥ (إن في القرآن رموزاً ودلالات موجودة فعلاً، ولا تفسر بالآليات اللغوية إنما تعرف بالتفسير العلمي.

٦ (إن نهضة المسلمين تستدعي هذا الاتجاه لان هذا هو زمن التحضر التقني، ولان الخطاب القرآني خطاب لحاضر الإنسانية ومستقبلها كما هو خطاب للجيل الأول.

٧ (إن نبوة محمد (ﷺ) وكتابه (القرآن) نبوة خاتمة للنبوات، وكتابه خاتم للكتب السماوية فهي نبوة مستمرة، تحتاج إلى معجزة مستمرة، لقوله تعالى: ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢). وفي الآية غير دلالة على إرادة المستقبل، منها سين (نريهم) وكون الجملة مغيية بـ (حتى)، والغاية (يتبين انه الحق) لكل العالم، ولا يخضع العالم المعاصر إلا للعلم التجريبي لأنه لا يقبل تعدد الآراء.

^(١) اعترف العالم (موريس بوكاي) بصدق وإعجاز القرآن لما ثبت فيه من صحة مطابقة للعلوم التجريبية، في حين خالفة التوراة والإنجيل للكثير من المطالب العلميّة. إذ قام المؤلف في هذا الكتاب بدراسة مقارنة للكتب السماوية الثلاثة "التوراة والإنجيل والقرآن الكريم" وبحث في مدى مطابقة ما ورد فيها للعلم واستنتج بعد دراسة طويلة وتحليل عميق أن التوراة والإنجيل قد نالهما قدر كبير من التحريف والتزوير وأنهما أصبحا لا يتفقان مع معظم الحقائق العلميّة أما القرآن الكريم، فقد وجد موريس بوكاي أن القرآن الكريم متفق مع أي حقيقة علميّة مع أنه نزل في وقت كان العلم فيه قليلاً ولم يصل إلى الصورة التي عليها الآن. ظ: كتابه: التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم الحديث، ترجمة: عادل يوسف، المكتب الاسلامي، ط٣، ٢٠٠٤ م.

^(٢) سورة فصلت، الآية ٥٣.

مناقشة الأدلة :

لم تؤخذ هذه الأدلة مأخذ القبول المطلق، وإنما نوقشت بمجموعة من المناقشات منها :

(١) إن الوجوب العيني على المسلم لأدراك العقيدة، لا يتطلب الغوص في إسرار العلوم فذلك غير مقدور لكل باحث، لذلك يكتفي منه بما يورث الاطمئنان واليقين الأولي بالعقيدة بأي الوسائل، وقياس الأحكام على الآيات الكونية قياس فيه ما فيه، لأن مرجعية الحكم للنص، ومرجعية العلوم للتجربة، والإشارات القرآنية ليست أساساً في التجريب.

(٢) لا نسلم بأن التوحيد لا يحصل إلا بمعرفة عجائب الخلق حصراً، إنما يحصل بالعقليات كذلك.

(٣) إن عدم التعارض مفهوم عقلي، إما تحقيق مصاديقه فيجب إلا يتكلف المسلم في تحميل الآية ما لا تحتل، وكذا حاكمية النص مفهوم عقلي قاطع.

(٤) وكذلك اعتبار العلوم أفعال الله، فلا وجوب على المسلم معرفة أفعال الله، بل يكتفي بمعرفة وجوده وصفاته على وجه الإجمال.

(٥) وجود رموز ودلالات للعلوم في القرآن لا شك فيه، لكن تفسيرها بكل افتراض تجريبي فيه خطر كبير لارتباط النص القطعي بالفرضيات.

(٦) يمكن تحقيق نهضة علمية للمسلمين من دون تحميل النص القرآني ما لا يحتمل، إذ أن تحقيق هذه النهضة، في الأمم الأخرى، لم يكن حاصلاً من هذا الطريق، فكل ما سبق للتدليل على وجاهة هذا الاتجاه، ليس قطعياً في نتائجه إنما هو مما يقبل التعددية في الاستفادة منها، ومتى تطرق دليل الاحتمال ضعف به الاستدلال.

ثانياً: - المعارضون من القدماء والمحدثين :

١ - القدماء:

لعل أول من عُرف بمجاهرته برفض هذا الاتجاه هو الأصولي المغربي الشاطبي، حيث ذكر في كتابه (الموافقات) ما نصه: (ما نقرر من أمية الشريعة وإنها جارية على مذاهب أهلها ينبني عليه قواعد، منها: إن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروب وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهاها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح)^(١).

ويرى إن السلف كانوا اعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا إن أحدا منهم تكلم في شيء من هذا المدعى... فلو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة إلا إن ذلك لم يكن، فدلّ على انه غير موجود عندهم، وذلك دليل على إن القرآن لم يقصد فيه تقرير بشيء مما زعموا.

نعم، تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب، أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولوا الألباب، ولا تبلغه ادراكات العقول الراجعة من دون الاهتداء بإعلامه والاستتارة بنوره، إما أن فيه ما ليس من ذلك، فلا^(٢).

ويقصد بهذا القول :

إن الشريعة خاطبت أول ما خاطبت أمة لا تقرأ ولا تكتب وليس لها علوم ومعارف، فافتضى أن يكون فهمها لا يحتاج إلى تغلغل في العلوم الكونية، ولأن من تلقاها أمي على الفطرة، ولو لم تكن كذلك لما وسعها جمهور الخلق، والقرآن إذا أشار

(١) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ٢ / ٦٩.

(٢) م ن، ٢ / ٦٩.

إلى بعض العلوم فليس إلا إلى المعهودة عندهم كعلم النجوم والأنواء والتاريخ والطب البدائي.

إلا إن محقق الكتاب الشيخ عبد الله دراز لم يمر على هذا التقرير، على الرغم من التزامه بإخراج النص فقط، فقال: إما إن القرآن لا يجيء في طريق أدلته ما يوسع إدراك معانيه وإتقانه، فهو محل نظر، وإذا كانت معلومات القرآن في المعهود عند العرب فان وصفه للنعيم والعذاب ليست من معهودات العرب. وكذلك الإسراء والمعراج^(١).

كل ما هو حق في رأي الشاطبي هو انه لا يصح إن يتكلف في فهم كتاب الله ما لا حاجة للهداية به. وتابعه على هذا المفسر النحوي أبو حيان الأندلسي التوحيدي الذي اغرق في تفسيره (البحر المحيط) بالعلل النحوية، ورأى إن إغراق النص (بعلل التركيب) اللغوية والنحوية كافٍ لان يبعده عن المضامين العلمية.

٢- المحدثون :

عارضه من المحدثين الشيخ محمود شلتوت (ت ١٩٦٤م)، شيخ الأزهر، في مقالات كتبها في مجلة (الرسالة) سنة ١٩٤١م، وقال في موضع آخر عن انكاره لهذا النوع من التفسير لاثماً فيه من ينتحله: (... طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتلقفوا أو تلقفوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها، أخذوا يستندون الى ثقافتهم الحديثة ويفسرون القرآن على مقتضاها...) (٢).

وكذلك من المعارضين الشيخ أمين الخولي (ت ١٩٥٦م) صاحب (التفسير البياني) وزوجته المرحومة بنت الشاطي الدكتورة عائشة عبد الرحمن التي أوجزت

(١) الشاطبي، الموافقات (مقدمة المحقق)، ٦٩/٢.

(٢) تفسير القرآن، القاهرة، ط٤، ١٩٦٦م، ص ١١.

قولها بأنه: (لم يختلف الناس في إعجاز القرآن من جهة بلاغته، ولكنهم اختلفوا في كونه هل هو وجه أم هو جوهر الإعجاز، إما الإعجاز العلمي فقد اختلفوا فيه وجهاً وجوهراً والمطلوب إتباع ما اتفق عليه، والاحتياط في ما اختلف فيه أهل العلم تركه)^(١).

وكذلك يمكن أن نلاحظ تحفظ الدكتورة بنت الشاطي من التفسير العلمي هو أن يلج من لا دراية له بعلم التفسير وتحميل النص ما لا يحتمل، وليس المقصود من ذلك حجراً على متعلم حيث تقول: (لا احد يحجر على أي إنسان في أن يفهم القرآن كما شاء، ولكن المحنة أن يؤلف فيه من ليسوا من أهل الاختصاص، وتروج في البيئة الإسلامية أقاويل وتأويلات مقحمة على القرآن نصاً وروحاً، لا يعرف لها فقهاء العربية والإسلام والمتخصصون في القرآن، سنداً ولا دليلاً، وإنما تستند إلى ملتقطات من معارف المحدثين، في التشريح وعلم الأجنة ورياضيات الفلك وبيولوجيا القمر... و...)^(٢).

ونلاحظ كذلك محمد رشيد رضا الذي عدّ هذا الاتجاه صارفاً يصرف الناس عن القرآن وهديه، وينعى على الرازي ما أورده في تفسيره ومن قلد الرازي إي طنطاوي جوهرى، ثم عارضه المراغي، ففي تقريره لكتاب (الإسلام والطب الحديث) أوضح انه لا يرضى عن هذا المسلك.

وكذلك أيضاً من المحدثين الدكتور مناع القطان ممن استنكر على المفسرين الوغول في آيات القرآن الكريم بطريق النظريات العلمية، فقال: (والذين يُفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم، ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر

^(١) نقلاً عن: د. عبد الامير زاهد، مقدمات منهجية، ص ٤٥.

^(٢) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، مصر، ص ٨٥.

في أفق الحياة العلمية، يُسيئون الى القرآن من حيث يظنون أنهم يُحسنون صنعا^(١).
إما الذهبي في أطروحته (التفسير والمفسرون) فقد انتقد التفسير العلمي من خلال
عدة مقدمات منها اعتماده معاني لمصطلحات حديثة على ألفاظ قرآنية ثبتت معانيها
في القاموس فهل يعقل عنده إن الله خاطب أناساً البليغ أن يكون وفقاً لمقتضى حال
المخاطبين، والتفسير العلمي يخدش كون النص بليغاً لأنه لم يوافق مقتضى حال
المخاطبين أي الجيل الأول، وعقائدياً فان (ربط النص بالافتراضات أو النظريات
العلمية التي لم تصل بعدُ إلى درجة القطع، إي استحالتها إلى قوانين علمية قاطعة،
يعرض النص إلى التشكيك والريب)^(٢). ووافقهم محمد عزة دروزة وعباس العقاد ومحمد
كامل حسين وشوقي ضيف وصبحي الصالح وسيد قطب.

ملخص مبررات الرافضين :

(١) إن التفسير العلمي هو تفسير للقرآن بالرأي الذي ورد عليه النهي في الكتاب
بقوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)^(٣). وقوله: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾^(٤).

فحصره بالمأثور وفي السنة لقوله ﷺ: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده
من النار)^(٥). وفي حديث آخر: (فأصاب فقد اخطأ)^(٦).

(١) مباحث في علوم القرآن، ص ٢٧٨.

(٢) ألشاطبي، الموافقات، ٢ / ٦٩.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٤) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٥) المجلسي، البحار، ٣٠ / ٥١٣.

(٦) الترمذي، سنن الترمذي، ٤ / ٢٦٩.

٢ (إن القرآن كتاب هداية، فالهداية هي الأصل والعلم دليل عليها، والاتجاه العلمي يجعل العلم هو الأصل والقرآن دليل عليه، فالعلم وسيلة للهداية، والاتجاه العلمي ركز عليها وأهمل الغاية، وإذا كان العلم القطعي مفسراً للحقيقة القرآنية إلا أنه ليس المسلك الوحيد في حين إن الاتجاه اعتبره المسلك الوحيد، إما ربط النص بالفرضيات والنظريات فهو تعريض لعقيدة المسلم للتزلزل إذا ثبت بطلان النظرية، ثم إذا كان التفسير بالعمليات هو الكاشف الوحيد عن النص فبم يفهم غير العالم بالطبيعات النص القرآني، وهو خطاب شامل عام؟.

٣ (وإذا وقفنا على نصوص قرآنية نجد فيها إشارة للعمليات فإن ذلك إشارة إلى كونه في اللوح المحفوظ مثل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

٤ (لما كان التطور العلمي عرضة للزلل والنقص، فربط النص، كما تقدم، عرضة لزلزلة عقيدة المسلم، فإذا كان في نفسه مباحاً، فإن غلقه وردة، سداً للذريعة موقف وجيه.

٥ (الاتجاه العلمي لا يمتلك منهجاً صارماً لذلك ترى أصحابه ينتقلون بسطحية من علم إلى آخر انتقالاً ارتجالياً وسطحياً ومع ذلك يربطه بالنص.

٦ (عملية ربط (الاتجاه)، بوصفه المجلي للإعجاز القرآني، فيه ما فيه من التعميم غير العلمي لأمر:

أولاً: إن إعجازه ثبت لغة، ونحواً، وصرفاً، وبلاغة، ونظماً وإسلوباً، ولا يزال إعجازه قائماً على هذا الأساس فلا حاجة لما يؤكد ما هو قائم ثابت غير متحدى.

ثانياً: إن وصول الإنسان الى معرفة عدد من حقائق الكون يخرج تلك الحقائق عن مقام التحدي، وعن دائرة المعجزة ومن ثم يخرج الإشارات الكونية في كتاب الله من

(١) سورة الإنعام: الآية ٣٨.

إطار التحدي لأنها لم تعد أمراً خارقاً للعادة، أو سالماً من المعارضة.

٧) في التفسير العلمي خرق لما ساد في الثقافة العربية الإسلامية من تقدير عظيم لآراء الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في التفسير، وهذا السائد يفترض أنهم فهموا التنزيل أكثر ممن جاء بعدهم، فإذا ظهر اتجاه يفسر القرآن بما لم يرد عن (السلف) فكأنه يتهمهم بالجهل، وهذا خلاف السائد والمسوق بأنه متفق عليه، وهذا المعنى أشار إليه الشاطبي كما مر، ويوضحه ابن تيمية الذي يرى إن الصحابة إذا اجمعوا على معنى لفظ قرآني، فلا يجوز الخروج عنه لأنه بالإجماع اكتسب القطع وما خالف الإجماع ضلالة، ولو اختلفوا على قولين، فليس لنا الاختيار بينهما وليس لنا الخروج عنهما لسبب نفسه، المذكور أعلاه، وعلى هذا الافتراض يشن ابن تيمية هجوماً عنيفاً على الرازي والآمدي وابن الحاجب، ويؤيد هذا المنحى من يستعين بان أسباب النزول دليل على تناغم النص مع الواقع الذي خاطبه النص أول مرة، أو ثقافة ذلك الواقع، فكيف يصح الخروج عنه^(١).

٨) إن الإسرائيليات كانت قد نفذت أول ما نفذت إلى التراث الإسلامي عبر محاولة أعداد من السابقين تفسير تلك الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس مما جاء في سفر (التكوين) من (العهد القديم).

٩) إن العلوم المكتسبة تصاغ في أغلب دول العالم اليوم صياغة تنطلق كلها من منطلقات مادية بحتة، تتكرر أو تتجاهل الغيب ولا تؤمن بالله، وأن كثيرين من المشتغلين بالعلوم الكونية لهم مواقف عدائية واضحة من قضية الإيمان بالله سبحانه.

(١) الذهبي، التفسير والمفسرون، ٢ / ٤٩٢.

مناقشة المبررات :

من الواضح أن حجج المعارضين للاتجاه العلمي في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، والتي أوردناها في الفقرات السابقة هي كلها حجج مردودة، وكما يلي:

(١) لا نسلّم بان التفسير العلمي هو تفسير للقرآن بالرأي، لأنه يستند إلى حقائق علمية هي من حقائق التكوين، إذا كانت مستندة قاطع علمي، بل هو ليس من الرأي المذموم قطعاً إن سلمنا انه إعمال للنظر والرأي في إيضاح النص القرآني.

فلا ترد عليه النصوص أعلاه وقد فرض التفسير بالرأي منهجه ومشروعيته في ثقافة القرآن بعد الجيل الأول فهذا الاحتجاج مردود أصلاً أي من جهة كبراه وصغرياته.

(٢) كون التفسير العلمي يقلب المطلوب من انه يركز على الوسائل ويهمل الهداية فهذا مقترح لتعديل منهجه لا رفضه مطلقاً، لا سيما وان معارضي هذا الاتجاه يركزون على أنهم إنما يريدون تعميق الهداية، ونصيحتهم بان لا يجعلوه المسلك الأساس في التفسير اعتراف ضمني بمشروعيته على ألا يكون هو حصر الأداة الكاشفة عن معنى النص، واتهامه بالتسرع في ربط النص بالافتراضات والنظريات العلمية نصيحة أخرى، فلو وجد قاطع علمي وتم ربط الآية به فان الاعتراض يسقط جملة، واستبعد أن يُعرض هذا المسلك عقيدة المسلم للترزُل فان عدداً هائلاً مما تبناه أهل الحديث من روايات موضوعة كرواية الذبابة، لم ترزُل عقيدة المسلم، إنما انتقد النص ولم يتنازل عن المعتقد، ولا يرد اعتبار الرد سداً للذريعة هنا، فضلاً عن كون هذه القاعدة هي نفسها بحاجة إلى إثبات كونها أصلاً في الأصول، إما كونه ليس إعجازاً ابتداءً فهذا صحيح، لكنه إعجاز انتهاءً، لان نصاً مضى على نزوله عشرات القرون لا يصطدم بحقيقة علمية، بل يجد المسلم إن جميع المكتشفات العلمية القطعية لها أصول في القرآن ويتوافق النص معها، فوقوف المسلم على ذلك يعزز إيمانه

ويتحدى به أهل الكفر، ولا أرى للإعجاز مهمة فوق هذه.

أما انه تعبير عن هزيمة المسلمين أمام حضارة أوروبا، فهذا دافع، عند أوائل المحدثين وقد انتهى، ولا يزال منهجه يترصن في انه بحث موضوعي غير متموضع. إما سلطة السلف الثقافية، فهذا من اخطر ما يوجه خصوم هذا الاتجاه نقده به إلا انه:

أ (إن سلطة السلف الثقافية ليس لها سند معتبر من النص قاطع في دلالته، وان ورد في الحديث، بل هو من آثار أوضاع سياسية حصلت في التاريخ الإسلامي وتثبيت لمواقف السلطات الأموية بعد إن أعوزها نص في شرعية سلطتها، فالسلف محترمون جميعاً وآراؤهم محل تقدير كبير في حدود أزمانهم وثقافتهم ومدى وعيهم للنص، إما إن نعد اجتهاداتهم مرجعاً فهذا شيء يضيفه أهل التفكير والتدبر عند الأجيال الأخرى ومصادرة للعقل الإسلامي المتفاعل مع الثقافات المستجدة، والحضارات المتطورة، بل بخطاب الأجيال الأولى فقط لا نستطيع إن نفهم عصرنا، ناهيك عن محاوره أهل عصرنا ودعوتهم للإيمان بالإسلام.

ب (إن هذا يتعارض مع ديمومة المخاطبة القرآنية للأجيال، وهذا الأصل يتضمن اعتقاداً لا يتطرق إليه ريب، وهو أن اللفظ القرآني يتضمن عشرات المعاني لكل جيل حظه منها بقدر ما أوتي من وسائل استمداد المعرفة من النص، لان النص القرآني نصٌ معصوم مطلق عن محدوديات الزمن والبيئة ونسبية المعرفة، فإذا حصرنا معاني النص بفهم جيل أو عدة أجيال باستثناء أقوال المعصوم نكون قد عاملناه على انه (نصٌ تاريخي) له فاعليته فقط في أزمان محدودة، فإما إن نكون بحاجة إلى نبوة جديدة وكتاب جديد، وهذا خلاف ما قرره الإسلام، أو نحيل أمرنا إلى العقل من دون النص وفي ذلك خروج عن المعتقد المقرر في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿١﴾. أو (حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حراماً أبداً إلى يوم القيامة) (٢).

٣ (ان دعوى ان عدداً من المفسرين السابقين الذين تعرضوا لتفسير بعض الآيات الكونية في كتاب الله قد تكلفوا في تحميل تلك الآيات من المعاني ما لا تحتمله؛ وذلك بسبب نقص في وفرة المعلومات العلمية أو جهل بها، وكما سبق وأن أوضحنا فإن التفسير لآيات القرآن الكريم هو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة تلك الآيات إن أصاب فيها المرء فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، والمُعَوَّل عليه في ذلك هو النية، وأن الخطأ في التفسير لا ينال من جلال القرآن الكريم، ولكنه ينعكس على المفسر؛ خاصة وأن الذين فسروا باللغة أصابوا وأخطأوا، والذين فسروا بالتاريخ أصابوا وأخطأوا، ولم ينل ذلك من قدسية القرآن الكريم ومكانته في قلوب وعقول المؤمنين.

٤ (اما لدخول الاسرائيليات في تفسير الإشارات الكونية، فلا حاجة بنا اليوم إليها؛ لأن الرصيد العلمي في مختلف المعارف قد بلغ اليوم شأواً لم يبلغه من قبل (٣)،

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٢) الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٥، ١٣٦٣ هـ ش، ١ / ٥٨.

(٣) ولعلك عزيزي القارئ تلمس لهم العذر في الاقتباس من أهل الكتاب آنذاك أيضاً عندما يوضح ابن خلدون أسباب نقل هذه الاسرائيليات الى كتب التاريخ والتفسير بقوله: (والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب، ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا الى معرفة شئ مما تشوق إليه النفوس البشرية: من أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصراني، وأهل التوراة الذين كانوا بين العرب يومئذ وهم بادية مثلهم كانوا لا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهود فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يجتاطون لها..). مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٩.

وإذا كان من استخدم (الاسرائيليات) في تفسيره من الأوائل قد أخطأ التفسير، فإن من يستخدم حقائق العلم الثابتة في شرح تلك الآيات لا بد وأن يصل الى فهم لها لم يكن من السهل الوصول إليه من قبل، وأن يجد في ذلك من السبق العلمي في القرآن الكريم، صورة من صور الإعجاز فيه لم يجدها السابقون، وذلك تأكيداً لوصف رسول الله ﷺ للقرآن بأنه: (لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد).

٥ (وإن القول: (بأن المعطيات الكلية للعلوم التجريبية - كما تصاغ في الحضارة المادية المعاصرة - قد تتباين مع الأصول الإسلامية الثابتة)، هو قول على إطلاقه غير صحيح؛ لأنه إذا جاز ذلك في بعض الاستنتاجات الجزئية الخاطئة، أو في بعض الأوقات كما كان الحال في مطلع القرن العشرين، والمعرفة بالكون جزئية متناثرة، ساذجة بسيطة، أو في الجزء المتوسط منه عندما أدت المبالغة في التخصص الى حصر العلماء في دوائر ضيقة للغاية حجبت عنهم الرؤية الكلية لمعطيات العلوم، فإنه لا يجوز اليوم، وقد بلغت المعارف بأشياء هذا الكون حداً لم تبلغه البشرية من قبل، وأصبحت الاستنتاجات الكلية لتلك المعارف تؤكد ضرورة الإيمان بالخالق البارئ المصور الذي ليس كمثل شئ، وضرورة التسليم بالغيب وبالوحي وغيره من مقتضيات الإيمان بالغيب.

والأمر الآخر الذي نراه أيضاً هو ما قد مني الإسلام والمسلمون به من جرّاء حظر تدوين الحديث الشريف ونشره بخسائر فادحة، حيث أوجد الحظر أرضية مناسبة لظهور بدع يهودية وسخافات مسيحية وأساطير مجوسية من جانب علمائهم، فقد افتعلوا أحاديث كثيرة وبثوها بين المسلمين كحقائق راهنة وتلقاها السذج من المحدثين بالقبول.

المبحث الرابع:

ضوابط ومنهج التفسير العلمي للقرآن الكريم :

ومن خلال استعراض الباحثين لأدلة المجيزين، وأدلة المانعين، اشتق بعضهم بعض الأصول والضوابط المنهجية لصالح هذا الاتجاه، وفي ما يأتي ابرز تلك القواعد.

أولاً: ضوابط الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم :

(١) إن لا يخالف المفسر القواعد اللغوية والبلاغية، ويجب عليه ضبطها وإيضاحها في النص، لأنها الشكل الأسلوبي للكشف عن المعاني، لان معاني المفردات مرجعها اللغة أو العرف أو الحقائق الشرعية، وبلاغة التراكيب كاشفة عن المعاني التي يطمئن المفسر إلى إنها مراد الله تعالى.

(٢) إن يكون التفسير العلمي واحداً من آليات إيضاح المفاهيم القرآنية، على إن يتقدم عليه التفسير بالمأثور إذا ثبت صدوره عن المعصوم، ولم يتعارض مع قاطع عقلي أو علمي.

ويكون صفة التفاسير غير المتعارضة مع المأثور والعقل والعلم القطعي هو الإيضاح التالي، ثم يردف ذلك بالتفسير العلمي بوصفه واحداً من أدوات إيضاح معنى النص، أو اعتباره مفسراً للآية في وجه من وجوهها، وإلا يضيع الهدف من الآية (الهداية والرشاد) في غمرة تفسيره لان الاستناد إلى الحقائق الكونية العلمية لا يتم من اجلها هي، وإنما لاستخدامها لإغراض الهداية، اعتماداً على رجحان المنهج التكاملي الشمولي، لأن تكاملية الثقافة، باختصاصاتها جميعاً، اقرب إلى تفسير النص المطلق، لثبوت نقص النظريات التي تركز على العامل الواحد في تفسير الكون والتاريخ.

٣) إن لا يتعسف المفسر في تحميل الآية ما لا يتحملة ظاهرها، وإذا تحوّل إلى التفسير الباطني فعليه أن يكشف عن هذا المأثور في سنده، وطبيعة متنه، إذا دله المأثور إلى خلاف الظاهر.

٤) ألا يتسرع المفسر للقرآن تفسيراً علمياً بربط الآيات بالآراء العلمية والافتراضات والنظريات التي لم تكتسب درجة القطع، إلا على وجه الإشارة المحتملة إلى إن هذه (النظريات) ربما تكون من مصاديق الآية، وإلا ينتقل في التفسير انتقالاً مرتجلاً من علم إلى آخر وعلى نحو السطحية، لئلا يكون هذا الاتجاه مدعاة للزلل ويسدّ بابه سداً لذريعة الزلل نفسه.

٥) إلا يسمى هذا التفسير (إعجازاً) قرآنيّاً لأن الإعجاز يتم بمعجزة، والمعجزة أمر خارق للسنن الطبيعية، المقرون بالتحدي، والسالم عن المعارضة^(١). وهذا التفسير تمّ بأدوات ليست خارقة للسنن، لأنها جرت وفقاً لقانون العليّة الكونية الكبرى والعلل المباشرة، وإن هذه العلوم كانت من إنتاج غير المسلمين غالباً، وهي وإن كانت مقرونة بتحديهم إلا انه لا يمكن تحديهم بما أنتجوه، ولذلك فالعلم، المستفاد من القرآن، ضمن هذا الوضع ليس سالماً عن المعارضة، وإذا صحّ تسميته إعجازاً فهو إعجاز انتهاءً وليس ابتداءً.

٦) التفسير العلمي، إضافة إلى الضوابط المتقدمة، يحتاج إلى منهج متعقّل ووسطي وقانون محكم للتأويل، فإذا كان التفسير العلمي قاطعاً علمياً، والآية المتعارضة، معه إن وجدت قاطعة في دلالتها، إي لا تحتل وجهاً آخر، فهذا الغرض غير متصور لأن القاطع العقلي والقاطع العلمي لا يصطدمان مع قاطع قرآني، إما إذا كان قاطعاً، والآية ظنيّة الدلالة وتوافقاً فلا بحث، ولكن من دون القول إن ذلك قطعياً مراد الله سبحانه، إما إذا تعارضا حملنا الآية على وجه آخر، وإذا كان التفسير

(١) ظ: الفصل الأول، المبحث الأول من هذا الكتاب.

العلمي ظنيّاً غير ثابت والآية قاطعة الدلالة فيجب التمسك بمدلول القرآن^(١).

وتلحظ سيدي القارئ أنّ للقرآن الكريم منهج إلى استخدام أدوات البحث في كل ما يقع تحت أيدينا ونظرنا من معارف في الوجود، (إذن فلا يوجد إي خطر ديني إن يرتقي الإنسان بالتأمل والفكر إلى معرفة الكثير من حقائق الكون المختلفة، ولا مانع إن يتوصّل إلى اكتشاف هذا الحقائق بالحس والمشاهدة)^(٢). هذه إشارة إلى المنهج الذي يكشف به عن السنن الكونية الماثورة في الكون.

ثانياً: المنهج العلمي في التفسير العلمي :

المنهج: هو خطة منطقية لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها^(٣). أو هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة^(٤). حيث إن المنهج يساعد على كشف الحقائق الكونية وربط ظواهرها بعضها البعض وصولاً إلى القانون العلمي الذي ينقلنا إلى المعرفة اليقينية.

وقبل نزول القرآن لم يكن الأمر هكذا، بل كانت الخرافات وعبادة قوى الطبيعة هي المسيطرة على الفكر آنذاك. ولكن بنزول القرآن الكريم فوّض هذه المعبودات وجعلها من المسخرات التي يجب البحث فيها ومن هنا بدأ المنهج يأخذ طريقه الصحيح حتى العصر الحاضر، ومن مسلمات المنهج العلمي في القرآن الكريم نلحظ:

(١) ظ: أيضاً: يوسف الحاج احمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ابن حجر للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، ص ١٨.

(٢) ظ: د. محمد سعيد البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢ هـ، ص ٢٧٧.

(٣) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، سنة ١٩٨٣، ص ١٩٥.

(٤) ظ: د. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، ١٩٦٣، ص ٥، عبد الهادي ألفضلي، أصول البحث، ص ٥٣.

(١) عدم التقليد: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(١).

وبهذا يكون القرآن الكريم (أدان المنطق الرجعي القائم على تقديس ما عليه الآباء والأجداد، لأنه ينفي العقل الإنساني، ويرفض تطوّر التجارب البشرية، ويصادر الموضوعية في معالجة قضايا السلف)^(٢). وهذا يعني إلا يتقيد الباحث بأقوال سابقة، بل يجب عليه أن يقف موقف الناقد حتى يكون هناك إبداع علمي.

(٢) عدم إتباع الظن: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾^(٣). إي (إنهم لا يتبعون المنطق والتفكير السليم، بل هم يتبعون الظنون التي تخالطها الأهواء والأكاذيب ويمتزج بها الخداع والتخمين)^(٤). وقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^(٥). والظن (لا يغني عن الحق شيئاً)^(٦).

(٣) عدم إتباع الهوى: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(٧). وعلى الرغم من إتباع الهوى مصحوب دائماً بالجهل، ولكنه يكرر ذلك للتوكيد فيقول: (... بأهوائهم بغير علم) ويستفاد من هذا التعبير أيضاً إن العلم الصحيح لا يقترن

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٣٤٠.

(٣) سورة الإنعام: الآية ١١٦.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في كتاب الله المنزل، ٤ / ٣٠٣.

(٥) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٦) محمد جواد مغنية، التفسير المبين، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط ٢، ٢٠٠٤ م، ص ١٣٠.

(٧) سورة الإنعام: الآية ١١٩.

بإتباع الهوى والانسحاق مع الخيال فحيثما اقترن فهو الجهل لا العلم^(١). وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾^(٢). إي لا تتبعوا الهوى فانّ إتباع الهوى مُرَدٌّ، إي: مهلك^(٣).

٤ (عدم البغض والكراهية: قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا عَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٤). إي إقامة العدل المطلق الذي لا يتأثر بالقرابة أو المصلحة بأي حال من الأحوال بعيداً عن المؤثرات، فلا يحملكم الشنآن على إن تميلوا عن العدل^(٥).

٥ (عدم تحريف الكلم عن مواضعه: قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَٰضِعِهِ﴾^(٦). وهو تحريف الكلم عن المقصود به ليوافق الأهواء، ويتخذونه حرفة وصنعة يوافقون بها أهواء غيرهم^(٧).

٦ (عدم البغي والشقاق في القول بالحق :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٨). إي (إن معاقبة الظالم والانتقام منه من حق المظلوم، ولا يحق

^(١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في كتاب الله المنزل، ٤ / ٣٠٦.

^(٢) سورة النساء: الآية ١٣٥.

^(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط ١٣، ١٩٨٧، ص ١١٩٥.

^(٤) سورة المائدة: الآية ٨.

^(٥) ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ٨٥٢.

^(٦) سورة النساء: الآية ٤٦.

^(٧) ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ١١٩٥.

^(٨) سورة الشورى، الآية ٤٢.

لأحد منعه عن حقه...^(١) وكذلك عدم منعه من حقه عند الذين (يتكبرون - في الأرض - ويعلون ويفسدون)^(٢).

٧ (الإنصاف في القول عندبغي البعض على البعض :

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَظُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ^(٣)، وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ^(٤)، إِي الْحَكْمَ الْعَدْلَ وَعَدَمَ التَّحْيِيزِ فِيهِ وَالْإِرْشَادَ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ^(٥).

٨ (عدم التبديل في القول :

قال تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ^(٦)﴾. وفي هذه الآية جانب من جوانب الأمانة العلمية إِي إن الإنسان يكون أميناً على كل شيء)^(٧).

٩ (الأمانة العلمية مع العدل بين الناس :

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ^(٨)﴾. فالأمانة والعدل هنا حق لكل إنسان من دون التفريق بين هذا

١ (ناصر مكارم الشيرازي: الامثل في كتاب الله المنزل، ١٥ / ٤٠٩.

٢ (الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١ م، ٤ / ٢٣٤.

٣ (وشط فعالان في حكمه شطوطاً وشططاً جار وظلم، وشطّ في القول.... أغلظ فيه. ظ: الفيومي، المصباح المنير، ص ٢٠٠.

٤ (سورة ص: الآية ٢٢.

٥ (ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في كتاب الله المنزل، ١٤ / ٣٤٨.

٦ (سورة البقرة: الآية ١٨١.

٧ (متتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني، ص ٥٨.

٨ (سورة النساء: الآية ٥٨.

وذاك، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه إنساناً فهذه الصفة صفة الناس والتي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني^(١).

١٠ (عدم الادعاء في حالة تعطيل الحواس المدركة :

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢). إي إن لهم حواس ولكن لا ينتفعون بها ولا تؤدي وظيفتها فكأنه لم توهب لهم هذه الحواس وهذا منتهى الزرابة لمن يعطل تفكيره ويغلق منافذ المعرفة والهداية^(٣).

١١ (الموضوعية :

أوردنا فيما سبق بعض الكلمات كالأمانة والإنصاف والعدل وغيرها مما يعنيه مفهوم الموضوعية، لأن ما تعنيه الموضوعية في مناهج البحث هو (غياب لكل عوامل التحيز وكف لتأثيرها أو لا تتأثر بدافعك وعرفك وقيمك وموقفك الاجتماعي، هذا الموقف السلبي للموضوعية والاقتصار عليه أمر لا يدعمه المنطق، فالموضوعية العلمية موقف وحكم ولا يمكن أن تكون امتناعاً عن اتخاذ موقف أو توقفاً عن إصدار حكم، بل تدل لفظة الموضوعية على محتواها دلالة مباشرة، فالحكم الموضوعي قد التزم بالموضوع المحكوم عليه، وهذا يمتد على محور يجمع بين الباحث الصادر عنه الحكم وبين محتوى حكمه موضوع الدراسة، وان كان هذا موقفاً سلبياً إلا انه يضمن مقومات ايجابية، فهو يتعلّق بتحديدات الباحث وتعريفاته وتصوّراته لأهم عناصر المشروع العلمي)^(٤).

(١) ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ٦٨٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨١.

(٣) ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص ١٥٥.

(٤) د. صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار الثقافة والنشر، ١٩٨٠، ص ٥٩.

(١٢) إتباع الصادقين في قولهم :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١). فهذه الآية (تأمر بتحكيم الروابط مع الصادقين الذين حافظوا على عهدهم وثبتوا عليه.... وليس المراد من الكون معهم إن يكون الإنسان مجالساً ومعاشراً لهم، بل المراد قطعاً هو إتباعهم والسير في خطاهم)^(٢). وهم لا ريب العلماء الصالحين.

(١٣) البرهان أو العلم اليقيني :

وهو القائم على الدليل وليس على الظن، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣). فهذه الآية تُعلم الإنسان (عدم الانجراف وراء الادعاءات الباطلة غير القائمة على الدليل، وتعلمهم إن يطلبوا الدليل والبرهان من صاحب الإدعاء، وبذلك يسدّ القرآن الطريق أمام الانجراف الأعمى وراء التقليد، ويجعل التفكير المنطقي سائداً في المجتمع)^(٤).

(١٤) إسقاط الوهيّة ما دون الله سبحانه :

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٥). وهنا نلاحظ إن (بهذا الشكل تنفي الآيات احد الفروع الواسعة لانتشار الشرك وعبادة الأصنام المتمثلة في عبادة الكائنات الطبيعية النافعة، فينبغي للجميع إن يبحثوا عن علة العلل وان لا يتوقفوا عند المعلول،

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦ / ١٧٧ - ١٧٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي: الامثل في كتاب الله المنزل، ١ / ٢٤٤.

(٥) سورة فصلت، الآية ٣٧.

نعم ينبغي البحث عن خالق هذه الموجودات.

إن هذه الآية تستدل - في الواقع - على وجود الخالق الواحد عن طريق النظام الواحد الذي يتحكّم بالشمس والقمر والليل والنهار، وإن حاكميته تعالى على هذه الموجودات تعتبر دليلاً على وجوب عبادته^(١). وهي - الآية - مدعاة إلى البحث العلمي.

(١٥) إلا يخضع الباحث لضغوط :

ولا شكّ إن في حرية الباحث تزدهر العلوم ولا سيما في نظام يكفل حرية الرأي ف حرية القول متممة لحرية الفكر، وحرية الاعتقاد^(٢).

يقول الدكتور طه العلواني: (لقد أُحبطت نتائج الكثير من محاولات الإصلاح في هذه الأمة وصودرت آثار تلك المحاولات، ودمرت بفعل مجموعة من الأمراض، منها الأزمة الفكرية والغياب الثقافي، والاستبداد السياسي، وأزمة وعي الذات، وتقف قضية - افتقاد الرأي الناضج السليم والحيلولة دون انتشاره بكل الوسائل حين يوجد من بين أسباب الخلل وعوامل الخطأ وعلل التراجع - في موقف متميّز^(٣). وفي هذا مصاديق لآيات وافرة على مهمة الأنبياء وحثّهم للناس في البحث العلمي العقلاني عن واجد الوجود.

(١٦) الموقف النقدي من السابق :

يجب على الباحث أن تكون نظريته نافذة، لأنه ربما يكون السابق قد بنى نظرياته

١) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٥ / ٣٠١.

٢) عبد القادر عودة، الموسوعة العصرية في الفقه الجنائي الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٢، ١ / ٨٨.

٣) د. عبد الجبار النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، من مقدمة طه العلواني، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، أمريكا، ١٩٩٢، ص ١٤.

على غير أساس من الصحة، قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١). إي على الباحث إن يضع الأقوال السابقة على بساط البحث والاختبار حتى يتبين له صحة ما ذهب إليه من سبق وما ذهب إليه هو.

(١٧) عدم البدء بفروض ملغية: وذلك عند البحث عن الحقيقة وذلك ككثبات الأرض وعدم دورانها.

(١٨) الفصل بين الثابت والمتغير :

إن الفصل بين الثابت والمتغير في الكون أمر ضروري بالنسبة للباحث حتى يكون هناك انجاز علمي من دون مضيعة للوقت في البحث فيما ينفع البشر من تدخل منهم وذلك مثل إشراق الشمس وتعاقب الليل والنهار وإنزال المطر وإرسال الرياح وغير هذا، فيما يخضع للقانون الكوني الثابت، إما غير ذلك من المتغيرات فللباحث حق البحث فيها.

وينبغي أن نتمسك بالحقيقية في التفسير، ولا نعدل عنها إلى المجاز إلا إذا كان ثمة دليل على أن سياق الكلام يمنع من حقيقة اللفظ كما هو، وعندئذ لا مفر من العدول عنها إلى المجاز.

وبهذا نلاحظ انه يجب على الباحث إن يبدأ بهذا المنهج ويكون نقطة انطلاقه للبحث العلمي الصحيح مع وجود العناصر والأدوات المكملة لقواعد المنهج^(٢).

فالصحيح الذي يمكن أن يذهب إليه في التفسير العلمي، هو الاستفادة من تطور العلوم والمعارف في فهم كثير من الآيات الكونية والنفسية في القرآن الكريم، فيحاول في كشف مدلول الآية، أو تفسير آية قرآنية بحقيقة علمية أو نظرية علمية محددة

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٢) للتوسعة: ظ: منتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني، ص ٥٥.

المعالم، كما أكد جمع من المدققين^(١).

ويزداد الى ما تقدم أن تحدّي القرآن لم يقتصر على فترة من الزمان ولا على أمة من الناس دون من سواهم، فنراه وجّه نداءه الصارخ الى البشرية جمعاء في طول الزمان وعرضه، ولكلّ الأجيال ومختلف الأقسام، وما شأنه ذلك لا يعقل اقتصره على جانب الفصاحة والبيان، إذ ليس كلّ الناس عرباً ولا كلّ العرب فصحاء... فلا بدّ أن في القرآن الكريم شيئاً هو الذي تُحدّي به تحدّياً على وجه العموم، ومن ثمّ كان بمجموع الكتاب، لا بسورة واحدة أو آية أو آيات بالذات^(٢).

* اما الضوابط الخاصة في منهج التفسير العلمي، فيمكن اجمالها في^(٣):

١- وهو من أهم الضوابط أن يقتصر الإعجاز العلمي على ما أثبتته المنهج التجريبي من حقائق علمية قاطعة لا رجعة فيها، فلا يُفسر القرآن الكريم بالفروض التي جاءت بها النظريات التي ما تزال موضع فحصٍ وتمحيصٍ أو حتى ما قد يعتبره البعض حقيقة علمية ويخالفه آخرون؛ ذلك أن التطرق إلى غير الحقائق القطعية في الإعجاز مخاطرة ومجازفة تتقلب على تصديق الوحي الإلهي بالتشكيك فيه، وعلى الإعجاز العلمي بالاستهانة به وسلبه روح الإعجاز والتحدّي، فلا حاجة إلى التسرع في الاكتشافات العلمية الحديثة لربطها بنصوص الوحي قبل أن تستقر وتكتسب مصطلح الحقيقة العلمية، وهذا الالتزام هو واجب في التعامل مع الآيات الكونية باستثناء آيات الخلق والإفناء والبعث، التي يمكن فيها توظيف الآية القرآنية للارتقاء

(١) ظ: د. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن الكريم، ص ٢٢٦.

(٢) ذهب محمد الطاهر بن عاشور الى أن الإعجاز العلمي حاصل بمجموع القرآن، وهو إعجاز حاصل من القرآن، وغير واقع به التحدي إلا إشارة. ظ: أحمد أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ١/١٣٣.

(٣) ظ: عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٢٢٤، د. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص ١٦٠،

يأجدي النظریات المطروحة إلى مقام الحقيقة، مع مراعاة عدم الجزم بأحد أوجه التفسير أو الإعجاز العلمي، بل يساق على أنه قول في تفسير الآیة، فالحقائق العلمية مهما كانت قطعيتها هي قابلة للتطور، وقد لوحظ ذلك في تاريخ العلوم.

٢- عدم التفريط في البحث في الآيات الكونية، وبشرط التقيد بالمنهج القرآني وعدم تحميل النصوص ما لا تحتمل، فلا ينبغي أن تهمل التوجيهات بصددها ما في الكون المسخر لمصلحة الإنسان فإن أهملنا فقد فرطنا في مئات الآيات التي تشدنا إليها شداً.

٣- يجب أن يتجنب المفسر إثبات الإشارات العلمية للقرآن، بواسطة النظریات العلمية.

٤- لا بد أن تكون الآيات القرآنية هي الأصل، والمحور في التفسير، وليس النظریات العلمية.

٥- أن يلتزم بالمعاني اللغوية - في اللغة العربية - للآيات.

٦- أن لا يخالف التفسير العلمي المسائل الشرعية.

٧- أن يكون التفسير مطابقاً للمفسر من غير زيادة ولا نقصان.

٨- مراعاة الوحدة الموضوعية، والتوافق، والتناسب بين الآيات.

٩- لا بد أن تكون دلالة ظاهر الآیة واضحة بالنسبة إلى المطلب العلمي، خالية من التكلّف. وبعبارة أخرى، لا بد أن نتجنب التوجيه غير المبرر، والتفسير المخالف للظاهر.

١٠- وأخيراً إذا كانت النظرية غير قطعية وغير مقبولة عند العلماء، لا يمكن نسبتها حينئذ إلى القرآن، لا بصورة قطعية، ولا بصورة احتمالية، لأنها في معرض التغيير، ولعل معظم إشكالات المخالفين نابعة من هذا الأمر.

١١- البُعد عن التأويل المتكلف في النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ لأن الأصل فيها ظاهر اللفظ ولا يعدل عن ظاهرها إلا بقريضة قوية، مراعاة لقاعدة: (ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقريضة كافية).

وعليه ومن خلال العرض المتقدم وعوداً على بدأ أن نستخلص في إننا نرى جواز التفسير العلمي للقرآن الكريم شريطة خضوعه للضوابط المحكمة والمنهج المُعتبر، وذلك للأدلة التالية^(١):

(١) إن هذا الكون الذي نحيا فيه متناه في أبعاده، مذهل في دقة بنائه، وإحكام ترابطه وانتظام حركاته.

(٢) اهتمام القرآن بالعلم، فإن الأمثلة العلميّة، والحث على التفكير في الآيات الإلهية في السماء والأرض^(٢) والإنسان^(٣)، أدى الى تطور العلوم والمعارف، ومقارنتها مع ما ورد في القرآن الكريم.

(٣) شعور علماء المسلمين بوجوب الدفاع والوقوف أمام شبّهات الغرب، مثل تعارض العلم مع الدين، لإثبات عدم مخالفة القرآن للعلم.

(٤) لما تمّ الإشارة إليه إن جوهر الحقيقة واحد وأفضل تعبير عنها المنقول بالوحي فأيضاحها من خلاله عمل منسجم مع هذا التصوّر، واثبات التطابق مع

^(١) للتوسعة: ط: د. زغلول راغب النجار، مدخل الى دراسة الإعجاز العلمي، ص ١٤٨، د. عبد الأمير كاظم زاهد، مقدمات منهجية في تفسير النص القرآني، ص ٥٤، د. عبد المجيد محمود مطلوب، مباحث في علوم القرآن والحديث، ص ١٤٠، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٧٨.

^(٢) وقد عكفنا في اثبات ذلك وبيانه في ثنايا الفصل الثالث من هذا الكتاب عند ذكرنا للآيات الكونية (السماء والأرض).

^(٣) تناولت بحوث عديدة الاعجاز التكويني للإنسان في القرآن الكريم، وقد كان للمؤلف سهم في ذلك في اطروحته للدكتوراه والتي كانت تحت عنوان: المنظور القرآني في بناء الانسان - دراسة تفسيرية - والتي نالت درجة (الامتياز)، إذ تناولنا فيها جانب العناية القرآنية في بناء إنسانية الإنسان..

القاطع العلمي والعقلي دليل على كون المنقول بالوحي صادر من عند الله تعالى الذي يترتب عليه الالتزام بأوامره ونواهيه.

٥) كون القرآن الكريم يجعل التفكير السديد والنظر الصائب في الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله تعالى.

٦) كون ذلك مدركاً لارتباط القوانين الكونية والقوانين التشريعية وتكاملها، الأمر الذي يوجب الالتزام بالمنهج القرآني في حركة الحياة والكون والإنسان.

٧) كون القرآن الكريم قانوناً أبدياً، فليس فيه سلطة ثقافية لغير المعصوم، فكل جيل له تجلياته من هذا النص.

إن التفسير العلمي على ثلاثة أقسام هي: استخراج العلوم من القرآن، تحميل وتطبيق النظريات العلمية على القرآن، استخدام العلوم في فهم وبيان الإشارات العلمية لآيات القرآن، وأن القسم الصحيح والمعتبر من هذه الأقسام، هو القسم الثالث. أما القسمان الآخران فليسا بصحيحين، وأن معظم إشكالات المخالفين ترجع الى هذين القسمين.

وإن معايير التفسير العلمي عبارة عن: الاستفادة من العلوم القطعية في التفسير، الاستفادة من الأنواع الصحيحة للتفسير العلمي، وضوح دلالة الآية على المبحث العلمي، وعدم تحميل الآية على المسألة العلمية (استخدام العلوم في فهم وبيان الآية).

سيدي القارئ وبناءً على ما تقدم من شروط أرى أنه ليس هناك خلاف بين الفريقين وإن كان لا بد أن يسمى خلافاً فهو خلاف لفظي لا جوهرية إذ أن الذين قالوا بالتفسير العلمي وخرجوا على الحد الواجب الوقوف عنده تجاوزوا بفعلهم هذا حدود التفسير فخرجوا من الميدان أمثال الرازي وطنطاوي جوهرية، وأما الذين قالوا بعدم الخوض في هذا المجال فقد أفتلوا باباً للنظر وميداناً للفكر دعا إليه القرآن المجيد وحث عليه في أكثر من آية فلو التزم هؤلاء وهؤلاء حقيقة واحدة دون اعتساف أو

شطط وفسروا الآية بالحقيقة العلمية من دون تكلف لما حدث خلاف ولا تفرق رأي إذ أن هناك تسليم بحقيقة مؤكدة وهي أن القرآن لا يصادم حقيقة من حقائق العلم تطمئن إليها العقول وهذا الرأي الذي أميل إليه.





الفصل الثالثة

التطبيق المنهجي للتفسير العلمي
في الآيات الكونية (السماء والأرض)



الفصل الثالث:

ان الآيات تمثل ثبوت ظواهر ناموسية في الكون عبر زمانه ومكانه وسُميَّت (آيات) نتيجة ثبوتها وعدم تغيرها بالاستناد الى كشافات القرآن وهي ترتبط بالكون المادي من جهة وبالعلة الغيبية الالهية من جهة اخرى اذ ان اشاراتها الى النواميس ليس بما هي هي؛ لأنّ النواميس ثابتة وهذه لم تأخذ درجة الظهور الى الآن على الرغم من التدويني على وفاق التكويني، ولكن هناك حاجزاً (برزخياً) بين النص التدويني والناموس التكويني، فالنص التدويني يشرح الظاهرة الكونية بدون ادخال الأثر، اما الظاهرة الكونية فتتطوي على الاثر والمؤثر معاً.

ومن هنا نلاحظ أنّ القضايا القرآنية المستنبطة عن الكائنات ودرجات احكامها من اليقين ومطابقة الواقع يكون الأثر فيها عملية دياكتيكية تدرجية من الوجود الذهني الخامل الى الوجود الحقاقي الفعال.

فمن الآيات الكونية - كما يقول الاستاذ حنفي احمد -: (ما يشير الى سننه تعالى وطريقته في ايجاد المخلوقات وفي تدبير أمرها ومنها ما يشير الى انواع المخلوقات ودلالاتها دون وصفها او يصفها من حيث التكوين والتخصيص بالصفات ثمّ الهداية الى غاياتها المحددة التي خُلقت من اجلها وهذا النوع هو غالب الآيات الكونية)^(١).

اذن فمرامي الآيات الكونية ابعد من التأسيس العلمي لانها جاءت لترسيخ الإيمان من خلال السياق العلمي الذي تتبناه معظم العقول البشرية لانه من باب الاقناع الحسي والتجريبي الداغ في الحياة الواقعية للانسان؛ وقد مثّلت هذه الآيات كمائن رصدية للظواهر الكونية في آي القرآن مثل الآيات التي سوف نلحظها من خلال

(١) حنفي احمد، التفسير العلمي للآيات الكونية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠، ص ٣٠.

مباحث هذا الفصل :

المبحث الأول: مفهوم الكون.

المبحث الثاني: الاستدلال العلمي بالآيات الكونية على وجود الله سبحانه.

المبحث الثالث: الاستدلال العلمي بالآيات الكونية.

المبحث الأول:

مفهوم الكون :

هو احد عناصر الفلسفة الإسلامية بعد الله ﷻ، ويُراد بالكون ما نراه حولنا من ارض وسماء وشمس وقمر ونجوم، وسائر الظواهر الطبيعية عدا الانسان، والكون في القرآن شاهد على وجود الخالق المبدع، ووحدانيته وقدرته، وهو مسخر للانسان كي يستفيد منه في مسيرة الحياة^(١).

ولكي نقف على حقيقة ما تقدّم نرى ان نقف بشيء من التفصيل في هذا المبحث:

(١) معنى الكون :

١ - الكون لغة: مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي معتل الوسط وهو يكون كوناً، ويأتي مصدره ايضاً على التكوين والكوينة^(٢). وجمعه اكون^(٣). وهو بمعنى الحدث^(٤). وكوّن الشيء اي ركّبه بالتأليف بين اجزائه، وكوّن الله الاشياء اي اخرجها من العدم الى الوجود، ويُقال كوّنهُ فتكوّن اي احدثه فحدث^(٥).

وقال الفيومي (ت ٧٧٠ هـ): (وكوّن الله الشيء فكان: اي اوجده وكوّن الولد،

(١) ظ: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الاسلامية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢، ص ٩٢.

(٢) ظ: الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٦، ٩ / ٣٣٤.

(٣) ظ: الرازي (ت ٦٦٦ هـ)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص ٥٨٥.

(٤) ظ: الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، اساس البلاغة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١ م، ص

٦٦٠. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٣ / ٣٦٣. الفيروزآبادي، القاموس المحيط،

دار الجيل، بيروت، ٤ / ٢٦٦.

(٥) ظ: ابراهيم مصطفى وآخر، المعجم الوسيط، مطبعة مصر، ١٩٦١ م، ٢ / ٨١٢.

فتكوّن مثل صوره، فالتكوّن مطاوع التكوين (١).

والتكوين: هو المعنى الذي يعبر عنه بالفعل والخلق والايحاء والاحداث والاختراع والابداع والانبات وهذه الالفاظ متغايرة في التركيب متحدة في المصداق (٢). ونقل المناوي (ت ١٠٣١ هـ) في كتاب (التوفيق) ان الكون اسم لما حدث دفعه كانقلاب الماء من الهواء، لأنّ الصورة الكلية للماء كانت بالقوة فخرجت منها الى الفعل، واذا كان على التدرج فحركه (٣).

٢ - الكون في الاصطلاح: اما تعريف الكون في اصطلاح اهل العلم فكثيرة نذكر بعضاً منها :

١ (قال الجرجاني (ت ٨١٦ هـ): (وعند اهل التحقيق، الكون: عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث انه حق، وانه كان مرادفاً للوجود المطلق العام عند اهل النظر، وهو بمعنى المكوّن عندهم) (٤).

٢ (وعرفه سعد الدين التفتازاني بقوله: الكون (هو اخراج المعدوم من العدم الى الوجود) (٥).

٣ - وللكون تعريفات عند علماء الفلك منها :

(ان الكون عبارة عن نظام يضمّ الوف الملايين من المجرات وكل مجرة تحتوي على الوف الملايين من النجوم) (٦).

(١) المصباح المنير: مكتبة الايمان، مصر، ٢٠٠٨ م، ص ٣٥٤.

(٢) شرح العقائد النفسية، ١٣٢٦ هـ، مصر، مطبعة كرسنال، ص ٨٣.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ٩ / ٣٣٤.

(٤) كتاب التعريفات، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣ م، ص ١٥٤.

(٥) شرح العقائد النفسية، ص ١١٦.

(٦) عبد الرسول مهدي عبدة، قضية الخلق بين الماديين والمثاليين، ١٩٧٩، ص ٧٩.

ويضا هي هذا التعريف تعريف علم الهيئة عند ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) اذ يقول: (وهو علم يعرف به حال اجزاء العالم في اشكالها واوزاع بعضها عند بعض ومقاديرها وابعاد ما بينها وحال الحركات التي للافلاك والتي للكواكب، وتقدير الكرات والقطوع والدوائر التي بها تتم الحركات^(١)).

وعرفه الدكتور علي الامير بقوله: الكون (هو الفراغ وما يحتويه هذا الفراغ الموجود خارج كرتنا الارضية)^(٢).

وهنا يلحظ الدكتور شبّر الفقيه في هذا التعريف بانّه (غير جامع لجميع اجزاء الكون، لانّ الارض جزء من هذا الكون وهي داخل في هذا الفراغ بما فيه من مجرات وكواكب، ومن بين هذه الكواكب الارض التي خُصت لحياة الكائنات، وكذلك لا يشمل الكون غير المنظور)^(٣).

وعرّفه الدكتور انور السنهوتي بانّه: الخلق المشهود ذو الوجود الخارجي الذي يدركه الانسان ويوجّه اليه قلبه وعقله في هذه السماوات والارض والشمس والقمر والنجوم والكواكب، وهذه الكائنات المختلفة التي تدبّ على الارض والتي تخلق في اجواء الفضاء، وهذه الظواهر الكونية من الليل والنهار والرعد والبرق والمطر والاحوال والاطوار ذات الوجود الحقيقي، وذات الآثار الواقعية^(٤).

وعلى ضوء ذلك يمكن ان تُعرف الكون تعريفاً جامعاً مانعاً وبكل ما فيه من

(١) ظ: السنوكرولونينو، علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى، طبع سنة ١٩١١ م، روما، اوفسيت، ص ٢٧.

(٢) الكون العميق، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٤.

(٣) نهاية الكون في الفكر القرآني الفلسفي، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٩ م، ص ١٧.

(٤) د. محمد الانور السنهوتي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في الاحساء، العدد ٣، السنة ٣، ١٤٠٤ هـ، ص ٤٥.

منظوره وغير منظورة بآئه: هو ما احدثه الله وانشأه من العدم وقصد ايجاده على هذا النحو المعين بمحض ارادته.

وهنا نلحظ في هذا التعريف: (احدثه الله وانشأه من العدم)، قيد يبطل قول من يدعي بأزلية الكون ويحدد ايضاً بداية الكون، او انه خلق نفسه بنفسه.

وقوله (قصد ايجاده) قيد يخرج القول بالصدفة او نتيجة تطورات طبيعية مجهولة، وقوله (بمحض ارادته) اي لم يجب على الله سبحانه ايجاد الموجودات، بل يوجده حسب ارادته^(١).

(والكون آية الله الكبرى، ومعرض من معارض قدرته التي تحير العقول، ومشاهد الكون السماوية والارضية في القرآن الكريم اكثر من ان تحصى، ولا تكاد سورة تخلو من مشهد اوعدة مشاهد تتحدث عن السماء والارض والماء والنبات والحيوان، والطيور... مشاهد تجذب النظر وتثير الحس وهي تهدف الى ربط الانسان بالكون وتلمس مظاهرها، واستقصاء اسرارها لاستجلاء آثار القدرة ومظاهر الابداع)^(٢).

ويقول الدكتور مارين ستانلي كونجدين وهو عضو الجمعية الامريكية الطبيعية: (انّ جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدلّ على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها باستخدام الطريقة الاستدلالية فاننا لا نفعل اكثر من ملاحظة آثار آيات الله وعظمته)^(٣).

١) ظ: اسماعيل محمد قرني، الكون في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص ٢٢.

٢) د. حامد صادق قيني، المشاهد في القرآن الكريم، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن، ١٩٨٤، ص ٩.

٣) ظ: نجبة من العلماء الامريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدوداش عبد المجيد سرحان، دار التربية، ص ٢٢.

٢ (مفهوم الكون والطبيعة :

تعدّ الطبيعة من الالفاظ المتعددة المفاهيم في مجالات المعرفة المتنوعة ففي (تاريخ الفكر) تدلّ على: (مجموعة الأشياء والكائنات الموجودة، والقوة الكائنة في الكون، فهي تُرادف الكون بصفة عامة، او الخليفة بالنسبة لمن يؤمن بإله خالق)^(١).

فبوجود تلك الطبيعة، يستدل العقل على وجود خالق عظيم جبار مدبّر لذلك الكون الواسع، انشأها على تلك الصورة، ويتصرّف بعناصرها وظواهرها كيف يشاء.

وعلى هذا الاساس يُمكن تعريف الطبيعة بانها: كل ما يخرج عن قدرة الذات البشرية، والفكر الانساني من موجودات وعناصر وظواهر ارضية وسماوية، مسيرة بقدرة خلاقة هي قدرة واردة الله سبحانه.

ويحدّثها (علم الجمال) بانها: (كل ما يوجد في الكون خاضعاً لنظامه ومميّزاً عما يصفه اليه الانسان بالصنع او الفن، وباستطاعتها اثارة حساسيته وعاطفته الجمالية)^(٢).

ولا بدّ من بيان لما تشتمل عليه (الطبيعة)؛ فعلى الرغم من تعدد الآراء في تحديد انواعها، فإنّ الحس والعقل يحكمان في معرفة ماهيتها، فلو تأملنا في هذا الكون المحيط بنا، القريب منه والبعيد، لوجدنا أنّ الطبيعة مكوّنة من ظواهر وعناصر، فعناصرها كثيرة، منها الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانهار وما شابهها، واما الظواهر فهي: (ما ترتبط بتلك العناصر ارتباطاً سببياً)^(٣).

١) ظ: مجدي كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٣١.

٢) مجدي كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ١٣٢.

٣) د. كاصد الزبيدي، الطبيعة في القرآن، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠، ص ٨.

ويندرج تحت هذا الظواهر ظاهرة الليل والنهار، فانها مسببة عن حركة الشمس في الفضاء، ودوران الارض حول نفسها^(١).

ولذا تكون هذه الظاهرة يومية، على حين ظاهرة الفصول الاربعة المسببة عن حركة الارض ودورانها حول الشمس سنوية، وتُقسّم الطبيعة الى: قريبة وبعيدة، باعتبار قربها او بعدها من الانسان، (فالقريبة): ما قربت من الانسان في الارض التي يعيش فيها من جبال وانهار واشجار ونباتات وحيوان وما الى ذلك.

والبعيدة: كل ما يقع عليه الحس من ظواهر وعناصر سماوية، من سماء ونجوم وكواكب وشمس وقمر وسحاب ورعد وبرق، وما شابهها، وتكون هذه الطبيعة مقابلة للطبيعة الارضية.

وتُقسّم - الطبيعة القريبة - بالنظر الى حركتها وسكونها وجمودها الى: (طبيعة صامتة) و (طبيعة حية) .

فالصامتة: هي تلك الجمادات المنتشرة على سطح الارض، الخالية من الحياة التي يستشعرها الانسان في الحيوان والطير والحشرات من الارض، والبحار، والنباتات، والجبال، والوديان والمروج والغابات والسهول، وما شابهها^(٢).

اما الحية: فهي عناصر الطبيعة المشتملة على الحيوانات والطيور والحشرات بمختلف اشكالها واصنافها^(٣).

وادخل بعضهم النباتات ايضاً بجميع اشكالها وانواعها وصفاتها ضمن الطبيعة

(١) م ن.

(٢) ظ: د. كاصد الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص ٩، بشرى غازي القيسي، الفاظ الطبيعة الحية في القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٦.

(٣) د. كاصد الزيدي، الطبيعة في القرآن، ص ٩.

الحية^(١).

اي جعلها تدلّ على جميع الكائنات الحية ما عدا الانسان - عند بعضهم - .
اما الطبيعة البعيدة: فتشتمل على نوع واحد فحسب، هو (الطبيعة الصامتة)،
وهي تلك المدركات الطبيعية باحدى الحواس التي تولّد الاحساس بالجمال للناظر
اليها، فتشعر حركتها الكونية بالقدرة الخلاقة المبدعة التي تهزّ كيان الانسان النفسي
وتوقظه وتنشّطه وتزيده ايماناً بالخالق المبدع، عند تأمله فيها كالشمس، والقمر،
والنجوم...

وهناك تقسيم آخر للطبيعة، وهو انقسامها الى (الطبيعة الحقيقية) و(الطبيعة
الصناعية) بالنظر الى اليد المنشئة لها.

فالحقيقية: هي تلك العناصر الطبيعية التي لا يكون للانسان دورٌ في تكوينها، بل
هي من خلق العزيز القدير، ونستطيع عدّها طبيعة حقيقية صامتة قريبة او بعيدة،
فتشتمل على جميع العناصر الارضية والسماوية.

اما الصناعية: فهي تلك العناصر الطبيعية التي يكون الانسان هو المنشئ لها،
كالقري، والقصور، والحصون، والسدود، والآبار والرسوم، والاطلال، وما شابهها^(٢).

٣ (التماثل الدلالي بين الفاظ الكون (السماء) و (الارض)):

واتماماً للفائدة نورد هنا اهمية التماثل الدلالي ومفهومه فيما يتعلق بلفظ السماء
والارض والذي اختصرنا بحثنا هذا على هذين اللفظين.

^(١) ظ: بشرى غازي القيسي، الفاظ الطبيعة الحية في القرآن الكريم، ص ٦.
^(٢) ظ: د. كاصد الزبيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص ٩، آلان سمين مجيد، العلاقات الدلالية بين
الفاظ الطبيعة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٢ م
ص ١٩.

أولاً: يُراد بالتمائل: اجتماع لفظة مع أخرى في وحدة دلالية، إذ (المثل): (شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى)^(١). فكلمة (مثل) بمعنى سواء، ويؤكد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) وذلك بقوله: ان (مثل كلمة تسوية، يُقال: هذا مثله ومثله، كما يُقال: شبهه وشبهه و شبهه معنى)^(٢). ويحدد ابن فارس اصول المادة بقوله: (الميم والثاء واللام اصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، اي نظيره)^(٣).

اما التماثل في الاصطلاح فيُراد به: (اثبات حكم واحد في جزء ؛ لثبوته في جزء آخر لمعنى مشترك بينهما، والفقهاء يسمونه: قياساً)^(٤). فالتماثل بين اللفظين كونهما متحدين تماماً في الدلالة، إذ المماثلة: (لا تكون الا في المتفقين، فنقول: نحوه كبحوه، وفقهه كفقفه، ولونه كلونه، وطعمه كطعمه، فاذا قيل: هو مثله على الاطلاق، فمعناه: انه يسد مسده، واذا قيل: هو مثله في كذا، فهو فهو مساوٍ له في جهة، والعرب تقول: هو مثل هذا، وهم امثالهم)^(٥).

(والمماثلة) تكون بين الذوات ولا تكون في غيرها، هذا ما بيّنه ابو هلال العسكري بقوله: (انّ المثليين ما تكافأ في الذات)^(٦).

وعلى هذا فان التماثل يعني: مماثلة اللفظ للفظ آخر في المعنى من دون ان يكون بينهما فارق فيه، وهو الذي يسميه الغربيون (الترادف التام) compleat

^(١) الفراهيدي الخليل بن احمد، كتاب العين، ٨ / ٢٢٨. (مثل)

^(٢) الصحاح، ٥ / ١٨١٦.

^(٣) مقاييس اللغة، ٥ / ٢٩٦.

^(٤) الجرجاني، التعريفات، ص ٤١، ظ: د. عليّة عزت عباد، معجم المصطلحات اللغوية والادبية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٤، ص ٢٠.

^(٥) ظ: الرازي، الصحاح، ٥ / ١٨١٦، ابن منظور، لسان العرب، ١٤ / ١٣١.

^(٦) الفروق في اللغة: ١٢٧.

(sonynymm). والذي بيّنه فخر الدين الرازي بقوله: (انّ المثل هو الذي يكون مساوياً للشيء في تمام الماهية) (١).

وإذا قلنا في الاصطلاح اللغوي: (المتماثل) او (المماثل)، فانما نريد به في بحثنا معنى المساواة التامة في الدلالة. ويُعد ابو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) اقدم من عرفه وعُني به في تفسيره، اذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (٢). العهد: العقد، والإصرمثلة (٣).

وما يعيننا من هذا المبحث في اتمام الفائدة هو ورود لفظي (السماء) و(الارض) متقابلين دلاليّاً في نحو مائة واربعين موضعاً (٤) من القرآن الكريم، افردت (السماء) في تسعة وثلاثين موضعاً، وجمعت في مواضع اخرى.

وقد افاد التقابل الخلافي بين (السماء) و(الارض) في السياقات التي ورد فيها مجتمعين تأكيد غايات ومقاصد عدّة منها:

١ (آيات الله: وذلك في معرض الحديث من التقابل الدلالي بين (السماء) و(الارض)، اذ ورد الحديث عن كونهما آيتين من آيات الله التي تُدرك بالحس، فقد احتجّ القرآن بهما على الكفار في الدلالة على ربوبية الله تعالى، ولذلك وردا في سياق اثبات الخالق سبحانه وذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (٥). فذكر انها آيتان من آياته تعالى، اي: ادلة وحجج

(١) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٤٩٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٣) تفسير التبيان، تحقيق: احمد حبيب العاملي، مكتبة الامين، النجف الاشرف، ١٩٦٣.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٤.

(٥) سورة يونس: الآية ٦.

واعلام واضحة لقوم يتقون الله فيخافون وعبيده ويخشون عذابه^(١).

٢ (الخالق: ومن الآيات القرآنية التي ورد فيه التقابل بين (السماء) و(الارض)، ما يتعلق بخلقه - سبحانه - لهما وابداعه اياهما، بجعل الخلق ملابساً للحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٢). فهذا خبر اريد به بيان حقيقة، وهي ان الله ﷻ هو المتفرد بخلق السماوات والارض، لإخبار هؤلاء الداعين الى عبادة الاوثان بالتسليم لرب العالمين الذي خلق هذين العنصرين من عناصر الطبيعة بالصواب لا بالباطل والخطأ^(٣)، فورد الخلق في الآية بمعنى: الابداع والانشاء، بدليل قوله تعالى في موضع آخر: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

٣ (الجعل: سبقت عدد من آيات التقابل بين السماء والارض بلفظ (جعل) الذي يدلّ على الانشاء والصنع والتصيير، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^(٥)، اي: صيرّ الارض بساطاً للقعود والنوم والتقلب التصرف وما اليها، وصيرّ السماء سقفاً مرفوعاً او قبة مضروبة على هذا البساط^(٦).

٤ (الملك: ورد التقابل الدلالي بين (السماء) و(الارض) في سياق الحديث عن ملك الله، وهو انه تعالى هو المالك ولا مالك سواه، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ

(١) جامع البيان: ١٠ / ٦٢.

(٢) سورة الانعام: الآية ٧٣. ومثلها في سورة هود: الآية ٧. وسورة النحل: الآية ٣.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٧ / ١٠١ - ١٠٢. جامع البيان، ٧ / ١٥٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٢. سورة غافر: الآية ٦٤.

(٦) الطبرسي، مجمع البيان، ١ / ١٣٣. الزمخشري، الكشاف، ١ / ٦٤.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١). اي: هو المالك المتصرف في خلقه، فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما شاء^(٢). فصور تعالى بلفظة (ملك) سعة ما يملك والاحاطة به، ومجيء التقابل في هذه الآيات الكريمة لا يخرج عن غرضين:

الاول: التحذير.

والثاني: التطمين، كالذي في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣)، فأدخل تعالى الاطمئنان في النفس البشرية، حين خاطب الانسان، فكأنه يقول له: مَمَّ تخاف؟ من رزقٍ لن تحصل عليه، او من عملٍ تنجزه غداً، او من مالٍ تحتاج اليه لن يأتيك غداً؟... فكل ما في السماوات وما في الارض هو ملكي أُعطي من اشاء وامنع عن اشاء؟^(٤).

٥ (التسبيح: اسند الله فعل العقلاء - التسبيح - باسلوب التشخيص الفني الى (السماوات) الموصوفة (بالسبع) والى (الارض) في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٥)، فهذا تعبير تنبض له كل ذرة من ذرات هذا الكون الكبير، ويرتعش له الوجدان، فهو يستشعر الحياة وهي تدب في كل ما حوله مما يراه، وكلما همّت يده ان تلمس شيئاً، وكلما همّت رجله ان تطأ

^(١) سورة الحديد: الآيات ٢، ٥. سورة البروج: الآية ٩. سورة الفتح: الآية ١٤.

^(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤ / ٣٠٣.

^(٣) سورة النساء: الآية ١٣٢.

^(٤) محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، الدار العربية، بغداد، ص ١٤٠.

^(٥) سورة الاسراء: الآية ٤٤.

شيئاً، سمعه يسبح لله، وينبض بالحياة^(١).

٦ (العلم: يصور الله سبحانه مبلغ علمه الذي لا حدود له، فلا يستطيع العقل ان يتصور سعة هذا العلم وامتداده من خلال تقابل (السماء) و (الارض) في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢). فيخبر سبحانه عن كمال علمه بخلقه، وانه محيط بما في السماوات والارض، فلا يغيب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء، ولا اصغر من ذلك^(٣).

٧ (التسخير: يُراد بالتسخير: التذليل، وقد وردت مادة (سخر) بصيغة الفعل الماضي المجرد في آية واحدة من آيات تقابل (السماء) و (الارض) الخلافي، لِيُبَيِّنَ ﷻ تسخير السماء والارض لفائدة العباد، وذلك مظهر من مظاهر الخلق و التدبير، ومن مظاهر النعمة التي اوجدها تعالى للبشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤)، اي: ان كل شيء في هذا الوجود منه واليه، هو منشئه ومدبره، وهو مسخره او مسالطه.

وهناك غايات اخرى افادها التقابل الدلالي بين (السماء) و (الارض) اكتفينا عنها بما اوردنا هنا، مثل: المحاجة، والغيب، والربوبية، والابداع، وقد وردت جميعها لبيان فضل الخالق ووحديته وانه لا يوجد سواه من يستحق العبادة، فعلى العقول الواعية والقلوب المبصرة عدم الكف عن تعظيمه سبحانه.

ويُلاحظ ان القرآن الكريم ذكر (الارض) مفردة دائماً، ولم تأت جمعاً ابداً فيه، اذ

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٥ / ٣٣١.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٠. سورة الفرقان: الآية ٦. سورة النمل: الآية ٦٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٢٣٥.

(٤) سورة الجاثية: الآية ١٣.

ليس فيه (ارضون)، وحين اراد القرآن التعبير عن الارض مجموعة، ذكر ثلاثة الفاظ لتدلّ على ذلك، فقال سبحانه: (ومن الارض مثلهن) وهو الذي في قوله تعالى: ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْاَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(١)، اذ عبر بذلك للدلالة على عددهن، تفادياً لان يُقال: (اراض وارض)^(٢)، اي سبع ارضين، في حين استعمل (السموات) تارة بصيغة المفرد، وتارة بصيغة الجمع في اكثر من مائة موضع^(٣).

وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فعلق عليها وان لم يلعل بقوله: (وقد يستخف الناس الفاظاً ويستعملونها، وغيرها احقّ بذلك منها، ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع، واذا ذكر (سبع السموات) لم يقل (الارضين)، الا تراه لا يجمع (الارض) (الارضين)، ولا (السمع) (اسماعاً)، والجاري على افواه العامة غير ذلك)^(٤).

اما الرازي، فقد علل الظاهرة تعليلاً فلسفياً فلكياً، املاه عليه تأثره بالفلسفة، فقال: (ان السماء جارية مجرى الفاعل، والارض القابل، فلو كانت السماء واحدة لتشابه الاثر، وذلك يخلّ بمصالح هذا العالم، اما لو كانت كثيرة لأختلفت الاتصالات الكوكبية، فحصل بسببها الفصول الاربعة وسائر الاحوال المختلفة، وحصل عليها بسبب تلك الاختلافات مصالح هذا العالم، اما (الارض) فهي قابلة للاثر، والقابل الواحد كافٍ في القبول)^(٥). وقد وصف الدكتور كاصد الزيدي هذا التعليل بالتكلف الذي لا حاجة اليه^(٦).

(١) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٢) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ادارة المطابع المنيرية، مصر، ١ / ١١٥.

(٣) ظ: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، ص ٤٦٢ - ٤٦٥. (سمو).

(٤) البيان والتبيين، ١ / ٢٠.

(٥) التفسير الكبير، ١٢ / ١٤٨ - ١٤٩.

(٦) ظ: الطبيعة في القرآن الكريم، ص ٤٨٧.

ولكن ابن القيم التمس علّة هذه الظاهرة، وبين سببها، بإيراده سؤالاً هاماً هو: لِمَ جمعوا (سماء) فقالوا: (سماوات) وهلا راعوا فيها ما راعوه في (الارض)، فانها مقابلة لها، فما الفرق بينهما؟^(١).

واجاب عنه مبيناً: ان بينهما فرقين: فرقاً لفظياً وفرقاً معنوياً، (فاما اللفظي: فلو جمعوا (ارضاً) على قياس جمع التكسير لقالوا (أراض) (كافلس) و(أراض) (كاجمال) و(اروض) (كفلوس)، فاستثقلوا هذا اللفظ ؛ اذ ليس فيه من الفصاحة والحسن، والعذوبة ما في لفظ (السماوات)، وانت تجد السمع ينبو عنه بقدر ما يستحسن لفظ (السماوات)، ولفظ (السماوات) يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته وعذوبته، ولفظ (الاراضي) لا يأذن له السمع الا على كره، ولهذا تفادوا من جمعه)، فسيق هذا التعليل بطابع لغوي صوتي، اما الفارق المعنوي: فقد ضمّنه ثلاثة فروق هي:

الاول: بما ان للسماء معنيين، معنى ذاتي محسوس، فهي تدل على: السقف فيصبح جمعها جمع السلامة، ومعنى وصفي، فتدل على العلو والرفعة، فيجري اللفظ مجرى المصدر الموصوف به، واما (الارض) فاكثر ما تجيء مقصوداً بها المعنى الوصفي، اي: التحت والسفل، دون ان يقصد بها ذواتها واعدادها، فاذا خرجت عن معنى السفل، جاز ان تثنى، اذا ضمّ اليها جزء آخر، ومنه ما روي عنه عليه السلام: (فانّه يطوّقه يوم القيامة من سبع ارضين)^(٢). فجمعها؛ لاعتماد الكلام على الذات^(٣).

فاراد ابن القيم من ذلك: انّ (السماء) ترد بصيغة المفرد اذا أريد بها تأدية معنى (العلو والرفعة)، في حين ترد بصيغة الجمع، اذا كان المقصود ذواتها المحسوسة، اما

^(١) بدائع الفوائد، ١ / ١١٤. ظ: عبد الفتاح لاشين، دلالة الفاظ القرآن الكريم عند ابن القيم، مجلة الدارة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، العدد ٤، السنة ٨، ابريل ١٩٨٣، ص ٢١.

^(٢) د. سعد المرصفي، المعجم المفهرس لالفاظ صحيح مسلم، شركة ذات السلاسل للطباعة، الكويت، ١٩٨٨، ١ / ٦٠.

^(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٤ / ٦.

(الارض) فأنها ترد مفردة دائماً، لكونها تدلّ على اسفل كلّ شيء في اغلب مواضعها، والى مثل ذلك ذهب الباحث عبد الجليل عبد الرحيم، اذ رأى ان القرآن يستعمل (السماء) مفردة لمعنيين، الاول: التوحد في الجهة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(١). فدلّت كلمة (السماء) هنا على ان مصدر نعمة الماء سماوي الهي، والثاني: اللفت الى كل ما هو فوق الانسان وما هو مخالف في طبيعة تكوينه لطبيعة الارض وما حولها^(٢).

اما استعمال (السموات) مجموعة، فانه يأتي لتأدية معان عدة، منها: الكثرة والتفضيل والتعظيم والاهمية، والاستقصاء.

والثاني: ان الارض لا نسبة لها الى السموات وسعتها، بل هي بالنسبة اليها كالحصاة في صحراء، فهي وان تعددت وكبُرت، فنسبتها الى السماء كالواحد القليل، فاختير لها اسم جنسها.

والثالث: ان الارض هي دار الدنيا التي هي بالاضافة الى الاخوة ضئيلة كما يدخل الانسان أصبع في اليم، فما يعلق به هو مثال الدنيا منه الاخرة، والله سبحانه لم يذكر الدنيا الاً مقللاً لها ومحقراً لشانها. اما (السموات) فهي مقر ملائكة الرب تعالى ومحل دار جزائه ومهبط ملائكة ووحيه.

وما يُلاحظ في التقابل الدلالي القائم بين (السموات والارض) تقديم (السماء) على (الارض) في اكثر مواضع تقابلها. وقد يكون سبب ذلك اهمية (السماء) وتفاضلها في التكوين. لانها اكمل شرفاً ومستواً. في حين بين الشيخ الطبرسي سبب تقديم (السماء)

(١) سورة الانعام: الآية ٩٩.

(٢) لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، الاردن، عمان، ١٩٨١، ص ٣٤٧.

على (الارض)، بأبتداء الخلق. حيث كان خلق (السماء) سابقاً لخلق الارض^(١).
اما الرازي فقد علل ظاهرة تقديم (السماء) على (الارض) تعليلاً فلكياً فلسفياً اوردته
بقوله: (السماء كالدائرة والارض كالمركز ، وحصول الدائرة يُوجب تعيين المركز ولا
ينعكس، فان حصول المركز لا يوجب تعيين الدائرة؛ لامكان ان يحيط بالمركز الواحد
دوائر لانهاية لها، فلما كانت (السماء) متقدمه على (الارض) بهذا الاعتبار وجب
تقديم ذكر (السماء) على (الارض) بهذا الاعتبار^(٢).

فالقرآن اذن غالباً ما يقدم (السماء) على (الارض)، الا في ثمانية عشر موضعاً
تقدمت فيها (الارض) على (السماء) فورد هذا التقديم تبعاً للتسلل المنطقي، اذ
(الارض) ملتصقه بحياة الانسان المادية اكثر من لصوق السماء بها، اذ هي موطن
سكانه وموضع عمله وفيها منتهاه كالذي في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا
فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾^(٣). فاراد سبحانه وتعالى تصوير نفق الارض
قبل سلم السماء، اذ من البديهي ان يبدا بالارض وانفاقها، ثم بعد ذلك يرفع السلم في
السماء فمن غير المعقول ان يذكر السلم قبل النفق، وان كان ذلك لا يخرج عن قدرته
وعظمته سبحانه على عكس ما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا
أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾^(٤). فالسماء هي التي يتوقع سقوطها على الأرض على
وفق ما تعود عليه الانسان من سقوط الاجسام العالية على ما هو اسفل منها، ولا
يتصور العكس بحكم جاذبيه الارض.

في حين عدّ الدكتور كاظم الزبيدي (التناسق الموسيقي) بين اللفظة وموقف

(١) مجمع البيان، ٧ / ٨. ظ: د. كاصد الزبيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، ص ٤٨٤.

(٢) التفسير الكبير، ١٢ / ١٤٨.

(٣) سورة الانعام: الآية ٣٥.

(٤) سورة الحج: الآية ٥.

من المواقف، من اسباب تقديم (الارض) على (السماء) ، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ {٣٨} الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ {٣٩} ﴾^(١). فجعل (السماء) فاصله ختمت بها الآية الكريمة ، في موقف خاشع حافل بالدعاء والابتهال، مُعللاً ذلك التقديم بصوت المد في لفظة (الارض) والذي يُناسب هذا الموقف الخاشع المطمئن فلو قدمت السماء وجُعلت الارض فاصله لما تم ذلك التناسق الموسيقي والانسجام الايقاعي القائم بين فواصل الآيات^(٢).

٤ (مقصودنا من الكون :

المقصود من الكون: ما خلقه الله من الاشياء المنظوره وهو عالم محس منشى له واقعية في الخارج: ولهذه الاشياء صفات وكيفيات واحاسيس تتأثر بها حواسنا ويصور لنا اد راکنا الحسي في الذهن فكرة عنها وان كانت تلك الاشياء تبدو لأذهاننا على غير ماهي عليه في الواقع. لانها تتحول سريعة وتتغير وان تراءت لحسنا كاعيان ثابتة ساكنه كما ذهب الى ذلك ابو الفيض المنوفي^(٣).

وكذلك ما وراء هذه الظواهر الكونية المحسوسة من علل قريبة غير منظوره. كالقوة والطاقة والقوانين. التي ندركها بعقولنا. ثم ندرك بأن لنا ذاتاً مستبطنه تدرك الاشياء وان في الخارج موضوعاً يُدرك. ولهذا حكم بأن للوجود باطناً معقولاً كما ان له ظاهراً محسوساً^(٤).

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٨ - ٣٩.

(٢) الطبيعة في القرآن الكريم، ص ٤٨٥.

(٣) ظ: محمود ابو الفيض المنوفي، الوجود، مطبعة الحجازي، القاهرة، ١٩٤٧، ص ١٣.

(٤) م ن.

وكذلك يدرك ان وراء هذا الكون الموجد الاول لجميع الاشياء، فالكون المنظور في القرآن الكريم من ارضه وما عليه من جبال ووديان وبحار واشجار وحيوانات، وسمائه وما فيها من نجوم وكواكب وشموس واقمار وذرات وغيرها. ومن بينهما من المخلوقات من مطر وسحاب وطيور صافات هو موضع التأمل والبحث فيه. بالتجربة واتباع البرهان والدليل العلمي للوصول الى الحقيقه التي يحاول الانسان الاخبار بها. ذلك لأن هذه الأدلة المنظوره تحيط بالانسان من كل جانب بتعامل معها بالتجربة والتسخير لحياته وسد احتياجاته ويشاهد التغيرات والاعراض الآتية على اجزاء الكون. وكذلك يدرك الانسان وجود قوة خفيه داخل المادة المنظوره تعطي فاعليه وحيويه لها. فلولاها لما كان لوجودها تلك الاهمية التي نلامسها مع هذه القوة الخفيه. وكذلك يدرك ذوو الفطرة السليمة والعقول المنطقه من هذه الفطره ان وراء ذلك خالقاً اوجد هذه الاشياء على هذا النظام المدهش البديع الذي حير العلماء ان يبوحوا به الا القول بأن له خالقاً اوجد هذه الاشياء على الوجه الذي نراه. ولنجعل من هذا الكون المنظور دليلاً مشهوداً محسوساً على وجود من اعد هذا الكون ويدير شؤونه من غير ان يكون للانسان يد في تغيير شئ منه. ومفنداً آراء المخالفين والنظريات التي لا تقف امام البرهان العلمي والمنطقي منذ العصور القديمة الى وقتنا الحاضر. وليضم حقيقة العلم الى حقيقة الدين ويناديان: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

٥ (بداية الكون وتوسعه:

ذهب كثير من العلماء الى القول بعدم الاستطاعة ان يبان متى بدأ الكون وكيف بدأ على وجه الدقة والتحديد^(١).

الا ان علماء العصر الحديث _ الاوربيون اواخر العام ٢٠٠١م تمكنو بواسطة استخدام اجهزة قياس تحديد عمر الكون بـ ١٣ مليار سنة. كما اكد هؤلاء الباحثين ان الانفجار العظيم لا يزال مستمراً لأن الارض وبقية الكواكب لا تزال تتباعد عن نقطة الانفجار الاولى^(٢).

وحدث هذا الانفجار بعد ان كان الفضاء في بدايته مملوء بالبروتونات التي انظمت الى بعضها البعض بالجاذبية مكونة غازاً كثيفاً او دخاناً ساخناً لدرجة اتاحت حدوث عمليات الاندماج النووي لمختلف العناصر بما في ذلك العناصر الثقيلة المشعة مع وفرة في الحديد والاكسجين. تحت تأثير الضغط الهائل لهذا الغاز الساخن المضغوط بدأ الكون ينفجر. وتكثفت سحب من هذا الدخان في اماكن متفرقة مكونة نجوماً منفردة ظلت تتناثر من اثر الانفجار. وعندما هبطت حرارتها تغلبت جاذبيتها المتبادله فتجمعت على هيئة مجموعات تسمى المجرات ظلت ايضاً تتناثر

(١) ظ: جيرالد هوكنز، بدائع السماء رحلة مع العلم في رحاب الكون، ترجمة: عبد الرحيم بدر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٧٧. جون فليفر، بداية الكون من الافلاك الى البشر، ترجمة: محمد الشحات، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ص ٣٦.

(٢) ظ: نجيب محمود زيب، الكون العظيم، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٢. خير شواهين: علوم الكون والفضاء، عالم الكتب الحديثة، الاردن، ٢٠٠٧، ص ٣٧٣. د. طالب ناهي الخفاجي، نظرتنا المعاصرة الى الكون، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١، ص ١١.

وتتباع من دون ان تتوقف الى الآن^(١).

وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٢). حيث اثبت العلم الحديث ان الكرة الارضية ليست وجدها تتضخم وتتقل على اثر جذب المواد السماوية تدريجياً. بل السماء ايضاً في اتساع دائم. أي ان بعض النجوم المستقرة في المجرات تتباعد عن مركز مجراتها بسرعة هائلة حتى ان هذه السرعة لها اثرها في الاتساع في كثير من المواقع !

اذ ان اقصى سرعة لابتعاد النجوم عن مركزها حتى الآن ٦٦ الف كليو متر في الثانية، والمجرات التي هي ابعد منها - في نظرنا - ومض نورها قليل جداً حتى انه من الصعب تحديد سرعتها، والصور الملتقطة من السماء تدل على اهمية هذا الكشف وان الفاصلة ما بين هذه المجرات تتسع اكثر من المجرات القريبة منا بسرعة^(٣).

يقول الاستاذ جان الدر: (ان احدث وادق تقدير طول الامواج التي تبثها النجوم يكشف الستار عن وجة حقيقة عجيبة ومحيرة اي انها تكشف لنا مجموع النجوم التي يحويها العالم تباعد عن مركزها بسرعة دائماً وكلما كانت الفاصلة بينها وبين مركزها ازدادت سرعتها.

فكأن جميع النجوم كانت متجمعة في هذا المركز ثم تفرقت عنه مجاميع كبيرة من النجوم واتجه كل منها الى اتجاه خاص. ويستنتج العلماء من ذلك ان العالم كانت

^(١) ظ: د. منصور حسن البني، الكون والاعجاز العلمي في القرآن، دار الفكر العربي، ص٦، حنفي احمد، التفسير العلمي للآيات الكونية، ص٩٢، د. نوفيكون، الثقوب السوداء في الكون، ترجمة: د. احسان ميخائيل اسحاق، دار علاء الدين، سوريا، ٢٠٠٧م، ص. 107 .

^(٢) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

^(٣) ظ: فرد هويل، حدود النجوم، ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

له نقطة بداية وشروع. (١)

ويقول جورج جاموف: (ان فضاء العالم المتشكل من مليارات المجرات في حالة انبساط سريعة. والحقيقة هي ان علمنا ليس في حالة من السكون. بل انبساطه مقطوع به.. والاذعان الى ان علمنا منبسط يهيو المفتاح لخزينة اسرار معرفة العالم لأنه اذا كان العالم الآن في حالة الانبساط فيلزم ان يكون في زمان مافي حالة انقباض شديد (٢).

نستنتج من هذا ان الكون حادث وليس ازلياً وقد جاء قانون الطاقة المتاحة ليثبت ان من المستحيل ان يكون وجود الكون ازلياً (٣). ويقرر هذا القانون بأن الحرارة تنتقل من الساخن الى البارد ومن الحرارة الاعلى الى الاحرارة الادنى حتى يتعادل المستويان فيتوقف التبادل الحراري، ولو كان الكون ازلياً بدون ابتداء لكان التبادل الحراري قد توقف في تلك الآباد الطويلة الماضية وللزم ان تكون الحياة قد توقفت الآن بأزمان بعيدة (٤).

يقول العالم الامريكي (داوارد لوثر كسيل): (لقد اثبتت البحوث العلمية ،دون قصد ان لهذا الكون بداية. فاثبتت تلقائياً وجود الآله لان كل شئ ذي بداية لا يمكن ان يبتدى بذاته (٥).

ومن الجدير ذكر ما قاله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير قوله تعالى: (انا

(١) ظ: جان الدر، بداية العالم ونهايته، ص ٧٤.

(٢) جان الدر، بداية العالم ونهايته، ص ٧٥.

(٣) ظ: عبد الحلیم عبد الرحمن خضر، الظواهر الجغرافية، سلسلة العلم والايمان رقم (١)، دار السعودية للنشر، ص ٦٨.

(٤) م ن، ص ٦٨.

(٥) م ن، ص ٦٩.

لموسعون) من الآية الآتفة الذكر انها - دالة على الدوام والاستمرار فهي جملة اسمية ذات اسم فاعل، كما انها تدل على ان هذا الاتساع موجود دائماً وكان ولا يزال، وهذا يؤيد تماماً ما وصل اليه العلم الحديث ان جميع النجوم والمجرات كانت مجتمعة في البداية في مركز واحد - بوزن خاص له ثقل خارق - ثم انفجرت انفجاراً عظيماً مثيراً (مرعباً) وعلى اثر ذلك تلاشت اجزاء العالم وظهرت بصورة كرات وهي بسرعتها في حالة الاتساع والابتعاد (عن المركز)^(١).

وقد ظهر مما تقدم ان العلم الحديث في هذا العرض جاء على وفق ما اشار اليه القرآن الكريم عن الوصل الذي نشأ فيه الارض والسماء. كما استقر في كلمتهم على ان الكون له بداية مسبقة بالعدم فوجد بعد ان لم يكن. وهذا يدعونا تبعاً ان يكون له خالقاً خلقه من العدم الذي نجعله.

٦) نهاية الكون:

وحين ينتهي الاستعراض في صفحة هذا الكون المنظور وتطوى صفحة الخلق الفاني، وتتوارى اشباح الخلائق جميعاً ويفرغ الجمال من كل حي مخلوق^(٢). يظهر بأن كل شئ هالك الاوجهه ويفنى كل حكم، وحكم الحي القيوم باق بعد فناء خلقه وعندما يزول كل شئ ويفنى كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ {٢٦} وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ {٢٧}﴾^(٣). وهذه الآيات كلها شاهد على ان الفناء في الآية والآيات الاخرى بمعنى اضطراب نظام الجسم والروح وقطع الارتباط بينهما

(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٧ / ٩٤.

(٢) ظ: عبد الحليم عبد الرحمن خضر، الظواهر الطبيعية، ص ٧٣.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٢٦ - ٢٧.

واضطراب عالم الخلقه كذلك، وطول عالم جديد محل العالم السابق^(١). فتتحقق الانفاس، وتخشع الاصوات وتبلغ القلوب الحناجر وتسكن الجوارح، وظل الفناء يشمل كل حي ويطوي كل حركة ويغمر افاق السموات والارض ولا يملك العقل البشري والتعبير الفكري ان يصور الموقف ولا ان يزيد على النص القرآني الذي يسكب في الجوارح السكون الخاشع والجلال الغامر والصمت الرهيب الذي يرسم مشهد الفناء الخاوي^(٢)، فسكون الموت المخيم بلا حركة في جنبات هذا الكون الذي كان حافلاً بالحركة والحياة.

وفي المشهد الأرضي انذاك كل شئ في تغير وتبديل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣)، ونحن لاندرى كيف سيتم هذا ولا ارطبيعة الارض الجديدة، ولكن القرآن يُلقى الظلال الوارف على المشهد، ارض بلا جبال ولا وديان. ولكنها مبسطة كما يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُجَّفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَّهِيْلًا﴾^(٤).

واننا نلحظ ان المستفاد (من مجموع آيات - القيامة - بصورة واضحة ان النظام الحالي. للعالم - الكون - سوف يتغير ويضطرب وتقع حوادث مرعبه جداً في كل الوجود، فتتغير الكواكب والسيارات والارض والسماء ،وتحصل تغيرات يصعب تصورها)^(٥)، الا اننا نفهم ان لهذا الكون نهاية اذ ان فصل السماوات والارض

(١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٧ / ٢٩٨.

(٢) ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦ / ٣٤٥٤.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ٤٨.

(٤) سورة المزمل: الآية ١٤.

(٥) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٧ / ٣٠٤.

المعبر عنه في قوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(١). يستتبع بالضرورة توسعها كما تقدم، وفي ضوء استشراف تاريخ اكتشاف توسيع الكون تتجلى المعاني الاعجازية الكامنه في الآيات الكريمة^(٢).. وهي تتناول موضوع الرتق والفتق وهو موضوع كوني عام داخل في صلب التكوين؛ (فكل رتق قابل للفتق وكل فتق قابل للرتق والسموات والارض ستعودان كما كانتا عند قيام الساعة كما انبأنا التنزيل وكما يفترض علماء الكونية اليوم)^(٣).

^(١) سورة الانبياء: الآية ٣٠.

^(٢) د. عدنان الشريف، من علم الفلك القرآني (الثوابت العلمية في القرآن الكريم)، دار العلم

للملايين، بيروت، ١٩٩١، ص ٣٢.

^(٣) م ن، ص ٣٢.

المبحث الثاني:

الاعجاز والاستدلال العلمي بالآيات الكونية على

وجود الله ﷻ :

ان (الادله على وجود الله لا تحصى، وعددها كعدد مخلوقات الله، فكل مخلوق يحمل ادله تدلنا على خلقه وتعرفنا بموجده العليم) ^(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢)، ويمكن القول بعد تتبع الآيات الكونية في القرآن الكريم: ان آية آية كونية في القرآن الكريم يُمكن ان اتخذها طريقاً للاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته لا سيما اذا كانت الآية تشير إلى الظاهرة الكونية التي يمكن للبحث العلمي ان يشق طريقه فيها معتمداً على المشاهدة والاختبار والتجربة كاشفاً عن تلك الاسرار العظيمة ودقة الكون ونظامه الرائع ^(٣)، والتي ما زدنا بها كانت سبيلنا للتعرف على حقيقة وجود الخالق جل وعلا.

وتلحظ عزيزي القارئ ان هذه الآيات كثيرة جداً، فما اخبر به القرآن الكريم عن هذه المخلوقات، وما فيها من حكم واسرار دليلاً على وجود الله ﷻ وقد اهتم المفسرون بربط الآيات القرآنية التي تصف الكون بمسألة (وجود الخالق) على رأسهم المفسر الكبير الرازي، فهو يُكثر من ترديد لفظة (الصانع) حيث يُلاحظ من خلال منهجه انه يؤكد على الآية الكونية ويتخذها دليلاً على وجود الصانع ^(٤).

^(١) ظ: عبد المجيد الزنداني، توحيد الخالق، منشورات مكتبة المثني، بغداد، ص ٢٧.

^(٢) سورة الجاثية: الآية ٣.

^(٣) ظ: هاشاوي كلودم، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: د. الدمرداش وآخر، ط ٢، ١٩٦٨، ص ١٩.

^(٤) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٤ / ٢٣٠.

ونلاحظ كذلك ابن شد يؤكد على هذا النوع من الاستدلال، ويثبت ان ذلك طريق القرآن. فهو بعد ان يذكر ادله المتكلمين ويبين انها ليست الطريقة الشرعية التي دعا الشرع منها جميع الناس، ثم يذكر الطريقة التي نبه القرآن الكريم عليها ودعا الكل الى بابها، وذلك تتحصر في جنسين (احدهما: طريق الوقوف على العناية بالانسان وخلق جميع الموجودات من اجلها، ولنسمي هذا دليل العناية، والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الاشياء للموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والادراكات الحسية والعقل، ولنسمي هذه دليل الاختراع)^(١)، وفي القرن العشرين نلاحظ محمّد عبده يؤكد على ما ذكرناه^(٢)).

وهذا هو منهج القرآن الكريم في لفت نظر الانسان في كثير من آياته الى خلق الكون، وخلق كل شئ في فيه بقدر وحكمه وناموس معين، والى ان الانسان مخلوق قصداً وغير متروك سدى، خلقه الله ليكون خليفه في الأرض، ووهبه من الطاقات المكنونه ما يتمكن به من القيام بالاعباء والواجبات المفروضة عليه، وسخر له من (قوانين الكونيه ما يعينه على تحقيقه، ونسق بين تكوينه وتكوين هذا الكون ليملك العمل والابداع والحياة)^(٣)، وهذا هو مصداق قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٤).

وهذه الدعوة القرآنية الرائعه الى النظر هدفها فتح نوافذ الادراك البشري كافه بأقصى امكانياتها للوصول الى الحقيقه العلمية الدقيقة بعد ملاحظة والتجربة والتحليل والاستنتاج، أي ان القرآن الكريم يعلمنا العقل السنني العلمي، فهو يريد من الانسان

^(١) ابن رشد، الكشف عن متهاج الادلة من عقائد الملة، ١٩٦٨، ط ٣، ص ٦٥.

^(٢) ظ: محمد عبده، الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، مطبعة محمد علي صبيح، ص ٤٩.

^(٣) د. محمد الانور السنهوتي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ص ٤٠٦.

^(٤) سورة فصلت، ٥٣.

الايعيش في غفلة، بل ان يدرك ان لهذا الكون سُنناً وقوانين وانظمة يمكن ادراكها من خلال النظر والتدبر في الانفس والآفاق.

ولهذا نلاحظ ان الكون مركب في وجوده من اجزاء متعددة على نحو تنظيمي معين يستتبع غايات هامه للانسان ،وكل جزء من اجزائه يندفع الى تحقيق غايات معينة بالتألف مع الأجزاء الأخرى، وكذلك مجموع الأجزاء تندفع إلى تحقيق غايات نوعية ضمن شروط دقيقه لو تخلف بعض منها لما تحققت تلك الغايات ولدب الفساد فيها^(١).

و(هكذا نتعرف على الخطوات التي يجب ان نتبعها في معرفة الله، وبحثنا القرآن على اتباعه فالخطوة الاولى في سبيل معرفتنا بالله وهي الوعي الطبيعي والشعور الفطري بوجود قوى عليا - وراء هذا الكون المادي - والخطوة الثانية هي شي من التفكير والتبصر والتأمل في ارجاء هذا الكون، ومنها تدفع المشاعر الفطرية للفكر - العقل - الى تقديم البراهين الكونية التي تكشف عن وجود الله من خلال الاستنتاج، وادراكنا بمثل هذه البراهين وتناولنا التفصيلات وتفسيرها انما يتمثل في ان نجد ان لهذه البراهين دليلاً تجريبياً عملياً نصل اليه من خلال الحواس^(٢). وهذا ما نرجو الوصول اليه وتحقيقه باذن الله تعالى، وبعد هذا البيان لايد من دراسة بعض من الايات الكونية العلمية والتي من خلالها نصل الى الايمان الثابت على وجود واجد الوجود ﷻ:

(١) ظ: محمد سعيد رمضان السيوطي، كبرى التعمينات الكونية، دار الفكر، بيروت، ط ٥، ١٣٤٧ هـ، ص ٩٢.

(٢) محمد متولي الشعراوي، اثبات وجود الله ووحديته، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، بغداد، ص ٣٤.

أولاً: الاستدلال العلمي على وجود الله سبحانه

- (الدليل العلمي الحسي) -:

لقد اخبر القرآن الكريم عن قضايا علمية كونية لم تخطر على بال احد من اهل العصر الذي نزل فيه، ومع هذا فقد كان عرض القرآن الكريم المعجز في بيان الخلق والابداع في هذا الكون باساليب مختلفة، متناغمة مع كل اهل عصر من العصور شاملاً لجميع مخلوقات الله، حيث بين القرآن الكريم في تلك المخلوقات الآيات الدالة على وجود الله تعالى، ووحدانيته، ومظاهر قدرته، وعظيم حكمته، وواسع رحمته، وواضح ان القادر على الخلق هو الرب، وهو المعبود الحق، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، كما انه بقضية الخلق تحدى المشركين الذين اتخذوا آلهة معبودة من دون الله ان يدعو هذه الآلهة لتخلق اقل موجود واحقره فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾^(٢)، بل بين انه لو سلبهم الذباب شيئاً مما بأيديهم لما استطاعوا انقاذه منه ولو اجتمعوا له، وكفا بذلك عجزا فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣).

وقد تجلّت آية الخلق والابداع في اضخم مجالي الوجود، وهما خلق السماوات والارض، وفي اعظم الظواهر الناشئة عن ذلك الخلق، كالظلمة، والنور، يقول تعالى مادحاً نفسه الكريمه على خلقه السماوات والارض قراراً لعبادته وعلى ان نجعل

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٣.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٣ - ٧٤.

الظلمات والنور منفعة لهم في ليلهم ونهارهم^(١): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٢).

فالمقصود من هذه الآيه (ذكر الدلالة على وجود الصانع، وتقديره: ان اجرام السماوات والارض تقدرت في امور مخصوصة، بمقادير مخصوصة، وذلك لايمكن حصوله الا بتخصص الفاعل المختار)^(٣). ثم يبين الرازي بعد ذلك وجودها في دلالة ما في السماوات والارض على وجود الله سبحانه وتعالى واهمها :

- ١- تقدير هذه الاجرام بمقادير معينة لا زيادة فيها ولا نقصان.
- ٢- ترتيب اجزاها ترتيباً معيناً، بحيث لا يكون الداخل منها، خارجاً والخارج منها داخلاً.

٣- اختصاص الجسم الفلكي بالحركة دون الكون.

٤- تقدير حركتها تقديراً خاصاً لا تزيد عليه ولا تنقص.

٥- توجيه حركتها توجيهاً معيناً، دون سائر الجهات.

٦- وقوع كلاً منها في حيز معين من الفضاء^(٤).

ونلاحظ هنا رأي للرازي في تفسيره للآيات الكونية حيث يتخذ اغلبها دليلاً في اثبات وجود الله وحدانيته وقدرته وحكمته، متلبساً بالحق الذي ينبغي ان يوحى بوجود الله مثل قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

(١) ظ: د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، منهج القرآن في الدعوة الى الايمان، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، السعودية، ١٣٩٥، ص ١٧.

(٢) سورة الانعام: الآية ١.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ٤ / ٦.

(٤) المصدر نفسه، ٤ / ٦.

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾.

قال البيضاوي: (الا خلقاً ملتبساً بالحق، وهو ما تقتضيه الحكمة، والمعادلة فيه ودلالة على وجود الصانع الحكيم، والبعث للمجازاه، على ماقررناه مراراً^(٢)، (فلا ترى في كتاب سمائه كلمة تخالف الحق، ولا تجد في مجموع عالم خلقه شيئاً نشازاً، لا ينسجم والحق، فالكل منسق منتظم وكله مقترن بالحق)^(٣)، والمؤمنون المتأملون في خلق السماوات والارض (لا يكتفون بالنظر المعبر حسب وانما يعبرون عن احساسهم بالحق الذي لا يسها - في خشوع العابدين وترتيل المرتلين - بالفاظ تنبئ عن رهافة احساسهم ،ويقضة مشاعرهم)^(٤).

فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ { ١٩٠ } الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٥﴾، ففي قوله تعالى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) تعبيرهم هذا يدل على قوة يقينهم وثبات ايمانهم بالله وعن وصولهم الى درجة الاحسان التي هي اعلى مراتب الايمان، وتعبيرهم يُنبئ عن الحق الذي عرفوه في خلقها، والخالق الذي اطمأنوا الى وجوده من ورائها، ولعلمهم ادركوا في هذا التامل الخاشع مافي خلق هذه العناصر من التناسق الآخاذ، والنظام البديع، فصاروا يرددون دعائهم الخاشع ذاك، والحقيقة هي ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذي اوتي قدرة في تركيب اعضائه لكنه من التأمل والتفكير في صفحة السماء، فكان

(١) سورة الاحقاف: الآية ١-٣.

(٢) البيضاوي (ت ٧٩١ هـ): تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ٢ / ٢٤٦.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦ / ١٧٧.

(٤) د. كاصد الزيدي، الطبيعة في القرآن، ص ٢٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٩٠ - ١٩١.

ذلك احياء له بمزولة هذه العبادة الفكرية السامية، التي عدما الحيوانات وبقية المخلوقات الحية)^(١).

ويقول الدكتور احمد زكي: (فالذي صمم جسم الحيوان وركّب هيكله، كأنه لم يرد من هذا التصميم ان يمكّن الحيوان من النظر الى السماء، وذلك لاسباب عدة، من اظهرها انه من عقله العاجز، لا يستفيد من النظر شيئاً وعلى غير هذا الطراز صُمم جسم الانسان، وركّب هيكله، فالانسان عقله واعٍ كثير الوعي، وهو قادر كثير القدرة، فهو يستفيد من النظر الى السماء اكبر استفادة، وبقلي في سبيل هذا النظر بعض المشقة، ولكنها مشقة تهون في سبيل ذلك الذي هو فيه)^(٢).

ولقد عاب القرآن على اولئك الذين يُعرضون عن هذه الآيات التي في السماوات والارض، لانهم لم يتأملوا فيها وهم يشاهدونها لكي يصلوا الى الايمان الحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ، وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾^(٣).

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (فهذه الدلائل يرونها باعينهم كل يوم ! تشرق الشمس عند الصباح لتنتشر اشعتها الذهبية على الجبال والوديان والصحاري والبحار، وتغرب عند المساء ويعمّ الليل بستاره المظلم كل مكان.

ان اسرار هذا النظام العجيب وهذا الشروق والغروب وحياة النباتات والحشرات والانسان، وهدير المياه، وحركة النسيم، وكل هذا الفن العجيب للوجود هو من الوضوح بحيث ان لم يتدبّر احد فيه وفي خالقه سيكون كالخشبنة المستندة.

(١) د. كاصد الزيدي، الطبيعة في القرآن، ص ٣٤٤.

(٢) مع الله في السماء، مطبعة الديواني، بغداد، ص ٢٢.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٥.

كثيرة هي الدلائل التي نعتبرها صغيرة وغير مهمة، فنحن نمرّ عليها كل يوم ولا نعير لها اهمية، وفجأة يظهر عالم ذو بصيرة فيكشف بعد دراسة اشهر وسنين اسرار هذه الدلائل ويذهل العالم بها.

المهم ان نعلم ان كل ما في العالم ليس زُخرفاً وبدون فائدة، لانها من مخلوقات الله الذي لا نهاية لعلمه ولا حدّ لحكمته، وانما الساذج والزخرف فهم اولئك الذين يعتقدون بان العالم وجود عبث وليس له غاية وفائدة، ولهذا فلا تعجب لعدم ايمانهم بالآيات المنزلة عليك، لانهم لم يؤمنوا بالآيات المحيطة بهم من كل مكان^(١).

وهكذا فحديث القرآن في الاستدلال بالسموات والارض وعناصرهما كثير جداً، وبعد ان استدللنا على وجود الله ببعض آيات خلق السموات والارض وبصورة مختصرة فلا بد ان نخطو خطوة اخرى وهي دراسة عناصر هذا الكون بشيء من التفصيل مثبتين في النتيجة المنهج القرآني العلمي في اثبات اهم ركن من اركان العقيدة الاسلامية ولنبدأ اولاً :

١ (الاستدلال العلمي بالآيات الكونية - آيات السماء - :

تحدث القرآن عن خلق السماء، وبيّن انها جرّم خلقه الله تعالى وبناه ورفعها وانها محبكة في صنعها في آيات باهرات تشير الى التوازن الدقيق البريء من الخلل، والاضطراب، آيات تثبت ان الله رفع السماوات بغير عمدٍ ترونها وجعل هذه السماء سقفاً مرفوعاً بلا صدوعٍ ولا اضطراب، وانها آية من آيات الله الكبرى المعروضة على الانظار المصاحبة للواقع المشهود للنظر فيها بعين البصيرة لا بالبصر المجرد، حتى يأخذ المخاطب منها الدليل على وجود خالقها، ومنتقن صنعها، فيعبده وحده، والآيات التي اشار اليها القرآن الكريم بهذا الصدد كثيرة جداً تحمل ادلة علمية على وجود

(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٧، ٢٢٥.

الخالق ووحدانيتها^(١). وليس من الممكن في هذا البحث ان ندخل في عمق هذه الآيات جميعاً ولكننا نكتفي بمعالجة بعض الآيات الكونية، فقد اشار القرآن الكريم عن بناء السماء في آيات عدة^(٢). وبعد صيغ منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^(٤). فقد ذهب المفسرون الى ان معنى (والسمااء بناءً) اي السقف كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٥). وبيّنوا انها كالقبة المضروبة او انها كالسقف للارض^(٦)، فانه تعالى جعل بناء السماء متماسكاً لكي لا تقع على الارض فتهلك الناس، لان السماء مجموع ما فوقنا من العالم، والبناء وضع شيء على شيء بحيث يتكوّن من ذلك الشيء بصورة مخصوصة، وقد كوّن الله تعالى بنظام البناء، وسوى اجرامها على هذه الصفة المشاهدة وامسكها بسنة الجاذبية فلا تقع على الارض ولا يصطدم بعضها ببعض^(٧). فالآية تشير الى خلق ما فوقنا من آيات تدل على وجود الله، وبالنظر الدقيق نتوصّل عند ذلك ان لا بدّ لها من خالق عظيم.

اذن فالسمااء لفظ تطلق على: كل ما علانا فاظننا. ومنه قيل لأعلى كلّ شيء:

^(١) ظ سور: البقرة: الآية ١٨٩. آل عمران، ١٩٠، الانعام: ٩٦ - ٩٧، الاعراف: ٥٤، ١٨٥، يونس:

٣، الرعد: ٢، ابراهيم: ٣٢، النحل: ١٢، الانبياء: ٣٠، الحج: ٦٥، المؤمنون: ١٧، ...

^(٢) ظ: سورة الذاريات: الآية ٤٧، النازعات: الآيات ٢٧ - ٢٨.

^(٣) سورة ق: الآية ٦.

^(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢.

^(٥) سورة الانبياء: الآية ٣٢.

^(٦) ظ: الطبري، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٤، ١ / ١٦٢. ابن كثير، تفسير القرآن

العظيم، ١ / ٩٩. الألوسي، تفسير روح المعاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١ / ١٨٨،

الزمخشري، الكشاف، ١ / ٩٩، الطبرسي، مجمع البيان، ٤ / ٤٦.

^(٧) ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص ٣١٦.

سما، فهي لفظة مشتقة من الفعل (سما)، ومنه اشتق المصدر (السمو) الذي يعني: الارتفاع والعلو^(١). وهو من الالفاظ المجازية، اذ أُطلق في القرآن الكريم للدلالة على معانٍ عدة منها الدلالة على (العلو والارتفاع) في القرآن الكريم للدلالة على العوالم العليا غير الارضية، وهي من الالفاظ التي تستعمل للمذكر والمؤنث، وللمفرد والجمع، وتُجمع على: (اسمية) و(سماوات)^(٢). فضلاً عن كونها اسم جنس تقابل الارض دلاليًا^(٣).

وفي ضوء ما تقدّم، يتبيّن ان استعمال لفظة (سما) في القرآن الكريم لا تخرج عن معنيين، اشار اليهما الدكتور فاضل السامرائي قائلاً: (إما ان تكون واحدة السماوات، واما ان تكون لكلّ ما علاك، فتشمل السماوات وغيرها)^(٤). والاستعمال الثاني هو المعنى المجازي الذي قد تخرج اليه.

وعوداً على ذي بدأ يوضح لنا القرآن الكريم انّ الله هو الممسك لهذه السماوات والحافظ لها من الزوال من عظمتها وعظم ما فيها بغير عمد تعتمد عليها، بل بقدرته تعالى العظيمة التي يفعل بها ما يشاء لطفاً بعباده ورحمة بهم وليس لغيره من الكائنات قدرة على ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٥). يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ

(١) ظ: يحيى ابن سلام، التصاريف، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٩، ص ٣١٣.

(٢) ظ: الرازي، مختار الصحاح، ص ٣١٥.

(٣) ظ: الراغب، المفردات، ص ٣٥٥.

(٤) التعبير القرآني، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٧، ص ٤٢.

(٥) سورة فاطر: الآية ٤١.

السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴿١﴾.

(فالاستدلال على وجود الله تعالى باحوال السماوات هو رفعها بغير عمد نراها، بل بإذنه وامره وتسخيره رفعها على الارض بعد لا تتال ولا يدرك مداها)^(٢). ونظرة ثاقبة يتأمل الى السماء الهائلة العظيمة وهي هكذا لا تُسند الى شيء مرفوعاً (بغير عمد) مكشوفة (ترونها)، ثم انّ هذه الاجرام الفلكية العظيمة من شمس وقمر ونجوم وكواكب وهي تسير تعمل بدقة عجيبة، وتناسق باهر، وهي في افلاكها العالية فهذا برهان على وجود الله القاهر القادر)^(٣).

ويقول الرازي: (ان العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على هذه الاجسام انما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى، فننتج ان يقال رفع السماء بغير عمد ترونها اي لها عمد في الحقيقة الا انّ تلك العمدة هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وابقائه اياها في الجو العالي وانهم لا يعرفون ذلك التدبير ولا يعرفون ذلك الامساك)^(٤). وعندما تقف امام هذا المشهد الهائل - مشهد السماء - ندرك لا محالة انه ما من احد يقدر على رفع السماء بلا عمد - او حتى بعمد الا الله - وقصارى ما يرفعه الانسان بعمد او بغير عمد ما بنيه من ابنية صغيرة هزيلة في ركن ضيق من الارض لا يتعداه، ثم يذهب ذلك الانسان يتحدث عن نفسه بغرور عما في ذلك البناء من عظمتة ومهارة وقدرة واتقان، غافلاً عن عظمة ما يعلوه من سماوات مرفوعة بغير عمد، وعما وراءها من قدرة الله العظيمة، ومن اتقان لا يصل

١) سورة الرعد: الآية ٢، سورة لقمان: الآية ١٠.

٢) مفاتيح الغيب: ١٧٥ / ٥.

٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٨، ط ٧، ٥ / ٦٩.

٤) ظ: مفاتيح الغيب، ١٩٥ / ٥. القرطبي: جامع الاحكام، ٢٧٩ / ٩. الألويسي، روح المعاني، ٤ /

اليه خيال الانسان)^(١).

ونلاحظ في جملة (بغير عمد ترونها) ان لها تفسيران :

١ (فكما ترون ان السماء مرفوعة بدون عمد (اي انها في الاصل بلا عمد كما ترونها فعلاً).

٢ (والثانية ان (ترونها) صفة للعمد فيكون المعنى: ان السماء مرفوعة بعمد ولكن لا ترونها لانها غير مرئية.

وهذا هو الذي يراه الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ففي حديث رواه الحسين بن خالد قال: سألت الامام ابا الحسن الرضا عليه السلام: ما المقصود في قوله تعالى: (والسماء ذات الحكب) قال: هذه السماء لها طرق الى الارض، فقلت له: كيف تكون لها طرق الى الارض في الوقت الذي يقول صلى الله عليه وآله: (رفع السماء بغير عمد) فاجابه الامام عليه السلام: (سبحان الله، أليس الله يقول بغير عمد ترونها ؟ قلت بلى، فقال: ثمَّ عمد ولكن لا ترونها)^(٢).

ان هذه الآية بالرغم من وجود هذا الحديث الذي يفسرها، فانها تكشف عن حقيقة علمية لم تكن معروفة عند نزول الآيات الكريمة، لانه في ذلك الوقت كانت نظرية (بطليموس)^(٣) في الهيئة تتحكم بكل قواها في المحافل العلمية في العالم وفي افكار الناس، وطبقاً لهذه النظرية فان السماوات عبارة عن اجرام متداخلة تشبه قشور

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٥ / ٦٩.

(٢) علي بن ابراهيم القمي، تفسير القمي (البرهان)، منشورات مكتبة الهدى، ١٣٨٧ هـ، ٢ / ٣٢٨.

(٣) كلاوديوس بتوليمايوس - بطليموس - (٨٣ - ١٦١ م) عالم رياضيات اغريقية وجغرافية وعالم فلك ومنجم، للتوسعة ظ: آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)، الذريعة، دار الاضواء، بيروت، ٥ / ١١٢. ابن النديم، الفهرست، ص ٣٧٠.

البصل، وانها لم تكن معلقة وبدون عمد، بل كل واحد منها تستند الى الاخرى. ولكن بعد نزول هذه الآيات بالف سنة تقريباً توصل علم الانسان الى ان هذه الفكرة غير صحيحة، فالحقيقة ان الاجرام السماوية لها مقر ومدار ثابت، ولا تستند الى شيء، فالشيء الوحيد الذي يجعلها مستقرة وثابتة في مكانها هو تبادل قوة التجاذب والتنافر، فالاولى ترتبط الاجرام فيما بينها، والاخرى لها علاقة بحركتها. وهذا التعادل للقوتين الذي يشكل اعمدة غير مرئية يحفظ الاجرام السماوية ويجعلها مستقرة في مكانها، وبهذا يمكن ان يكون ثمّ عمد ولكن لا تُرى^(١).

وفي الحديث عن الامام امير المؤمنين عليه السلام بخصوص هذا الموضوع قال: (هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الارض مربوطة كل مدينة الى عمود من النور...)^(٢).

وهل نجد اوضح من هذا الوصف (عمود غير مرئي) او (عمود من النور) في ادب ذلك العصر لبيان امواج الجاذبية وتعادل قوتي الجذب والدفء، (ان الله تعالى كوّن الاجرام من اجزائها - والسماء من الاجرام - بقوى رابطة وهذه القوى الرابطة هي قوى جذب كما يقول العلم الحديث من شأنها ان تشدّ بعضها الى بعض، وان تجمع بينها وهذه النتيجة هي منطوق ما يسمى بقانون الجذب العام^(٣). والذي اكتشفه العلامة (نيوتن) في اواخر القرن السابع عشر وقامت عل اساسه جميع

^(١) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ١٤ / ٥٨.

^(٢) ظ: المجلسي، بحار الانوار، ٥٥ / ٩١، الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: السيد احمد الحسيني، ١٤٠٨هـ، ٤ / ٥٩.

^(٣) ينص على ان اي كتلتين في الكون تجذب احدهما الاخرى بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين وعكسياً مع مربع البعد بين مركزيهما.

البحوث الفلكية فيما بعد (١).

وإذا كان العلم الحديث يقرر وجود تجاذب عام بين جميع الاجسام ويعدّ قانون الجاذبية حقيقة لا يمكن الشكّ او الجدل حوله، فالقرآن الكريم قد سبق العلم بقرون متعددة في تقرير خاصية الجاذبية العامة بين الاجسام صغيرها وكبيرها، انها هي القوة التي كوّنّت بها الارض وكلّ جرمٍ من السماء، وكون بها بناء السماء من اجرامها المختلفة، وإذا كان مفسرنا كالرازي والقرطبي والأوسى والطباطبائي والشيرازي وغيرهم رأوا ان احسن وجه في تفسير هذه الآية هو ان الله رفع السماء بعمد لكن لا نراها ويقولون ان لها عمد في الحقيقة الا ان تلك العمد هي قدرة الله تعالى وانهم لا يرون هذه القدرة وذلك التدبير ولا يعرفون ذلك الامسك.

ونلاحظ ان علماء الفلك الحديث عرفوا كيفية ذلك عن طريق السنة الكونية العجيبة والمذهلة، سنة الجاذبية العامة التي قامت وتقوم بها السماوات والارض... وحتى الناحية الكمية لقانون الجاذبية العامة قد اشار اليها القرآن الكريم بين اجزاء السماء ويتضح لنا من هذا القانون: (ان الجاذبية العامة لها من الناحية الكمية ركنان: حاصل ضرب كتلتي الجسمين المتجاذبين اذ تتناسب معه طردياً، والمسافة بينهما اذ تتناسب مع مربعيهما عكساً).

فالركن الاول يزيد في قوة التجاذب بين الجسمين، والثاني ينقص ويضعف منها، وواضح ان اثر المسافة في الابعاد الفلكية ابعد من اثر الكتلتين وان ضربت احدهما في الاخرى، نعرف ذلك معرفة اولية من صغر النجم في رأي العين وان كان اكبر من الشمس كالشعري مثلاً، وقد دلّ القرآن الكريم على الركنين جميعاً وعلى هذا الفرق بينهما في قوله تعالى: (فلا اقسام بمواقع النجوم) ودلّ على عظم السرّ المودع في المقسم به في الآية بعدها اذ يقول سبحانه: (وانه لقسمٌ لو تعلمون عظيم)، (ومواقع

(١) حنفي احمد: التفسير العلمي للآيات الكونية، دار المعارف بمصر، ص ٢٤٣ - ٢٤٦.

النجوم في معناها الاول المتبادر هو موقعها في الفضاء، اي مواضع بعضها بالنسبة لبعض، واذا تحددت المواضع تحددت المسافات، فهذا قسم بالمسافات بين بعضها وبعض في توزيع الله اياها في الفضاء الكوني، اما كتلتها فقد دلّ عليها ذكر النجوم وكفى، فإنّ من اهم خواص النجم كتلته وضوئيته.

وللفلكين المحدثين طرقهم في تحديد كتلة النجم وموقعه، وهم يقدرّون الكتل النجمية عن طريق قانون الجاذبية ايضاً، وسواء عرفوا ام لم يعرفوا فالآية الكونية الاولى تدلّ على الكتل بذكر النجوم وعلى المسافات بذكر المواقع^(١).

وللتوفيق بين اقوال المفسرين من ان لها عمداً في الحقيقة^(٢) الا ان تلك العمد هي قدرة الله وانهم لا يرون تلك القدرة، وبين ما يقرره العلم الحديث من ان العمد هي قوة الجاذبية، انه لا مانع من اعتبار ان هذه القدرة هي القوة التي اودعها الله تعالى تعمل في الكون متمثلة في القانون لان الله سيّر الكون على قوانين ونواميس وثوابت لا يحد منها، اي ان هذه القدرة تتمثل في قوى الجاذبية التي خلقها الله تعمل وفق القانون الذي اكتشفه العلماء.

وعلى هذا الاساس من اعتبار قانون الجاذبية حقيقة ثبتت بالتجربة العلمية ذهب قسم من علماء المسلمين المعاصرين في تفسير بناء السماء برياط الجاذبية ومنهم الشيخ محمّد عبده و محمّد رشيد ففي قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا}^(٣)، فقد ذهب محمّد عبده في تفسيرها بأنّ الله سبحانه (جعل كل كوكب من الكواكب منه - اي من الكون - منزلة لبنة من بناء سقف او قبة او جدران تحيط بك وشدّ هذه الكواكب

^(١) محمّد احمد الغمراوي، الاسلام في عصر العلم، ص ٣١٨.

^(٢) وتجدر الاشارة الى ان الشيخ الطبرسي رحمته الله ذهب بالقول: (ان المراد رفع السماوات بغير عمد وانتم ترونها)، مجمع البيان ٢٧٤/٣.

^(٣) سورة الشمس: الآية ٥.

بعضها الى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط اجزاء البناء الواحد بما يوضع بينهما مما تتماسك به^(١).

(ان تماسك اجزاء على البعد بالجاذبية العامة من غير تماسك لهو امر عجيب يدركه الفلكيون المحدثون ولا يدركون سرّه، اذ ليس هو التجاذب الكهريائي ولا المغناطيسي ولهذا نبه الله تعالى في كتابه ما يميّز بناء السماء من البناء للارض بالاسلوب الذي يعقله الناس في كلّ عصرٍ، حتى اذا جاء عصر الفلك الحديث واثبت هذه الفكرة العجيبة انطبق الكلم القرآني عليها كأنه ما نزل الا فيها)^(٢).

وكذلك اشار من المفسرين المعاصرين الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الى الجاذبية في معرض تفسيره لقوله تعالى: (**خلق السماوات بغير عمد ترونها**) بقوله: (انّ هذا التعبير اشارة لطيفة الى قانون الجاذبية الذي يبدو كالعمود القوي جداً)^(٣).

وحقاً ان قانون الجاذبية ميزان الهي محسوب، فكلّ كوكب مثلاً، يجذب نحو الشمس بقوة الجاذبية، ويتأثر في نفس الوقت بقوة مضادة اخرى (القوة المركزية الطاردة) ننتجه دورانه في فلكه وتتساوى القوتان (العمد الغير مرئية) وكأنها كفتان ميزان.

فسبحان من خلق هذه القوانين التي تتحكم في المادة من الذرة الى المجرة وذلك في عملية توحيد رائعة تبين الكون بمظهر مجال واحد ينطبق على كلّ الكترون سائر وكلّ كوكب دائر وكلّ اشعاع ضوئي صادر كأسرة واحدة ونموذج واحد تحت تأثير قوة واحدة تعمل منذ نشأة الكون حتى تقوم الساعة.

وكذلك الارض لو ان قوة الجاذبية بينها وبين الشمس انقطعت، اذاً لمشت

(١) محمد احمد الغمراوي، الاسلام في عصر العلم، ص ٣١٦.

(٢) م ن، ص ٣١٧.

(٣) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣ / ٢١.

لسبيلها، تجري في خطٍ مستقيم وفقاً للسرعة الواحدة التي كانت لها منذ ان كانت هي، وبقيت لها وتبقى ما بقيت بعيدة عما يؤثر فيها من قوى جديدة غريبة طارئة، فقرة الجاذبية هي التي تجعل الشمس تمسك بالارض فتدور حولها، وهي التي جعلت الشمس تمسك بعطارد والزهرة وجعلتهما يدوران حولها، كلاً في مداره، وهي التي امسكت بالمريخ والمشتري وزحل وسائر الكواكب السماوية وجعلتها جميعاً حول الشمس تدور، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(١).

(وسرّ هذا القانون عجيب ومحير وغير مفهوم ولا يعلم سرّه الا الله يقول نيوتن لنفسه: انه لامر غير مفهوم ان نجد مادة لا حياة فيها ولا احساس وهي تشدّ اي تجذب مادة اخرى دون اي رباط بينها)^(٢).

فماذا نفسّر قول هذا العالم ؟ انه صنع الله وتدبيره في كونه الذي جعل تلك القوة لا تُرى ولا يستطيع العلم ان يعرف عنه كنهها شيئاً وهي قوة مخلوقة مطيعة ذليلة لخالقها، وقوة الجاذبية هذه هي على ضعفها، واثرها القليل في حركة الناس على الارض (هي جبارة عارمة في السماء، لان الكتل عظيمة هائلة، وهي هناك نافعة، لان بها تمسك اجرام السماء بعضها بعضاً، والا انفرط نظامها ومدبّر الكون لم يقدر لها انفرطاً، ولهذا سنّ قانوناً هو غير قانون سنة الانسان، قانون المدبّر الاعظم والواحد، لا يحتاج الى نشر فهو طبيعة الاشياء، وهو في طبيعة كلّ الاشياء، وتطعيه كل الاشياء، واذا انت طلبت برهاناً على وحدة هذا كلّ وانتظامه في سلك واحد، لكان من اول البراهين التي يلقي بها على مائدة البحث قانون هذا التجاذب الذي يعمل في صمت في ارض وسماء وماء وهواء وهو يعمل في كلّ ذي حياة وكلّ جماد هذه

(١) سورة فاطر: الآية ٤١.

(٢) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار السعودية للنشر، ١٩٨٦، ص ٢٨٨.

الاحياء لا تكاد تخرق حرمة هذا القانون حتى يتخذ جزء ذلك تواءً، فلا تحقيق ولا تدقيق ولا نيابة ولا شرطة ولا قضاء بل هو القضاء يصدر حكمه على التو، في صرامة لا تعرف من الصمت شيئاً، ان الذي يتحدى قانون الجاذبية فيمشي من فوق سطح بيت الى الفضاء يهويه هذا القانون الارض بعنقه، فلا يكاد يمهله ليدرك من عاقبة تحديه لسنة الله شيئاً^(١).

(وزيادة على ذلك كله فانّ الجاذبية تلعب دوراً هاماً في الكون كله، وعلى سبيل المثال فانّ النجوم تولد وتموت بسبب الجاذبية، فعندما يتولد النجم تستجمع مادته بفعل الجاذبية من الغاز والتراب الكوني)^(٢).

ومن المعلوم ان الاجرام السماوية لا يحصيها العدّ والحساب، وهناك ملايين السدم وملايين المجرات، في كلّ مجرة ملايين النجوم، وكلّ مجرة وكلّ نجم في مجرة له حالته في الحركة في فلك، او من السكون^(٣) نتيجة لقوى الجاذبية الواقعة عليها طبقاً لقانون الجاذبية العامة اي طبقاً لتقدير الكتل والمسافات، بحيث يأخذ الجرم حالته من الحركة، او من السكون على اختلاف تلك الحالات التي لا يحصيها عدّ فهل في مقدور العقل البشري مهما بلغ من القوة ومن العلم ان يدرك عظمة ذلك التقدير، وعظمة ذلك التقدير هي بعض عظمة ذلك السرّ، لا كله وهما معاً يبينان بوضوح لماذا كان خلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس كما أكد الحق ﷻ بقوله: {خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ^(٤)، فنلاحظ انّ الله ﷻ (اورد في القليل من آيات الكتاب العزيز ما يدلّ عباده على جليل آياته في خلق السماء بحيث لا ينكرها اهل عصرٍ وتقوم الحجة بها الله على اهل كل

(١) م ن، ص ٢٣٥.

(٢) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ٢٣٥.

(٣) لا نلاحظ وجود جرم ساكن سكوناً مطلقاً في الكون المنظور - المؤلف -.

(٤) سورة غافر - المؤمن - ٥٧.

عصر^(١)، فمن الذي عادل بين تأثير قوى التجاذب الرابطة للاجرام السماوية وتأثير حركتها المكتسبة بعد رفعها؟ من الذي جعل الاجرام تتحرك بسرعة في افلاكها لا تخرج عليها ابدأ؟ ذلكم الله رب العالمين، فهذا خلق الله فاروني اذاً خلق الذين من دونه.

وهكذا نستنتج بعد هذا العرض عن دور قانون الجاذبية انّ تسيير الكون انّما يتم وفق قوانين غاية في الدقة والنظام والتوازن. واطنك بعد هذا انك معي في (تلك الاجرام وكيف تسيير وفق ذلك القانون الالهي المحسوب، وهي تُساق كأنها مناورة عسكرية منسّقة، تعرض امام المخلوقات المشاهدين كأنها مشاهد فلم سينمائي، بتقليبها الارض بالليل والنهار، وتجديدها انماط المناظر الحقيقية الخلابة المثيرة للخيال لتك المناورة الرائعة وابرازها في كلّ ليلة، وفي كلّ سنة فهذه الربوبية الجليلة الظاهرة، وما تظهر ضمن فعاليتها من حقيقة جليّة مركبة من التسخير، والتدبير، والارادة، والتنظيم، والتنظيف، تشهد بعظمتها المهيبة هذه وبإحاطتها الكلية هذه، على وجوب وجود خالق تلك السماوات وعلى وحدانيته، تشهد - كما هو مشاهد بانّ وجوده جلّ وعلا اجلّ من وجودها بتلك السماوات^(٢)، وقد ذمّ القرآن الكريم المعرضين عن آيات السماء، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٣)، فهذه آية اخرى فيها الدليل العلمي الذي يثبت وجود الله تعالى وكمال قدرته.

(فالله تعالى جعل هذه السماء سقفاً محفوظاً من ان تقع وتسقط على الارض)^(٤)،

١) محمد احمد الغمراوي، الاسلام في عصر العلم، ص ٣١٩.

٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الآية الكبرى، ص ٣٦.

٣) سورة الانبياء: الآية ٣٢. سورة يوسف: الآية ١٦.

٤) الزمخشري: الكشاف، ٣ / ١١١. ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ٦ / ١٤٧. الطبرسي: مجمع البيان، ٤

دليله قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١).

(والسمااء كل ما علا، ونحن نرى فوقنا ما يشبه السقف، والقرآن الكريم يقرر ان السمااء سقفاً محفوظاً، محفوظ من الخلل الكوني الدقيق، ومحفوظ من الدنس باعتباره رمز العلو الذي تنتزل منه آياته)^(٢)، وهذا السقف المحفوظ هو كالقبة على الارض كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَبَّيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾^(٣)، اي (الايرون هذا الكون وصنعه العجيب، ويدركون ان وراءه الصانع الاعظم؟)^(٤).

ونلاحظ انّ (البناء: هو نصب القبة، وهذا لا يكون الا في الخيام كما تعهده العرب)^(٥)، لقد تبين لنا انّ المفسرين عدّوا السقف المحفوظ هي هذه السمااء التي فوقنا، كالقبة على الارض، والمحفوظة من السقوط والوقوع على الارض، اما العلم الحديث يقرر انّ السقف المحفوظ الذي اشارت اليه الآية هو غلاف الارض الجوي^(٦).

وللوصول الى الايمان الحق الذي ليس فيه شك ولا ارتياب، لا بدّ من معرفة بعض اسرار هذا الخلق العجيب، لانك كلما كنت اكثر علماً في اسرار هذا الكون

^(١) سورة فاطر: الآية ٤١.

^(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٥ / ٥٣٢.

^(٣) سورة ق، الآية ٦.

^(٤) محمد جواد مغنية، التفسير المبين، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ط ٢، ٢٠٠٤، ص ٦٨٨.

^(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الاندلس للنشر، بيروت، ١٩٦٦، ٤ / ٥٦١.

^(٦) الغلاف الجوي: عبارة عن خليط غازي عديم الطعم واللون والرائحة بالاضافة الى بخار الماء الذي يحمله الهواء لان بخار الماء اخف واقل كثافة من الهواء الجوي، وهذه وحدها آية من آيات الله الخالق، لانها مكنت الهواء من حمل بخار الماء الى اعالي الجو حيث يبرد ويتكاثف الى سحب ومطر، وهو مصدر الحياة العذبة على الارض... (د. محمد جمال الدين الفندي، الله والكون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٢٦.

كنت من اكثر الناس خشية لله تعالى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، اذ ان كلمة (يخشى) توحى بان العلم الخالص من كل شائبة يؤدي حتماً الى معرفة الله وخشيته^(٢).

ويرى المؤلف لو ان مهندساً من عباقرة البشر صمم لهم سقفاً من مادة صلبة او سائلة او غازية وشارك في بنائه جميع اهل الارض ان يسبغوا عليه من الآيات والفوائد التي ينعم بها سكان هذا الكوكب شيئاً مذكوراً يساوي تلك الآيات التي اودعها الله غلاف الارض الجوي لسكان هذه الارض.

ونلاحظ ان هذا المعنى بالذات من اهم ما تشير اليه الآية الكريمة عندما تقول (وهم عن آياتها معرضون) اي عن آيات تلك السماء التي جعلنا الله سبحانه سقفاً محفوظاً^(٣)، فهم (عن التفكير فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها)^(٤).

ويمكن ان ترى عزيزي القارئ بعض اسرار هذا السقف بالاستعانة بما وصل اليه العلم، ومنها هذه الفوائد:

اولاً: يقرّ العلم الحديث ان هذا السقف يحتوي على الاوكسجين الذي تستنشقه الكائنات الحية فيدخل مع هواء الشهيق ليجدد نقاء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل وهذه الكائنات تطرد ثاني اوكسيد الكربون للنبات ليعيده اوكسجيناً من جديد، وحتى الحيوانات المائية تستنشق الاوكسجين المذاب في الماء بواسطة الخياشيم وتقوم مملكة النبات باستقبال مخلفات الانسان والحيوان فتستخلص منه الكربون (الفحم) في ضوء الشمس، وترسل الى الجو من جديد مزيداً من الاوكسجين النقي.. اما

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٢) محمد جواد مغنية، التفسير المبين، ص ٥٧٥.

(٣) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ١٨٣.

(٤) الطبرسي، مجمع البيان، ٣ / ٢٦٧.

الكاربون الذي تستخلصه هذه النباتات فانه هو اساس بناء اجسامها وخشبها وما فيها من السكر والنشا، وتلك ولا شك آية من آيات الخلق ! فلماذا يعرض الانسان عن التفكير في هذه الحقائق ويعدها مجرد صدفة! انّ اغفال الحواس هنا والاعراض عن تمجيد الخالق معناه قتلٌ للفكر الحر وللقيم وهو امرٌ يستحق عليه الانسان العقاب^(١).

ثانياً: في داخل هذا السقف المحفوظ تثار السُحب، ومنه ينزل المطر الذي هو مصدر المياه العذبة على الارض كلها، وذلك ان الهواء يحمل بخار الماء، وهو عندما يصعد يبرد وبالتالي لا يقوى على حمل هذا البخار فتتكاثف الابخرة الى قطرات صغيرة من الماء الى بلورات الثلج تبعاً لدرجة الحرارة السائدة... وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾^(٢).

ولكن لا بدّ ان نفرّق بين السحابة التي تمطر والتي لا تمطر، انّ السحابة التي تمطر يلزمها مددٌ مستمر من ابخرة المياه لكي تتكثف تلك الابخرة وتهطل على هيئة مطر او برد او ثلج، وهذا المدد يتمّ بواسطة الرياح الصاعدة كذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾^(٣)، (اي ان الرياح تلقح السحب وغيرها ببخار الماء لتجود بالماء العذب وان هذا الماء ليس مخزوناً في مكان معيّن ولكنه دورة مائية بين السماء والارض)^(٤).

وبهذا يمكن ان يكون اي دور للصدفة العمياء، في ذلك كله !!؟ ومن اين لرجل

(١) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص١٨٤، د.

محمد جمال الفندي، الله والكون، ص٢٢٧.

(٢) سورة الروم: الآية ٤٨.

(٣) سورة الحجر: الآية ٢٢.

(٤) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآن، ص١٨٤، د. محمد

جمال الدين الفندي، الله والكون، ص٢٢٨.

امي في تلك الصحراء القاحلة البعيدة عن كل مصادر العلم والمعرفة ان يأتي بمثل هذه الحقائق القاطعة ؟ ليس من جواب ان نقول ان ذلك كله من تدبير الخالق العليم الحكيم الواحد الفاعل المختار الله ﷻ.

ثالثاً: ومن فوائد هذا السقف المحفوظ تسري الاصوات فيه ،ولولاه ماسمع احدنا الآخر عندما يتكلم او يصيح ولما كان لحاسة السمع أية ضروره، ومن فوائد تسخير الله تعالى الغلاف الهوائي ان ينقل الينا الضوء لاننا لو ارتفعنا في الفضاء الخارجي بعيداً عن الغلاف الهوائي للارض فحينئذ لاتدرك حواسنا ضوءاً او صوتاً الاعن طريق الموجات (الكهرومغناطيسية) كما يحدث عن طريق مركبات الفضاء^(١).

رابعاً: ونلاحظ ايضاً ان اهم آيات هذا السقف المحفوظ انه الوسط الذي يتكون فيه ضوء النهار بسبب تناثر او تشتت اشعة الشمس خلال الطبقة الممتدة من سطح الارض حتى ارتفاع ٢٠٠كم فقط، وتواجه المنطقة وجه الشمس دائماً وهي تتسلخ من باقي جسم الغلاف للجو كما ينسلخ جلد الشاة من الشاة فعلاً...وهذا المعنى الرائع نجده في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾^(٢).

(اما القبة الزرقاء فقد رأينا انها ظاهرة ضوئية تحدث في غلاف الارض الجوي القريب من السطح بسبب وفرة تناثر وتشتت اللون الازرق الذي ترسله الشمس ضمن حزمة الضوء الشمسية التي تحمل اللون الازرق والاحمر والاصفر والاخضر والبنفسجي والبرتقالي والبنبي...وهي الوان الطيف التي نشاهدها في (قوس الله)...ولكن اغزرها على الاطلاق هو اللون الازرق... ومعروف علمياً ان اغزر طاقة يشعها اي جسم مادي درجة حرارته المطلقة (ر) ويكون طول موجتها (ل) خاضعه للقانون^(٣):

^(١) ظ: د. عبدالعليم عبد الرحمان خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآنالكريم، ص١٨٤.

^(٢) سورة يس، ٣٧.

^(٣) وهو المعروف بقانون (فين).

ل=٢٩٤٠/ر...درجة حرارة الشمس ٦٠٠٠٠ درجة مطلقة... نجد ان اغزر الطاقات لها طول موجه تساوي ٦٠٠٠٠/٢٩٤٠=٤٨'٠ ميكروف، وهذه موجة اللون الازرق^(١).

خامساً: (ومن اعظم فوائد الغلاف الجوي انه يحمينا من احوال الفضاء ممثلة في الاشعة الكونية الفتاكة المدمرة، ثم من الشهب والنيازك المدمرة تارة اخرى، كما يحمينا من درجات الحرارة المنخفضة التي يتميز بها الفضاء الكوني حيث تصل درجة حراره ٢٧٠ درجة تحت نقطة الجليد، ومن اخطر الاشعة التي يقينا شرها سقف الارض الاشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس، وهي اشعة محرقة لايسمح غلاف الارض الجوي بان يصل منها الى سطح الارض جزء صغير جداً يفيد في حمامات الشمس ويعالج كثيراً من الامراض مثل البرد والكساح ونحوها)^(٢).

ان الغلاف الجوي اضافة الى فوائد الاخرى،فانه يحفظ درجة الحرارة على سطح الارض في حدود مناسبة تساعد على الحياة،وهو ذخيرة مهمه جداً لنقل الماء والبخار من المحيطات الى اليابسة، ولو يكن كذلك لكانت كل القارات صحاري يابسة لايمكن الحياه فيها،وعلى هذا فيجب القول ان المحيطات والغلاف الجوي هي التي تحفظ للارض توازنها وثباتها في مدارها.

ان وزن بعض هذه الشهب التي تسقط على الارض يبلغ جزءاً من ألف من الغرام،الا ان قوته نتيجة تلك السرعة الخارقه يعادل قوة الاجزاء الذرية التي في القنبلة المخزبة ! وقد يكون حجم تلك الشهب بمقدار ذرة الرمل أحياناً!

في كل يوم تحترق ملايين من هذه الشهب قبل وصولها الى سطح الأرض، او تتحول الى بخار،الا ان حجم ووزن الشهب كبير الى حدّ تخترق معه الغلاف الجوي

(١) ظ: د.عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص١٨٥.

(٢) د. محمد جمال الدين الفندي، الله والكون، ص٢٣١.

وتصيب سطح الارض.

ومن جملة الشهب التي عبرت الغلاف الغازي ووصلت الى الأرض، هو الشهاب العظيم المعروف بـ(سيبري)، والذي أصاب الارض سنة (١٩٠٨ م) وكان قطره بشكل أنه شغل مكاناً من الارض بمقدار (٤٠) كم تقريباً وسبب خسائر كبيرة.

والشهاب الآخر الذي سقط في (أريزونا) في امريكا، والذي كان بقطر كيلو متر واحد وعمق (٢٠٠)م، أحدث عند سقوطه على الارض حفرة عميقة فيها، وتولدت منه شهب صغيرة كثيرة، نتيجة انفجاره شغلت مساحة كبيرة نسبياً من الارض.

ويكتب (كرسي موريسن): ان الهواء المحيط بالأرض لو كان اقل قليلاً مما عليه، فان الاجرام السماوية والشهب الثاقبة التي ترده بمقدار عدّة ملايين شهاب في اليوم، وتتلشى في الفضاء الخارجي، فانها كانت تصل الى الارض دائماً وتصيبها.

ان هذه الاجرام الفلكية تتحرك بسرعة ٤٠.٦ ميل في الثانية! وهي تنفجر وتحترق عند اصطدامها بأي شيء، ولو كانت سرعة هذه الأجرام أقل مما هي عليه . مثلاً بسرعة الطلقه . فإنها كانت تسقط على الارض جميعاً ،ويتضح مقدار تدميرها فيما لو ان انساناً، تعرض لسقوط اصغر جرم من هذه الاجرام السماوية عليه،فإنها كانت ستمزقه إرباً إرباً وتفنيه لشدة حرارتها، لأنها تتحرك بسرعة تعادل سرعة الطلقه (٩٠) مرة!

ان سمك الهواء المحيط بالارض يبلغ مقداراً يسمح أن يمر من خلاله الى الارض المقدار الازم من الاشعة الكونية لنمو النباتات، ويقتل كل الجراثيم المضرة في ذلك الفضاء، ويوجد الفيتامينات المفيدة^(١).

(١) ظ: سر خلق الانسان ، ص ٣٥.٣٤ ، نقلاً عن: ناصر مكارم الشيرازي ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٠ / ١١٣-١١٤.

يقول ﷻ: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾^(١)، (والذي يقع على الارض من السماوات وهي النيازك وقد رأينا انها نادرة جداً...وقد رأينا ماذا احدثه نيزك تالجوسكا من هول ودمار شديدين... كما حدث سنة ١٩٤٦م ان تفتت نيزك جبار في اعالي جو الارض بعد ان دخل في قبضة جاذبيتها وراح يهوي اليها الا ان السقف المحفوظ حطمه وحوله الى خيمة من التراب الهائله، اذ حجبت ضوء الشمس في وضح النهار... وشاهده الناس في كل مكان... وفي القاهرة كذلك...واظلمت الدنيا بعدها لفترة ظن الناس ان يوم القيامة قد اطبق على البشر ولولا ان سخر الله لنا هذا السقف المحفوظ لهلك سكان الأرض بمثل هذا النيزك الذي تفتت عند مقاومة غلافنا الجوي (السقف المحفوظ) له والحيلولة دون هبوطه إلى الأرض... والغلاف الجوي مسخر من الله تعالى للعمل بصفة مستمرة على تفتيت هذه النيازك في طبقاته العليا حتى لا يصيب اهل الأرض بالفناء، ولكن اذا حدث غضب الله بقوم... ابطل مفعول هذا الغلاف فتتزل النيازك الرهيبة الى الارض ومنها ما يكون في حجم الجبل.. فيصيب بها مايشاء، ويصرفها عن من يشاء وهو الغفور الرحيم...)^(٢).

والخالق ﷻ لم يجعل هذا السقف بناء صلباً لانه لو كان كذلك لتراكت عليه الشهب والنيازك وبمضي العصور لايقوى على حملها فينهار، ولكن شاء الله الرحيم العليم ان يفتت سقف الارض تلك الاجرام اولاً باول فرست على هيئه اتربه واكاسيد، وهي اي الاتربة من اهم مايمكن لعمليات الامطار، لانها تكون مايعرف باسم ندى التكاثف او المراكز التي يتم عليها تجمع بخار الماء العالق في الجو على هيئه نقط ماء وتلج داخل السحب.

سادساً: ولنسبة النيتروجين العالية في الجو اهمية كبيرة، فهي تساعد على اماكن

(١) سورة الحج: ٦٥.

(٢) د. عبد العليم عبدالرحمن خضر، الطبيعيات والاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ١٨٥-١٨٦.

اطفاء اي حريق يشب على الارض إذ ان الهواء الجوي (سقط الارض) عبارة عن خليط من غازين رئيسين احدهما لا يشتعل ولا يساعد على الاشتعال وهو النيتروجين ويشتل ٠،٨ الهواء من حيث الحجم، اما الخمس الباقي فقوامه غاز الاوكسجين الازم للحياة ولو كانت نسبة الاوكسجين عالية لما امكن اخماد الحرائق وهذا من لطف الله بنا ،وزياده على ما ذكرناه فإن الله ﷻ سخر قوة عارمه وهي مجال الجاذبية للارض لكي يحفظ السقف من التبدد في الفضاء الكوني بالانفلات وبذلك ظل يعمل عمل الخيمة التي تحمينا من الشهب والنيازك يومياً علاوة على انها شفافة تسمح بنفاذ أشعة الشمس والحرارة والضوء وكلها مفيدة للانسان والحيوان والنبات ،وتحجز ما يضر مثل الاشعاعات الكونية... وما تاتي منها من الشمس، يقول تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(١)، وفي ذلك آيات لقوم يعقلون تدل على قدرة الخالق ورحمته بعباده)^(٢).

وبعد هذا كله لا يصبح لمعان سبيل وان السقف المحفوظ لم يكن محظ صدفة! ومامن شك ان المكابرين معرضون عن خصائص وفوائد واسرار هذا السقف وليس من حجة لبني البشر بعد ان تبين الحق واضحا ناصعا في انهم يكابرون ويعرضون عن آيات الله الباهرة، وصدق الله العلي العظيم اذ يقول: ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٣).

وهكذا تتجلى لنا آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وحكمته، في خلقه السماوات وابداع صنعها ،وماهي عليه من سعة وعظم خلق وحسن بناء ،كما انها اجمع

(١) سورة الفرقان ،٢.

(٢) د.عبد العليم عبد الرحمان ، الطيبات والاعجاز العلمي في القران الكريم ،ص١٧٦، د.

محمد جمال الدين الفندي، الله الكون ،ص٢٣٦.

(٣) سورة فصلت ،٥٣.

للعجائب الداله على وجود خالقها من كل المخلوقات الاخرى بل انه لانسبة لجميع مافي الارض الى عجائب السماوات، يقول ابن القيم: (فالارض والبخار والبحار والهواء وكل ماتحت السماوات بالاضافة الى السماوات كقطرة في بحر ولهذا قل ان تجيء سورة في القرآن الا وفيها ذكرها. اما اخباراً عن عظمتها وسعتها^(١)، واما اقساماً بها، واما ارشاداً للعباد ان يستدلوا بها على عظمة بانيتها ورافعها، واما دعاء الى النظر فيها، واما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما اخبر به من المعاد والقيامة واما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته وانه الله الذي لاله الا هو، واما استدلالاً منه بحسنها واستوائها والتتام بنائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته، واما الاستدلال على وجود الله بالكواكب والشمس والقمر والعجائب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها فكثير في القرآن الكريم.

فالله ﷻ لم يقسم بشئ من مخلوقاته اكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الداله عليه، وكل ماكان اعظم آية وابلغ في الدلالة كان اقسامه به اكثر من غيره ولهذا يعظم هذا القسم^(٢) كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٣).

^(١) يقول تعالى: (والسمااء بنيناها بايد وانا لموسعون) الذاريات ،٤٧) فقد تحدثت هذه الآية الكريمه عن سعة السمااء ومااكتشفه العلم اليوم عن السمااء وابعادها لم يكن يخظر على قلب بشر، وقد اثبت العلم تلك السعة بما يعرف عند العلماء بالسنين الضوئية والتي اتفق العلماء فيها على ان الضوء يقطع في الثانية ١٨٦٠٠٠ ميل اي انه يقطع في الدقيقة ١١١٦٠٠٠٠ ميل ، وفي السنة الواحدة من سنيننا يقطع ستة ملايين مليون ميل اوستة آلاف مليار تقريباً وعلى التقدير نفهم معنى قولهم ان نجماً مايبعد عنا كذسنة ضوئية . نديم الجسر، قصة الايمان، ص٣٠.

^(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، صححه وعلق عليه: محمود حسن ربيع، مصر، ط ١٩٧٩، ١/ ١٩٦.

^(٣) سورة الواقعة: ٧٥-٧٦.

يقول سيد قطب: (ولم يكن المخاطبون يوم ذاك يعرفون عن مواقع النجوم الا القليل الذي يدركون بعيونهم المجردة ،ومن ثم قال لهم (وانه لقسم لو تعلمون عظيم)، اما نحن اليوم فنذكر من عظمه هذا القسم المتعلق بالمقسم به نصيباً اكبر بكثير مما كانوا يعلمون، وان كنا نحن ايضاً لانعلم الا القليل من عظمة مواقع النجوم وهذا القليل الذي وصلنا اليه بمرصدنا الصغيرة المحدودة المناظر، يقول لنا ان مجموعة واحدة من مجموعات النجوم التي لاتحصى... هي مجموعها المجرة التي تنتسب إليها اسرتنا الشمسية تبلغ الف مليون نجم)^(١).

ويذهب العلم الحديث: ان من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة بلايين نجم ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ،وما لايرى الا بالمجاهر والاجهزة، وما يمكن ان تحس به الاجهزة دون ان تراه، هذه كلها تسبح في الفلك الغامض، ولايوجد اي احتمال ان يقترب مجال مغناطيسي لنجم من مجال آخر او يصطدم بكوكب آخر، الاكما يحتمل تصادم مركب في البحر الابيض المتوسط بآخر في المحيط الهادي يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة، وهو احتمال بعيد وبعيد جداً، ان لم يكن مستحيلاً^(٢) وبعد فهل يمكن لعاقل ان يعزو هذا الاحكام والتقدير والتوازن الدقيق والنظام الرائع الى المصادفة العمياء او الطبيعه الصماء ؟ بل ان ذلك من لدن خالق حكيم قادر عليم خبير .

٢) الاستدلال العلمي بالآيات الكونية - آيات الارض -

لقد تبين لنا ان طريقه القرآن التي اعتمدها لبناء العقيدة ان يستدل بالكون المحسوس على وجود الخالق ووحدايته، ذلك بتصوير كامل الوجود كله، فالذالك نجده يلفت نظر الانسان الى آيات الله العظيمة في خلقه الارض وما اودع فيها من آيات

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٧ / ١٤٣ .

(٢) د. نوفل عبد الرزاق ، الله والعلم الحديث ، ص ٣٣ .

كثيرة مستدلاً بما في خلقها وتكوينها من نظام واحكام واتزان وحكمه على الخالق العظيم.

وقد تحدث القرآن الكريم في آيات كثيرة تخص الارض^(١) فيها الادلة العلمية الدالة على الخالق سبحانه كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢).

والحقيقة ان في كل زاوية او جانب من هذه الكرة الارضية اسرار مثيرة قل ان يلتفت اليها أحد، الا ان الباحثين والعلماء كشفوا النقاب عن جزء منها واطهروا عظمة الخالق وقدرته.

ولاباس ان ننقل هنا جانباً من كلمات بعض العلماء المعروفين في العالم الذين لهم دراسات كثيرة في هذا الصدد: إنه . كرسى موريسين - حيث يقول: (لقد روعي منتهى الدقه في تنظيم العوامل الطبيعية فلو تضخمت القشرة الخارجية للكرة الارضية اكثر مما كانت عليه عشر مرات لا نعدم الاوكسجين الذي هو المادة الاصلية للحياة ولو ان اعماق البحار اكثر عمقاً مما هي عليه قليلاً او كثيراً، لا نجذب جميع الاوكسجين والكربون من سطح الارض ولم يعد اي امكان لحياة النبات او الحيوان على سطح الارض)^(٣).

ويقول في مكان آخر في الغلاف الجوي الذي يحيط بالارض: لو ان هذا الغلاف الذي يحيط بالارض من الهواء كان رقيقاً لخرقته الشهب النواقب التي تأتي كل يوم بنحو عدة ملايين فتصيب الارض حيث ما وقعت، الا ان هذا الغلاف الجوي يمنعها

(١) ومن هذه الآيات: سورة البقرة، ٢٩، سورة الانعام، ١، سورة الاعراف ١٨٥، ١٠٠، سورة الرعد، ٤١، ٣ وغيرها.

(٢) كرسى موريسين ، اسرار خلق الانسان ، ص ٣٣-٣٦.

(٣) م ن ، ص ٣٣-٣٦.

لكثافته فتتلاشى وتحترق عنده فلاتصل الى الارض كما تقدم.

وقد استدل كثير من المفسرين بالآية المتقدمة على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته وذلك بما في الارض من آيات بينات تدل على الخالق لا ينتفع بها الا الموقنون.

قال البيضاوي: ((وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ)) اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجود دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء، واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع، تدل على وجود الصانع وعلمه وارادته ووحدانيته وفرط رحمته^(١)، وبين الرازي قسماً من تلك الآيات البينات التي سخرها الله للانسان، مبيناً عظمة الله في هذه الارض بما خلقه فيها وعليها من مخلوقات تدل على الصانع فيقول: (انظر إلى الأرض لتعرف انها مستقرة بلا علاقة فوقها ولادعامة تحتها، اما انها لا علاقة فوقها شاهد على انها لو كانت معلقة بعلاقه لأحتاجت الى علاقته الى لانهايه، وبهذا ثبت انه لادعامة تحتها فعلمنا انه لا بد من ممسك يمسكها بقدرته واختياره)^(٢).

وتلحظ عزيزي القارئ ان اعجاز الله تعالى في الارض غير متناهي وان مواطن الاستدلال العلمي على وحدانيته سبحانه لا يمكن ان تقف عند حد معين، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (والحق ان دلائل الله وقدرته غير متناهيه وعلمه وحكمته التي لاحد لها في هذه الارض كثيرة ووفيرة الى درجة ان عمر اي انسان مهما كان لا يكفي لمعرفة جميعاً).

... وفي كل زاويه او جانب من هذه الكرة الارضية اسرار مثيرة قل أن يلتفت اليها احد، الا ان الباحثين والعلماء كشفوا النقاب عن جزء منها واطهروا عظمتهم الخالق

(١) تفسير البيضاوي ، طبعة سنة ١٢٨٥ هـ ، ٢ / ٤٦٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ، ١ / ٣٢٢ .

وقدرته^(١).

والله سبحانه جعل هذه الارض فراشاً ومهاداً وذلها لعباده فيسر لهم ارزاقهم ومعاشهم، وجعل لهم فيها السبل ليتمكنوا من التنقل لقضاء حوائجهم وتصرفاتهم، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^(٢).

يقول الطبرسي: (معنى هذه الآية.. انه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد لهم صنوف نعمه يستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال سبحانه: (الذي جعل لكم الارض فراشاً) اي بساطاً يمكنكم ان تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لايمكن الا بان تكون مبسوطه ساكنة دائمة السكون)^(٣).

(فان الله تعالى جعل هذه الارض مهدياً كالفراش مقررة موطاة مثبتة بالرواسي الشامخات)^(٤)، وهو تعبير بشئ باليسر في حياة البشر على هذه الارض... والناس ينسون هذا الفراش الذي مهده الله لهم لطول ما الفوه ينسون هذا التوافق الذي جعل الله في الارض ليمهد لهم وسائل العيش وما سخره لهم فيها من وسائل الراحة والمتاع، ولولا هذا التوافق ما قامت حياتهم على هذا الكوكب في مثل هذا اليسر والطمأنينة ولو فقد عنصر واحد من عناصر الحياة في هذا الكوكب ما قام هؤلاء الاناس في غير البيئه التي تكفل لهم الحياة)^(٥).

ويؤيد الرازي كروية الارض، وكون الارض فراشاً لاينافي كرويتها، ذلك ان الكرة

^(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٧ / ٦٨ .

^(٢) سورة البقرة ، ٢٢ .

^(٣) مجمع البيان ، ١ / ٦١ .

^(٤) ظ: الطبري ، تفسير الطبري ، ١ / ١٦٢ ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٥٩ .

^(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١ / ٥١ .

إذا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه، ويزيد ذلك ان الجبال اوتاد الارض... ومن ثم يمكن الاستقرار عليها والانتفاع بمنافعها^(١)، وبذلك لا تضرب حياتهم، ودحاها فمهدها وبسطها، ووسع اكنافها فجعلها كفاتاً للعالم، احياء وامواتاً^(٢).

ومن الآيات البينات الداله على الخالق (ان الارض مسرح لمجموعة غفيرة من الدواب المختلفه الالوان والصور لقوله تعالى: (وبت فيها من كل دابة)، وهكذا الارض بما على ظهرها من حياة، تتجلى بمظاهر مختلفة وتتلبس بلباس آلاف الانواع من النبات والحيوان.

ومن المدهش ان عظمة هذا العالم وسعته وامتداده تظهر اكثر كلما تقدّم العلم، ولا ندري المدى الذي سيبلغه العلم في فهم سعه هذا الكون!^(٣).

كما ان الارض موضع طبيعي هائل لسلاسل متعددة من النباتات المختلفه الانواع والمنافع واليه الاشارة بقول تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٤).

وتلحظ عزيزي القارئ ان التعبير بـ(كُلُّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (اشارة الى مسألة الزوجية في عالم النباتات التي لم تكن معروفة كأصل كلي حين نزول الآيات محل البحث، وبعد قرون وسنين متطاولة استطاع العلم ان يميظ النقاب عنها، او أنه اشارة الى اختلاف النباتات وانواعها المتعددة، لان التنوع والاختلاف في عالم النبات عجيب ومذهل^(٥).
فاختلاف الوانها دلالة، واختلاف طعمها دلالة واختلاف روائحها دلالة.. فمنها

^(١) الرازي ، مفاتيح الغيب، ١ / ٣٢٣.

^(٢) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ١ / ١٩٩.

^(٣) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١ / ٣٣٠ - ٣٣١.

^(٤) سورة ق، ٧.

^(٥) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٧ / ١٣.

قوت البشر ومنها قوت البهائم^(١)، فهل بعد هذه اللطائف الالهية والعجائب في الارض الا انها من خالق عليم مقتدر هو الله جل في علاه.

(وبما ان الارض اقرب الى الانسان والصدق به، فقد اكثر الله تعالى من ذكرها في كتابه ودعا الناس الى النظر اليها والتفكر في خلقها وفيما اودعه فيها من آيات ومابث فيها من خيرات، وذكرهم بما في هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة، وبين انه الخالق لذلك كله، وليس لمن اتخذوهم الهة من دونه قدرة على ذلك)، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ {١٠} هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

(فقد بين سبحانه في هذه الآية قدرته العظيمة على خلق السماوات والارض وما فيهما، كما بين انه هو الرزاق لجميع مخلوقاته، واذا كان الخلق كله اليه، ولا رازق لاحد سواه، فعبادة المشركين لهذه الاصنام التي ليس لها من الامر شئ ظلم واعتداء على حق خالقهم، اذ يخلق ويعبد غيره، ويرزق ويشكر سواه، واي جهل وعمى اوضح من ذلك)^(٣).

وكذلك تلاحظ عزيز القارئ في هذه الآية التي لها نظائر كثيرة في القرآن، توضح ان الجبال وسيلة لتثبيت الارض، وقد تثبت هذه الحقيقة اليوم من الناحية العلمية من جهات عديدة^(٤):

فمن جهة ان اصولها مرتبطة مع بعضها، وهي كالدرع المحكم يحفظ الكرة

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب، ١ / ٣٢٤.

(٢) سورة لقمان، ١٠-١١.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٤٤٣.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣ / ٢٢.

الارضية امام الضغوط الناشئة من الحرارة الداخلية، ولولا هذه الجبال فانّ الزلازل المدمرة كانت ستبلغ حداً ربما لا تدع للانسان مجالاً للحياة.

ومن جهة ان هذه السلسلة المحكمة تقاوم جاذبية القمر والشمس الشديدة، والا فسيحدث جزر ومدٌ عظيمان في القشرة الارضية اقوى من جزر مدّ البحار، وتجعل الحياة بالنسبة للانسان مستحيلة.

ومن جهة انها تقف سداً امام العواصف والرياح العاتية، وتقلل من تماس الهواء المجاور للارض عند دوران الارض حول نفسها الى اقلّ حدّ، ولو لم تكن هذه الجبال لكان سطح الارض كالصحاري اليابسة، وعرضة للاعاصير والزوابع المهلكة، والعواصف الهوجاء المدمرة ليل نهار.

ان التعبير بـ (مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) اشارة الى تنوّع الحياة في صور مختلفة ابتداءً من الكائنات الحية المجهرية والتي ملأت جميع الارحاء الى الحيوانات العملاقة والمخوّفة.

ومن الآيات البيّنات ان جعل الله هذه الارض ذلولاً كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١)، (فالخالق الاعظم جعلها ذلولاً.. سهلة مذللة.. كما ينتفع الخلق بكل ما فيها، فانقياد الارض لبني آدم ظاهرة الوضوح، لا سيما هذه الايام حيث لم يدع الناس ضرباً من ضروب الانتفاع الا سلكوه، ولا عنصراً الا حللوه وركبوه.. صهروا المعادن.. وفتتوا الذرات.. واستتببتوا النبات.. واكتشفوا اسرار الكائنات.. وغاصوا في اعماق البحار.. وطاروا في اجواء الفضاء، والارض الذلول كانت تعني في اذهان المخاطبين القدامى، هذه الارض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، وبالفلك التي تمخر البحار... والمذللة للزرع والجني والحصاد.. المذللة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة

للزراع والانبيا... وهي مدلولات مجملة يفصلها العلم فيما اهتدى اليه حتى اليوم
تفصيلاً يوسع مساحة النص القرآني في الادراك^(١).

وبعد هذه الوقفة التي توصلنا من خلالها من حقائق ومفاهيم قرآنية المفسرة نلاحظ
ان العلم يقول: ان هذه الارض التي وصفها الله بالذلول الذي يطلق عادة على الدابة
مقصود في اطلاقه... فهذه الارض التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة.. هي دابة
متحركة، بل رامحة راکضة مهطعة !!! وهي في نفس الوقت لاتلقي براكبها عن
ظهرها، ولاتتعثر خطاها، ولاتخضعه ولاتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول، ثم انها دابة
حلوب مثلها هي ذلول، وهذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة الف
ميل/ساعة ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة ٦٥ الف ميل/ساعة ثم هي تركض
والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل ٢٠٠٠٠ ميل/ساعة، ومع هذا الركض كله
يبقى الانسان على ظهرها اماناً مستريحاً معافى ولا تنفرق اوصاله.. ولا تتناثر اشلاؤه،
بل لا يرتج مخه ولا يدوخ... ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول. ولكن لو فرضنا
ان سرعة دورانها قلت على ما هي واصبحت ١٠٠ ميل/ساعة لاصبح طول النهار
١٢٠ ساعة ولا حترقت الزروع والثمار في ذلك النهار الطويل، كما ان دوران الارض
حول الشمس يكون الفصول الاربعة، ودورانها يكون على مدار مائل بزاوية ٥، ٥٣،
لولا هذا الميلان في الدوران لما تكونت الفصول الاربعة، بل لصار وسط الارض
ملتهباً لكونه في فصل صيف ابداءً، ولتجمدت الجهات الجنوبية والشمالية منها من
زمهرير البرد الذي تعاني منه، وانظرمت تحت ركام هائل من الثلج يقضي على انفاس
الحياة فيها، كما ان جاذبية الارض مناسبة، ولولاها ما حظينا بالاستقرار والثبات على
سطحها، كما جعل الله لها ضغطاً جويّاً مع سهولة الحركة فوقها، فلو كان الضغط
الجوي اثقل من هذا لتعذر اوتعسر على الانسان ان يعيش وينتقل حسب ثقل الضغط،

(١) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، المنهج الإيماني للآيات الكونية، سلسلة العلم والقرآن ٢ دار
السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥ ص ٣٨٦-٣٨٧.

فأما ان يسحقه او يعوقه، ولو كان اخف لاضطربت خطى الانسان او لأنفجرت تجاويفه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء^(١)، وكل العناصر من اوكسجين ونتروجين وكربون وغيرها اللازمة لبقاء الانسان على الارض الذلول جاءت بمقادير موزونه، فما الذي يحفظ التوازن المدهش في نسب هذه العناصر، هل هذا التوازن العجيب الحكيم من عمل المصادفة التي لاتسمع ولاتبصر ولاتغني عن نفسها شيئاً؟ لاشك ان ذلك من لدن خالق حكيم عليم سميع مرید بصير، وكل ماذكرناه من دلائل بيينة في هذه الارض تدل على الخالق ما هو الاشيئ ليس كمثلته شيء.

يقول (فرانك الن) عالم الطبيعة البيولوجية: (اما الارض اليابسة فهي بيئة ثانية لحياة كثير من الكائنات الارضية، تربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات ويمثلها ويحولها الى انواع مختلفة من الطعام يفتقر اليها الحيوان.. ويوجد كثير من المعادن قريباً من سطح الارض مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهنة، ونشأت كثير من الصناعات والفنون... وعلى هذا فان الارض مهياً على احسن صورة للحياة، ولاشك ان كل هذا من تيسير حكيم خبير وليس من المعقول ان تكون مجرد مصادفة او خبط عشواء)^(٢).

(ومن المفاهيم القرآنية التي نخرج بها بعد تفسير قسم من الآيات السابقة ان قشرة الارض هي ذلك الجزء الرقيق الذي مهده وفرشه الخالق الاعظم ليكون صالحاً للحياة، وبشان هذه النقطة يأتي العلم مطابقاً للحقيقة القرآنية، فان العلم ينص في ان زمناً طويلاً مضى على الارض سوى الخالق الاعظم خلاله قشرة الأرض، وفي اثناء هذا

(١) ظ: م ن، ص ٣٨٧، محمد رشدي عبد العقراوي، رؤية علمية للايمان، النشورات مكتبة ٣٠ تموز، ط ٢، بغداد، ١٩٨٤، ص ٢٦.

(٢) فرانك الن، الله يتجلى في عصر العلم، ص ١٥.

الزمن قامت عوامل التعرية بتهديب قشرة الارض الوعرة وتمهيدها وتحويلها الى سهول وهضاب ووديان ومسالك وممرات وانواع متعددة من التربة (١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ (٢). معنى (بسطها بالشكل الذي تنهياً فيه لحياة الانسان ونمو النباتات والحيوانات، وملاً الاودية والمنحدرات الصعبة بالتراب من خلال تفتت الصخور الجبلية، وجعل الارض مسطحة وقابلة للسكن، بعد ان كانت التضاريس مانعة من سكن الانسان عليه) (٣).

ونلاحظ ايضاً (في تفسير هذه الجملة (مدّ الارض) الارشادة الى مايقول علماء الطبيعة من ان الارض كانت مغطاة بالماء، ثم استقرت المياه في الوديان ظهرت اليابسة، وبمرور الوقت اتسعت حتى أصبحت على ما نراه اليوم) (٤).

هذا ما يقوله العلم الحديث، وبذلك نلمس اتفاق العلم مع الآيات القرآنية السابقة، وبهذا الاتفاق الذي نلمسه.. بين حقائق القرآن ونتائج العلم الحديث تبين لنا ان القرآن الكريم لم يتعارض مع اليقين من العلم.. فسبحان الله اعظم القائلين الذي جعل هذا القرآن الكريم يشتمل على حقائق علمية ناصعة عن اصول قشرة الأرض، وكيف مهدت وسويت . وكيف صورت على شكل هضاب وسهول واودية. وهذه الحقائق العظيمة ما اوردها الخالق الاعظم في القرآن الا يدل الناس على وجوده ووحدانية، وان هذا القرآن من عند الله وليثبت للناس صدق نبوة محمد ﷺ، ولهذا ينبغي لكل من يدعو الى الله، ولكل من يريد ان يثبت الايمان القوي في قلوب الناس، ولكل من

(١) د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، ص ٤٢٤.

(٢) سورة الرعد: ٣.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٧ / ٢٣٩..

(٤) م ن.

يريد ان يغرس العقيدة الحقّة في نفوس الناس ان يجعل من خطوات دعوته اتباع هذا المنهج القرآني العلمي والافناع العلمي لان اكثر الناس في عصرنا هذا . لكي يؤمنوا بالله ايماناً راسخاً، وليتم اسلامهم هم بحاجة الى الافناع العلمي، فلدين اليوم لكالدين السابق، ذلك لان تدين اليوم لايقوم على مجرد التسليم او التخمين او التقليد وانما يقوم على البرهان العلمي^(١). وهذا مايدعو اليه الاسلام في قسم من آياته مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾^(٢).

لذلك نلحظ على الداعي الى سبيل الحق ان يكون على بصيرة من أمره إذ (ان هذا الايمان العميق بأحقية الاسلام قائم على علم قطعي وبينة راسخة لاشك فيها، وان كذب بها المبطلون الضالون الذين لايبصرون الحق المنزل من عند الله لالخفائه ولكن لعمى ابصارهم وموت قلوبهم)^(٣).

ثانياً: الاستدلال العلمي (العقلي):

ان من طبيعة هذا الدين ان جعله الله تعالى خاتم الاديان السماوية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).

وفي السنة المطهرة عنه ﷺ انه قال: (ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي، كمثل رجل بنا بيتاً فاحسنه واجمله، الا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به

(١) للتوسعة ظ: اسماعيل رديف يوسف العبيدي، العقيدة الاسلامية بين القرآن الكريم والمنهج العلمي المعاصر، ص ١٠٣.

(٢) سورة الانعام، ١٤٨.

(٣) د. عبد الكريم زيدان K اصول الدعوة K مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ٢٠٠٢م، ص ٣٣٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فانا اللبنة، وانا خاتم النبيين^(١).

لذلك فقد اقتضى الامر ان يكون هذا الدين كاملاً شاملاً وان يكون منهجه في الحياة هو الاصول والاعدل والاسدى، متضمناً النظام الكامل في معاملة الخلق و الخالق^(٢)، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٣)، اي (ان القرآن الكريم يمثل اقصر وافضل طرق الاستقامة والثبات والهداية وبهذا فإن الطريق القويم :

١) من وجهة نظر العقائد والافكار، يتمثل بالعقائد الواضحة القابلة للهضم والادراك والفهم، والتي تكون اساساً للعمل، وتعبئة الطاقات الانسانية باتجاه الاعداد والبناء، العقيدة الاقوم هي العقيدة الخالية من الخرافات والاوهام، وهي التي تؤائم بين الانسان وعالم الوجود والطبيعة من حوله.

العقيدة الاقوم من هذه الزاوية، هي التي توافق بين الاعتقاد والعمل، والظاهر والباطن، الفكر والمنهج، وتدفع الانسان والجميع نحو الله.

٢) اما الاقوم من وجهة نظر القوانين الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية و السياسية، التي تسود المجتمع، فهي تلك التي تربي في المجتمع الانساني الجوانب المادية والمعنوية وتدفع الجميع نحو التكامل والاتساق.

٣) والاقوم من وجهة النظر العبادية والاخلاقية هو كل ما يجعل الانسان في المركز الوسط بين الافراط والتفريط، ويجعله في موقع الاعتدال والاسراف والبخل، بين الاستضعاف و الاستكبار.

^(١) صحيح البخاري، ٤ / ٢٢٥، صحيح مسلم، ٢ / ٣١٥.

^(٢) ظ: الشاطبي، الموافقات، ٣ / ٣٦٩.

^(٣) سورة الاسراء: الاية ٩.

٤) واخيراً فإنّ المنهج الاقوّم بالنسبة للنظم والسلطات الحاكمة، هو كل ما يدفعها الى اقامة العدل، والدعوة الى اشاعة الانصاف ومواجهة الظلم والظالمين.

نعم انّ القرآن الكريم هو الطريق الاقوّم في كلّ تلك المستويات الآنفة الذكر، وهو الاسلوب الاقوّم في كلّ جوانب الحياة والوجود، وعلى كافة القضايا والصعد^(١).

وهو ما نجده في آيات اخرى صريحة الدلالة منها: قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

يقول ابن كثير: (فإنّ القرآن اشتمل على كلّ علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكلّ حلال وحرام، وما الناس اليه محتاجون في امر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم)^(٣).

كما يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٤).

فهيمنة هذا الكتاب وكونه آخرها نزولاً اقتضت ان يكون شاملاً كاملاً مستوعباً للحياة الانسانية كلها، فهو المرجع والموجه لتصرفات هذا الانسان ولكل ما عداه في الكون والحياة، ومن هنا فإنّ القرآن الكريم يعنى على الذين يحاولون اقامة الدين في جزء وطرف مع اهمال البقية، فيقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ

^(١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٨ / ٣٠٣.

^(٢) سورة النحل، الاية ٨٩.

^(٣) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٧٦٨.

^(٤) سورة المائدة: الاية ٤٨.

المُيِّنُ ﴿١﴾.

ويقول سبحانه: ﴿فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (٢)، ومما سبق يتبين ان المنهج الاسلامي ذات طبيعة تكاملية استمدها من شمولية وتكاملية الاسلام نفسه بمصدره القرآن والسنة، واستيعابها للحياة كلها، وما الناس اليه محتاجون في معاشهم ومعادهم، وهو ما تقرر من النصوص السابقة الذكر.

وعليه فإنّ منهج حماية العقيدة تتصف بهذه الخاصية، وما سنورده بهذا المبحث من اساليب علمية خاطبت عقل الانسان وروحه، واساليب عملية متنوعة، شملت الكلمة والموقف (اللسان والسنان) لبيّن لنا بجلاء طريق تعزيز الايمان في كل عصر ومصر بوضوح لا لبس فيه ولا غموض وليس لمؤمن الا الاتباع لما جاء به الحق وماذا بعد الحق الا الضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (٣).

ونلاحظ ان الله تعالى حين خاطب الانسان بتلقي الرسالة والعمل بمقتضاها، كان الخطاب موجهاً الى كيانه كله: عقله وروحه، فكره ووجدانه، وذلك متنسق مع خلق الانسان ذات التركيب الخاص والكينونة الخاصة، من لحم ودم واعصاب، وعقل ونفس وروح، الانسان ذو النوازع والاشواق والرغبات والضرورات، الانسان الذي يحب ويكره، ويرجو ويخاف، وبطمع وبيأس ويعلو وينحط، ويؤمن ويكفر، ويهتدي ويضل، ويؤثر ويتأثر، ويعمر الارض ويفسدها، لذلك كانت مبادئ الاسلام السامية تعرض على الانسان من خلال آثارها المحسوسة فوردت الكثير من الآيات القرآنية التي تدعو

(١) سورة الحج: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٥.

(٣) سورة الاحزاب: ٣٦.

الى النظر في الاشياء الموجودة، وتعامل الاسلام في خطابه مع الانسان كياناً، واحداً لا يتجزأ، ولكي يتضح عظم هذا المنهج ودوره في تعزيز الايمان وحماية العقيدة، فليتأمل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ - وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

ان هذه الكلمات تبني منهجاً يشمل القلب والعقل والروح والنفس وهو المنهج العلمي الذي يتغنى به في حياة البشر اليوم، يُزاد على استقامة القلب ومراقبة الله تعالى وهي ميزة المنهج الاسلامي على المناهج الارضية الجافة^(٢).

اما عن اثر هذا المنهج في حماية العقيدة فانه متى استقام العقل والقلب والروح والنفس على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولا للظن والشبهه في عالم الفضاء والحكم، ولا للاحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب^(٣).

وإذا كان هذا هو منهج القرآن الكريم فإن السنة لا تخالفه، فقد جاء عنه ﷺ قوله: (اياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث...)^(٤). وعن الامام علي عليه السلام قال: (الظن يخطئ واليقين يصيب ولا يخطئ)^(٥).

^(١) سورة الاسراء: الآية ٣٦.

^(٢) ظ: الشوكاني، محمد علي (ت ١٢٥٠ هـ)، فتح القدير، ٣ / ٢٢٧. سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤ / ٢٢٢٧.

^(٣) ظ: الشافعي، احكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠ هـ، ٢ / ١٣٥.

^(٤) صحيح البخاري، ٥ / ٢٤. صحيح مسلم: ٢ / ٤٢٣.

^(٥) الأمدي عبد الواحد بن محمد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مركز الابحاث والدراسات القرآنية، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ص ٧٢.

ومن ذلك يتضح ان الاسلام هو دين العلم والعقلانية، وان المنهج العلمي التجريبي الاستقرائي الذي تفخر به الحضارة الغربية، وقامت نهضتها وتقدمها على اساسه انما اقتبس من الحضارة الاسلامية كما شهد بذلك مؤرخو العالم^(١)، وهذا وقد تقدم ذكر مكانة العلم واهميته في القرآن الكريم والاستدلال العلمي على وجود الله ﷻ^(٢)، والدليل العلمي الحسي^(٣)، وسوف نوجز هنا الدليل العلمي (العقلي)، من آيات الكون في القرآن الكريم، اذ ان هذا الكون الفسيح وهذه العوالم الهائلة من سماء وما فيها من نجوم ومجرات هائلة، وارض وما فيها من جبال وبحار وانهار وانسان وحيوان ونبات كلها تشهد ان لهذا الكون خالقاً ابدعه ومدبراً سيره لحكمة ارادها وغاية قضاها، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٤).

وقد ضمن الله تعالى كتابه الكريم - القرآن - معجزة الاسلام الخالدة الى قيام الساعة آيات شاهدة على صدق عقيدة التوحيد وتقريرها تربو على الف آية^(٥)، في آفاق النفس والكون، أمر باعمال العقل فيها يقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقُ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦).

هكذا اراد الله تعالى ان تكون عقيدة المسلم، عقيدة مبرهنة، قائمة على الحجة

(١) ظ: الدين في عصر العلم، ص ٦.

(٢) الفصل الثالث، المبحث الثاني.

(٣) الفصل الثالث، المبحث الاول.

(٤) سورة ص: الآية ٢٧.

(٥) ظ: د. محسن عبد الحميد، العقائد الاسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٢٠، شاعر عبد الجبار، المنهج العلمي للاعتقاد، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٥، ص ٦١.

(٦) سورة العنكبوت: الآية ٢٠. وينظر الحوارات العقلية في سورة البقرة: ٢٥٨، سورة الشعراء: ٢٣، سورة الكهف: ٤٣، ٣٢.

الدافعة والبرهان الناصع^(١) لا يكتفي في تقرير قضاياها بالالزام المجرد، والتكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد الاخرى: (اعتقد وانت اعمى) كلاب ينص كتابها بقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

لذلك تضمن القرآن الكريم عدداً من الأدلة العلمية العقلية ومنها (العدم لا يخلق شيئاً)^(٣)، ونذكر بالفطرة ان لكل مسبب من سبب؟ لابد لكل مصنوع صانع..، وسماه علمائنا بقانون السببية او العلية^(٤)، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾^(٥).

وهو ما سماه ابن رشد بدليل العناية والاختراع^(٦)، ومن المحدثين من سماه بالاتقان او النظام^(٧)، او تحت اي مسمى آخر... نجد القرآن الكريم يستخدمه في صور تساؤل عقلي استتقاري يجعل صاحبه يسلم بوجود إله خالق منظم مبدع وراء هذه المخلوقات، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ {٣٥} أَمْ خَلَقُوا

(١) ظ: د. محمد كاظم حسين، حرية العقيدة والراي في الفكر الاسلامي، ص ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٣) ظ: الغزالي، المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١ م، ص ١٠٧. الشهرستاني، الملل والنحل، ٢ / ١٧٧. مرتضى العسكري، عقائد الاسلام من القرآن، منشورات كلية اصول الدين، ط ٥، ١٤٢٦هـ، ١ / ٣٨٠. هاشم معروف الحسني، صور مشرقة من وحي الاسلام، دار القلم، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٦.

(٤) ظ: علي الكوراني العاملي، ثمار الافكار، دار الهدى للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ، ص ٣٨٥، محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ١١/٣٢٣، تقرير بحث السيد السيستاني، للسيد منير، الرافد في علم الاصول، مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني، ١٤١٤هـ، ص ٢٧٠.

(٥) سورة الطور: الآية ٣٥.

(٦) ابن رشد (ت ٥٩٥هـ)، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ٢٠٠١ م، ص ١١٨.

(٧) ظ: صلاح الدين عبد المجيد، الله ﷻ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة، بغداد، ١٩٧٤، ص ٢١.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُؤْفَنُونَ {٣٦} أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصِيطِرُونَ ﴿١﴾.

فالأيات جاءت في صورة استفسارات متكررة لا تدع للانسان مجالاً للزيغ والنكران، بل تحصره ليذعن لخالقه فيؤمن به، (انّ هذه الآيات تسدّ جميع الطرق بوجه المخالفين فلا تدع لهم مهرباً في عبارات موجزة ومؤثرة جداً بحيث ينحني الانسان لها من دون اختياره اعظماً ويعترف ويقرّ بانسجامها وعظمتها، فاول ما تبدأ به هو موضوع الخلق فتقول: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) وهذه العبارة الموجزة والمقتضبة في الحقيقة هي اشارة الى (برهان العلية) المعروف الوارد في الفلسفة وعلم الكلام لاثبات وجود الله، وهو ان العالم الذي نعيش فيه مما لا شك - فيه - حادث (لانه في تغيير دائم، وكل ما هو متغيّر فهو معرض الحوادث، وكل ما هو في معرض الحوادث محال ان يكون قديماً وازلياً)^(٢).

والآن ينقدح هذا السؤال، وهو اذا كان العالم حادثاً فلا يخرج عن الحالات الخمس التالية:

- ١ (وجد من دون علّة.
- ٢ (هو نفسه علّة نفسه.
- ٣ (معلولات العالم علّة لوجوده.
- ٤ (ان هذا العالم معلول لعلّة اخرى وهي معلولة لعلّة اخرى الى ما لا نهاية.
- ٥ (ان هذا العالم مخلوق لواجب الوجود والذي يكون وجوده ذاتياً له.

وبطلان الاحتمالات الاربع المتقدمة واضح، لان وجود المعلول من دون علّة

(١) سورة الطور: الآيات ٣٥ - ٣٧.

(٢) ظ: د. نعمة محمد، محاضرات في الفلسفة الاسلامية، القيت على طلاب الماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠٠٧.

محال، والا فينبغي ان يكون كل شيء موجوداً في اي ظرف كان، والامر ليس كذلك. والاحتمال الثاني وهو ان يوجد الشيء من نفسه محال ايضاً، لأن مفهومه ان يكون موجوداً قبل وجوده، ويلزم منه اجتماع النقيضين.

وكذلك الاحتمال الثالث وهو ان مخلوقات الانسان خلقته، وهو واضح البطلان اذ يلزم منه الدور.

وكذلك الاحتمال الرابع وهو تسلسل العلل وترتّب العلل والمعلول الى ما لا نهاية ايضاً محال، لأن سلسلة المعلولات اللامحدودة مخلوقة، والمخلوق مخلوق ويحتاج الى خالق اوجده، تُرى هل تتحول الاصفار التي لا نهاية لها الى عدد؟! او ينفلق النور من ما لا نهاية الظلمة؟ وهل يولد الغنى من ما لا نهاية له في الفقر والفاقة؟

فبناءً على ذلك لا طريق الا القبول بالاحتمال الخامس، اي خالقية واجب الوجود. وحيث ان الركن الاصلي لهذا البرهان هو نفي الاحتمالين الاول والثاني فانّ القرآن اقتنع به فحسب.

والآن ندرك جيداً وجه الاستدلال في هذه العبارات الموجزة.

والآية التالية تثير سؤالاً آخر على الادعاء في المرحلة الادنى من المرحلة السابقة فتقول: (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ).

فاذا لم يوجدوا من دون علّة ولم يكونوا علّة انفسهم ايضاً، فهل هم واجبوا الوجود فخلقوا السماوات والارض؟ واذا لم يكونوا قد خلقوا الوجود، فهل اوكل الله اليهم امر خلق السماء والارض؟ فعلى هذا هم مخلوقون وبيدهم امر الخلق ايضاً.

من الواضح انهم لا يستطيعون ان يدّعوا هذا الادعاء الباطل، لذلك فانّ الآية

تختتم بالقول: (بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ)، اجل فهم يتذرعون بالحجج الواهية فراراً من الايمان^(١).

والقول المتقدم يحثنا الى التطرق الى فكرة السببية بحسب ما يقتضيه المقام :

* فكرة السببية في القرآن الكريم :

لقد قامت فكرة السببية على الضرورة في العلاقة بين السبب والنتيجة، وبالتالي كانت التعميمات الاستقرائية هي التي تعبّر عن معنى الضرورة ومن هنا كان القانون السببي عبارة عن علاقة من نوع (اذا كان.... فإن....) مع اضافة ان نفس العلاقة تسري في كل الاحوال، وبذا يكون معنى العلاقة السببية منحصراً في التعبير عن تكرار لا يقبل استثناء^(٢).

لان القوانين العلمية القائمة على الاستقراء قوانين عليّة قائمة على تلازم العلة والمعلول مع اطرادها.

ونود ان نبيّن بعض الاسباب التي ادت الى الاختلاف حول فكرة السببية وهي:

١) عدم الاعتراف بوجود إله، هذا الامر ادى بمقتضاه الى نفي القدرة الالهية والارادة الكونية الكامنة وراء هذا الكون، مما تسبب في الحكم على ان السببية لم تصلح في كل الاحوال.

ولكن لو ردت هذه السنن الكونية التي تخرج بعيداً عن متناول البشر الى الوجود إله لاستراحت القضية، فاذا آمن البشر بان هذه السنن الكونية هي آيات الهية يخرجها متى شاء لما وجدنا هذا الاضطراب في السببية.

(١) للتوسعة، ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٧ / ٤٠.

(٢) د. محمود عثمان، الفكر المادي الحديث وموقف الاسلام منه، الدار الاسلامية للطباعة والنشر، ط ١٩٨٤، ٢، ص ٤٩٨.

٢) عجز العلم عن معرفة المادة الاولى التي خلق منها الكون (باعتراف جميع علماء الكونيات في العصر الحديث حيث عجزوا جميعاً عن وصف الكون في لحظة الصفر (البداية) وبدأ وصفهم بعد مرور ١٠٠٠/١ من الثانية على الانفجار العظيم وافر الجميع بأن هذه الفترة لا تخضع لقوانين الفيزياء العادية ولا بدّ من الاعتراف بالخلق من العدم)^(١).

مما جعل العلم يعمل فقط على الاشعاعات التي تصدر من الكون كصدى الانفجار العظيم فبعضها معجز يخرج عن نطاق السبب والنتيجة والبعض الآخر يتعلق بالسبب والنتيجة، لان انغلاق بداية الكون امام العلم، دفع العلم الى هذا التخبط في السببية.

ولهذا سار العلم وسيظل هكذا في التخبط فمرة علّة واخرى علاقات وظيفية وتارة التسليم مع عدم الوصول الى الشيء ولن يحلّ هذه المشكلة الا الاعتراف بوجود الله تعالى.

اما الوصول الى معرفة الحقيقة النهائية، هذا ضرب من المستحيل، لان الحقائق لا تتكشف دفعة واحدة ونحن مازلنا وسنظل نلعب في الاصداف الموجودة على شواطئ الكون بينما محيط الكون مملوء بالجواهر ولذا قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(٢).

فما دام الانسان لم يشاهد الشيء فكيف يعرف مادته ثم يتحكم فيه بعد ذلك: (لذا فإنّ الشخص الذي ليس له اي دور في خلق العالم، وحتى في خلق من يقع على شاكلته، ومن هو من نوعه، ولا يعرف شيئاً من اسرار الخلق، كيف يكون مستحقاً

^(١) ستيفن واينبرج، الكون في الدقائق الثلاث الاولى، ترجمة: د. ممدوح الموصللي، دار الغد للنشر والاعلان، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٩٩.

^(٢) سورة الكهف: الآية ٥١.

للولائية، او العبادة، وايّ قدرة او دور يملك؟^(١).

٣ (خروج كثير من القوانين العلمية عن التحديد واليقين والواقع المحسوس كالذرة وقانون الجذب العام وغيرهما من النظريات التي اصبحت بعيداً عن متناول الحس، حيث اصبحت ميتافيزيقا علمية، هذه الميتافيزيقا هي الأخرى تحتاج الى قانون يفسرها، وبناءً على هذا لم يكن في امكان الباحث ان يكون العالم موضوعياً امامه، اصف الى هذا عدم حضور الماضي والحاضر ليكون لحظياً في الوقت الحاضر، لبحث عن العلل والاسباب والربط بينهما، وهذا ايضاً مستحيل، هذه الامور الثلاثة السابقة هي التي جعلت العلم يسير في هذا الطريق الذي نراه في الفيزياء المعاصرة كما في النسبية وفيزياء الكم وميكانيكا الامواج ومبدأ عدم التحديد لهيزنبرج.

* اقسام الموجودات بالنسبة للسببية :

تنقسم الموجودات الى نوعين :

١ (وجود الله تعالى فهو وجود بدون علة، بل هو علة نفسه وعلّة الوجود الحقيقي، ولم يكن في وجوده محتاج الى غيره، بل الغير محتاج اليه في وجوده.

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ {١} لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {٢} هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {٣} هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٤} لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

الأُمُورُ {٥} يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾^(١).

٢) وجود العالم بنوعيه عالم الغيب وعالم الشهادة، او كلّ ما عدا الله سبحانه وتعالى، فهو وجود معلول لعلّة ومحتاج الى غيره في وجوده.

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، (ف) الثناء الكامل والتبجيل والتعظيم لله جلّ وعلا، خالق السماوات والارض ومخترعها من غير مثال سابق ولا قانون نتيجة، وفي ذلك دلالة على كمال قدرته وشمول نعمته)^(٣)، و (ان خلق الموجودات يشبه شقّ ظلمة العدم وظهور نور الوجود، استخدم هذا التعبير - فاطر - فيما يخص الخلق، خصوصاً اذا لاحظنا ما يقوله العلم الحديث من نظريات تشير الى ان مجموعة عالم الوجود كانت في البدء كومة واحدة ثم انشقت تدريجياً عن بعضها.

واطلاق كلمة (فاطر) على الله ﷻ، يعطي للكلمة مفهوماً جديداً واكثر وضوحاً، نعم فنحن نحمد الله ونشكره على خالقيته، لانّ كلّ ما هو موجود منه تعالى وليس لاحد ممن سواه شيء من ذاته)^(٤)، اي الخالق ﷻ وهو علّة الوجود الكوني وعالم الغيب وعلّته فوق قدرة البشر وارادتهم وهذه العلة الكونية ليست في مقدور البشر هذان هما قسما الموجودات بالنسبة للعلّة.

وقد اتسع استخدام العلة والمعلول لان النظريات التي ليس للعلم الا نتائجها فقط فهي في حاجة الى علّة تفسرها، اذن ما زال العلم يبحث عن علل الاشياء في الكون

(١) سورة الحديد: الآيات ١-٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ١.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص ١١٥.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤ / ٩.

او ما يسميه بالعلاقات الوظيفية بين النظريات، اذن فلا بدّ من وجود الاسباب في الكون، ولكن هذه الاسباب هناك ما يؤيدها وما يعترض معها، ولكن اذا اردنا ان نفهم الاسباب على حقيقتها ويتبيّن لنا دورها ان نعمل لعزل الموانع والمعارضات ونجمع المؤيدات، وبذلك نحصل على المقصود من العلة: (لأنه ليس من الاسباب مستقلاً بمطلوب بل لا بدّ من انضمام اسباب اخرى اليه، ولا بدّ من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود، فكلّ سبب له شريك وله ضد فاذا لم يعاونه شريكه ولم ينصرف عنه ضده لم تحصل مشيئته، فالمطر وحده لا ينبت النبات الا بما ينضم اليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثمّ الزرع لا يتمّ حتى تصرف عنه الآفات المفسدة، بل لا بدّ ان يصرف عن الاسباب المتعاونة ما يعارضها ويمانعها فلا يتمّ المطلوب الا بوجود المقتضى وعدم المانع)^(١)، وهذه التنقية لاسباب يعطيها دورها الفعال، وعلى كلّ فان العلة والمعلول لا غنى عنهما، بل من متطلبات البحث العلمي للكشف عن العلاقات بين الاشياء، ليس معنى اننا من دعاة الحتمية العلمية بل نؤيده ونؤمن به بان هناك ثابتاً كونياً وحركة كونية، اما الثابت الكوني فانه يخضع لارادة الله عزّ وجلّ وليس لارادة البشر وهذا امر مسلمّ به^(٢).

اما الحركة الكونية فهي ايضاً تخضع لارادة الله تعالى ولكن البشر تدخل فيها حسب ما يسير عليه البحث العلمي وما تكون عليه القدرة العقلية وما تهيأ لهذه العقلية من ظروف في طرق استخدامها للعة وما يؤيدّ توسيع استخدام مفهومها من الماضي والحاضر.

وعوداً على ذي بدء - حول الاستدلال العلمي العقلي على وجود الله ﷻ فنلاحظ

(١) ابن العزّ الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٢، ١١٥/٢.

(٢) ظ: منتصر محمود مجاهد، اسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، ص ١٣٦.

ذلك ايضاً في السنة المطهرة فورد عن جبير بن مطعم قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون، ام خلقوا السماوات والارض بل لا يوقنون، ام عندهم خزائن ريك ام هم المصيطرون) كاد قلبي ان يطير، وذلك اول ما وقّر الايمان في قلبي، وفي رواية احمد: فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن^(١)).

فهذا دليل عقلي ووجداني يؤكد اثبات اهم قضية في عقيدة الاسلام وهي: وجود الله تعالى من خلال المنهج الاسلامي المرسوم له، وذلك بالنظر والتفكر في الكون الامر الذي جعل كثيراً من علماء الغرب في الحياة المعاصرة يقرون ويعترفون ان وراء هذا النظام المبدع إله مسير مبدّر يتصف بصفات العظمة والجلال، يقول سيميل هامان: (اينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم، رأيت الادلة على التصميم والابداع على القانون والنظام على وجود الخالق الاعلى... انني اعتقد بوجود الله، واعتقد انه هو القدير الذي خلق الكون وحفظه، وليس ذلك فحسب بل هو الذي رعى درة خلقه وهو الانسان)^(٢).

ويقول آخر: (... وعلى ذلك فأنه مما يتفق مع العقل والمنطق ان يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا الا من ابداع إله اعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه)^(٣).

انه الاستدلال العلمي العقلي الذي يثبت ويبرهن صدق العقيدة ويحميها من دعاوي الكفر والالحاد مثبتاً انه ليس امام الانسان من راحة الا ان يعيش في رحاب الايمان،

(١) احمد بن حنبل، مسند احمد، ٤ / ٨٣. البخاري، صحيح البخاري، ٦ / ١٧٤. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ١ / ٢٧٢.

(٢) الله يتجلى في عصر العلم، ص ١٤١.

(٣) م ن، ص ٩١.

كل ذلك بما لا ينكره الا مجنون خريف وفقد عقله فصار كالحيوان، كما سماهم الله بقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١).

يقول الدكتور السعدي: (ان وجود الخالق جلّ وعلا اصبح بديهياً لا يحتاج الى دليل او برهان ولا يطالب بالدليل على ذلك الا مكابر مريض القلب والعقل واذا اردت دليلاً فانظر الى هذا الوجود وما فيه من ابراج وارض وسماء وما يحتوي من نبات وجماد ومياه وكواكب وما فيه من معادن مختلفة الالوان، كل ذلك يدلّ على وجود خالقه وعظمته وكماله وانه سبحانه متصف بصفات الكمال التي نرى آثارها تظهر في مخلوقاته). (٢).

الامر الذي يجعلنا نؤكد على هذا الاسلوب في الاستدلال العلمي وندعو الدعاة الى عقيدة الاسلام ان يستخدموه في دعواتهم وحوارهم مع الآخرين، سيراً على منهج علمي صحيح، ودفاعاً عن الحق واستجابة لرب العرش كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

ونلاحظ (في عصرنا هذا يمكن ان تبين هذه الآيات للعلماء معنى اعمق وادق وهو ان يمضوا ويلاحظوا الموجودات الحية الاولى التي هي في اعماق البحار على شكل فسائل ونباتات وغيرها، وفي قلب الجبال، وبين طبقات الارض، ويطلعوا على جانب من اسرار بداية الحياة على وجه الارض، ويدركوا عظمة الله وقدرته، وليعلموا

(١) سورة الاعراف: الآية ١٧٩.

(٢) عبد العليم عبد الرحمن الاسدي، عقيدتك ايها المسلم، العراق، الرمادي، ص ٣٤.

(٣) سورة العنكبوت، ٢٠.

انه قادر على اعادة الحياة ايضاً (١).

والتأمل في هذه الآيات نرى كيف يبني الاسلام عقيدته وينشئها في قلوب العباد من خلال مخاطبتهم باحداث ومشاهدات بيئة يلمسها الانسان ويعيشها يوماً بعد يوم ليصل بهم الى حقيقة وجود الله تعالى وانه خالق كل شيء فيقول سبحانه: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ {٥٧} أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ {٥٨} أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ {٥٩} نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ {٦٠} عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، يقول سيد قطب: (وهنا في القرآن يتخذ من ابسط المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء اضخم عقيدة واوسع تصوّر كوني، المشاهدات التي تدخل في تجارب كل انسان، والزرع، والماء، والنار، والموت،.... ومن هذه المشاهدات البسيطة الساذجة هي بذاتها اضخم الحقائق الكونية واعظم الاسرار الربانية) (٣).

انه الاستدلال العلمي بخلق الله لنكون مؤمنين ايماناً لا يتزحزح، كالجبال الرواسي على وجه الارض منهج وطريقة العلماء، (وبلا شكّ فإنّ هذا الايمان الصحيح السليم هو الذي يكون نتيجة للبحث والدراسة وللبراهين العلمية القاطعة، وقد نبّه القرآن الى البحث والتفكير والاعتماد على العلم في عدد من آياته) (٤).

وقد اورد ابن منده في كتابه التوحيد يورد فصلاً كثيرة ضمنها عدداً كبيراً من الآيات والاحاديث النبوية واقوال العلماء للدلالة على وحدانية الله بدليل خلق السماوات والارض وما فيهما، وخلق الانسان وانتقاله من طور النطفة الى العلقة ثم الى المضغة

(١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢ / ٢٦٤.

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٥٧ - ٦١.

(٣) في ظلال القرآن، ٥ / ٣٤٦٦.

(٤) هاشم معروف الحسيني، صور مشرقة من وحي الاسلام، ص ١٣.

ثمّ الى العظام ثمّ انشأه خلقاً آخر^(١).

ويقول السيد هاشم معروف الحسني: (ان النظام والقانون وذلك الابداع الذي نلمسه في الكون حيث اتجهت ابصارنا وتوجهت بصائرنا وعقولنا يدلنا بشكل قاطع على ان وراء ذلك كله خالقاً قديراً ازلياً وعالمأً خبيراً لا نهاية لخبرته ولا حدود لعلمه وقدرته هو الذي خلق وقدّر ونظّم ندركه بآثاره وبمظاهر قدرته وابداعه وسلام الله على امير المؤمنين علي بن ابي طالب - القائل: ((ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه))^(٢)^(٣).

والآيات الاخرى التي نتناولها هنا تتحدث عن تقرير وحدانية الله تعالى، يقول سبحانه تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(٤)، ويقول في آية اخرى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٥)، ويقول سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٦).

وحاصل معنى هذه الآيات يرجع الى دليل التمانع كما قرر ذلك العلماء^(٧)، ولن

^(١) ظ: ابن منده (ت ٣٩٥هـ) ابو عبد الله محمد بن اسحاق، كتاب التوحيد، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ١٩٩٤، ١١/٢.

^(٢) وورد الحديث بصيغة (.. الله قبله)، المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، شرح اصول الكافي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ٨٣/٣.

^(٣) صور مشرقة من وحي الاسلام، ص ٢٢.

^(٤) سورة الاسراء: الآية ٤٢.

^(٥) سورة الانبياء: الآية ١١.

^(٦) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

^(٧) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١١٦/٤، الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢٧/٢٠. البضوي، تفسير البضوي، ٢٤١/٣.

نخوض في تفصيل ذلك ولكن نقول ان معنى التمانع هو: (انه لو فرض صانعان فصاعداً فازاد واحد تحريك جسم، والآخر اراد سكونه، فان لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين، والواجب لا يكون عاجزاً ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد... واما ان حصل مراد احدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكناً لانه لا يليق بصفة الواجب ان يكون مقهوراً، ولهذا قال تعالى: (وَلَعَلَّآ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ)^(١).

وبهذا يتقرر عدم امكان التعدد بل لا بدّ ان يكون الأمر والمهيمن واحداً لتستقيم الموجودات، وما عليه الكون وانتظام سائر مكُوناته لأكبر دليل على ذلك، كما يدلّ هذا على نفي الولد.

وعند الانتقال من الدليل العلمي العقلي في الآيات الى الدليل العلمي الحسي، نجد العالم (رسل ريكس) - عالم الرياضيات والفيزياء، وعضو الجمعية الرياضية الامريكية-، يقول:.... فدراسة الظواهر الكونية دراسة بعيدة التحيز وتتسم بالعدل والانصاف قد افنعتني بان لهذا الكون إلهاً وانه هو الذي يسيطر عليه ويوجهه، اي ان هنالك سيطرة مركزية هي سيطرة الله وقوته التي توجه هذا الكون.... وهناك ظواهر عديدة تدلّ على وحدة الغرض في هذا الكون وتشير الى ان نشأته والسيطرة عليه لا بدّ ان تتم على يدي إله واحد لا آلهة متعدد)^(٢).

ومما سبق يتبين لنا كيف جعل الله تعالى من خلق الكون وانتظامه دليلاً على وحدانيته الله تعالى في ذاته وصفاته وفعاله وتصرفاته فلا رب سواه ولا اله غيره يدرك ذلك كل من يعمل عقله في ملكوت ربه سبحانه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً الى ان يرث الله الارض ومن عليها الامر الذي يجب علينا من حيث كوننا مسلمين ان نستفيد منها

(١) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٣٤٠.

(٢) الله يتجلى في عصر العلم، ص ١١٠ - ١١١.

في حياتنا المعاصرة للدفاع عن العقيدة وحفظها وحمايتها ضد تيارات الغزو الفكري^(١). ومروجي الالحاد وبذلك تكون عقيدة الاسلام هي العقيدة الحقة الجديرة بالاعتناق دون غيرها لما ثبت لها من عوامل البقاء والصدق والصحة عقلاً وعلماً وهو ما تعهده الله بتحقيقه وما نراه اليوم في دنيا الناس ينطبق مع من قال انّ وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه^(٢).

و(ان فروع العلم بكاملها تثبت ان هناك نظاماً معجزاً يسود هذا الكون اساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا يزال العلماء يعملون جاهدين على كشفها والاحاطة بها، وقد بلغت الكشوف العلمية من الدقة قدراً تمكن العلماء بسببها من التنبؤ بالكسوف والخسوف وغيرها من الظواهر قبل وقوعها بعدد كبير من السنين، فمن الذي سبق هذه القوانين واودعها كلّ ذرة من هذا الوجود بل في كلّ ما هو دون الذرة عند نشأتها الاولى ومن الذي خلق كلّ هذا النظام والتوافق والانسجام ومن الذي صمم فابده وقدّر فاحسن التقدير هل ذلك من غير خالق ام هم الخالقون ام عن طريق المادة العمياء الصماء او الصدفة وغير ذلك من المصطلحات الفارغة الجوفاء التي لا يقرّها العلم ولا تقبلها العقول والافهام)^(٣).

وما ذكرناه يؤكد الدكتور محسن عبد الحميد بقوله: (نعم انّ الاسلام صاغ قاعدة ربانية توحيدية اكمل من اية قاعدة سابقة باقية، وقدم عقائده بوضوح كامل وبإدلة عقلية وعلمية فطرية مفهومة، ورسّخ منهجاً واضحاً في نقل الانسان من المحسوس الى المجرد، على عكس فكر اليونان، وبنى حضارة تعتمد على التجربة،

(١) ظ: للمؤلف، حرية العقيدة والراي في الفكر الاسلامي، ص ٢٤١.

(٢) ظ: كتاب: الله سبحانه وتعالى، ص ٢٣.

(٣) هاشم معروف الحسني، صورة مشرقة من وحي الاسلام، ص ٢٢.

ولا تؤمن بمجرد الوصف الظاهري.^(١) وضرب على ذلك مثلاً من القرآن الكريم يتدرج فيه من ملاحظة الظواهر المحسوسة الى عملية التفكير العقلي المجرد، حيث يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِبُ الرِّيَّاحُ وَالسَّحَابُ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

والخلاصة: ان القرآن الكريم جاء ليكون كتاب هداية للناس، به يبني الفرد الصالح، وعليه يشيد المجتمع الفاضل الذي يدين لربه ويحتكم لامره على هدى القرآن والسنة، كما قال سبحانه: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْسَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٤).

وعليه نلاحظ ان القرآن الكريم لم يكن كتاب طبّ او هندسة او كيمياء، او غيرها من علوم الطبيعة ولكنه مع ذلك لم يخل من الاشارة العلمية في مثل هذه العلوم، والتي جاءت بقصد مخاطبة كيان الانسان كله: عقله وروحه، كينونة واحدة ليعمل فكره ليستدل بالآيات المحسوسة المبنوثة في كيانه اولاً، والآفاق ثانياً، فيصل الى معرفة الله تعالى وقدرته النافذة ووحدانيته سبحانه، فيتوجه اليه بالعبادة وحده جلّ في علاه، وهو ما يهدف اليه الاسلام.

(١) المنهج الشمولي في فهم الاسلام، شركة الراشد للطباعة، بغداد، ط ١٩٩٤، ٢، ص ٨، رشيد رشدي العابري، آيات الخالق الكونية والنفسية، مطبعة النقيض الاهلية، بغداد، ط ٢، ١٩٥٣، ص ٧١ - ٧٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ٥٢.

(٤) سورة الاسراء: الآية ٩.

كما أنّ في ذلك تعزيزاً واثباتاً لجملة مفردات الاسلام: (اركان الايمان، وغيرها مما جاء في القرآن وسنة المعصوم).

وبهذا يتبيّن أنّ الاستدلال بالكون وما اظهره العلم الحديث من كشوفات علمية سبق ان اشار اليها القرآن والسنة لهو وجه من اوجه الاعجاز القرآني وهو الاعجاز العلمي، ينبغي الاخذ به في تعزيز الايمان، ومواجهة الكفر في حياتنا المعاصرة^(١).

والحق سيدي القارئ اننا اذا تأملنا مواقف من يدخل من العلماء الغربيين في الإسلام، نجد ان المنهج القرآني العلمي التجريبي في قراءة الكون هو سبب مهم في دخولهم فيه.



(١) ظ: جفري لانغ، حتى الملائكة تسأل.... رحلة الى الاسلام في امريكا، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠١م، ترجمة: د. منذر العبسي، ص ٣٣، عبد الغني حيدر فارغ، منهج حماية العقيدة الاسلامية، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ١٠٤.

الخاتمة

- القرآن الكريم معجز من جميع الوجوه.. ولا يقف إعجازه في اللغة والعلم فحسب بل تعدى إلى كثير من الصور التي تثبت على انه مُنزل من عند الله ﷻ.. فهو كما وصِفَ: (لا تتقضي عجائبه.. وهو تبيان لكل شيء..).
- إن دعوة القرآن الكريم إلى العلم لا تحتاج إلى تأمل بالغ أو تفكير مجهد فهي دعوة قوية الدلالة واضحة البيان لا تعادلها أي دعوة في أي فكر أو أي كتاب آخر هذه الدعوة تسير في إطار تربوي أخلاقي مرتبطة بالتوحيد، والنظر مع معرفة حقائق الأشياء المادية وبحثها - كالسما والارض - وما بهما وكل ما يدخل في نطاق العلوم الطبيعية التي تبحث عن السنن الكونية ومعرفة أسرارها والتي تكشفها الفطرة السليمة والعقول المتدبرة الواعية والمتأملة في هذا الكون.
- ارتباط القوانين الطبيعية والقوانين التشريعية وتكاملها؛ الأمر الذي يوجب الالتزام بالمنهج القرآني في حركة الحياة والكون والإنسان.
- بما إن القرآن الكريم - إعجازاً - قانوناً كونياً أبدياً، فليس فيه سلطة ثقافية لغير المعصوم، فكل جيل له تجلياته من هذا النص.
- تجلي الإعجاز العلمي - التفسير العلمي - يخضع إلى ضوابط ومنهج متعقل ووسطي وقانون محكم للتأويل.
- إن المنهج العلمي التجريبي الاستقرائي الذي تفخر به الحضارة الغربية ، وقامت نهضتها وتقدمها على أساسه ، إنما اقتبس من الحضارة الإسلامية ، كما أثبتنا ذلك في ثنايا البحث ، الأمر الذي شدد عليه الإسلام في مصدره القرآن والسنة ، كي تبني العقيدة على أسس سليمة.
- تبين من خلال البحث إن الله تعالى جعل من خلق الكون وانتظامه دليلاً على

وجوده ووحديته ﷻ في: ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، فلا رب سواه ، ولا اله غيره ، يدرك ذلك كل من يعمل عقله في ملكوت ربه سبحانه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، الأمر الذي يجب علينا من حيث كوننا مسلمين أن نستفيد منها في حياتنا المعاصرة للدفاع عن العقيدة وحفظها وحمايتها ضد تيارات الغزو الفكر ومروجي الإلحاد ، وبذلك تكون عقيدة الإسلام هي العقيدة الحقة الجديرة بالاعتناق دون غيرها لما ثبت لها من عوامل النقاء والصدق والصحة عقلاً وعلماً ، وهو ما تعهد الله بتحقيقه وما نراه اليوم في دنيا الناس ينطبق مع من قال: إن وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه.

- إن القرآن الكريم جاء ليكون كتاب هداية للناس ، به يبني الفرد الصالح ، وعليه يشيد المجتمع الفاضل الذي يدين لربه ويحتكم لأمره على هدى القرآن والسنة.
- يجب أن لا نأخذ بالنظريات وإنما نأخذ بالحقائق ، لان العلم يصدق ويكذب والقرآن لا يكذب.. وقد يفسر البعض النظريات على أساس من القرآن فيثبت خطأ النظرية فيُنقص جهله من شأن القرآن الكريم.
- المنهج القرآني في إثبات العقيدة الإسلامية سهل خالي من التعقيدات والتكلفات، تناسب جميع العقول مهما اختلفت مستويات التفكير.

والحمد لله الذي نسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان

المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم

- ١- د. إبراهيم الصياد، المدخل الإسلامية للطب، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧.
- ٢- د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٣ م.
- ٣- د. إبراهيم مصطفى وآخر، المعجم الوسيط، مطبعة مصر، ١٩٦١ م.
- ٤- د. احمد الكبيسي، الإعجاز القرآني في وصف اليهود (بحث) ضمن بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، بغداد، مطبعة الأمة، ١٩٩٠ م.
- ٥- د. احمد الوائلي، نحو تفسير علمي للقرآن، مطبعة الآداب في النجف الاشرف، من هدي النجف، ١٣٩١ هـ.
- ٦- احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند احمد، دار صادر، بيروت.
- ٧- د. احمد سليم سعيدان، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، عالم المعرفة، عدد ١٣١، المجلس الوطني، الكويت، ١٩٨٨.
- ٨- احمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، دار المعارف، ١٩٨٤.
- ٩- آدم متز، الحضارة الإسلامية، ترجمة: محمد أبو ريده، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٩٦٧.
- ١٠- إسماعيل رديف يوسف العبيدي، العقيدة الإسلامية بين القرآن الكريم والمنهج العلمي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٩٩٨.
- ١١- إسماعيل محمد قرني، الكون في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٩٩٣.
- ١٢- آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)، الذريعة، دار الأضواء، بيروت.
- ١٣- آلان سمين مجيد، العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٢ م.
- ١٤- المجلسي محمد باقر (ت ١١١١ هـ)، بحار الأنوار، بيروت.
- ١٥- الألوسي، تفسير روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ١٦- الأمدى عبد الواحد بن محمد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مركز الأبحاث والدراسات القرآنية، ط١٤٢٠هـ، ٢هـ.
- ١٧- أمين الخولى، دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير، أوفسيت، (ت ١٩٣٣ م).
- ١٨- _____، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ١٩٦١م، القاهرة.
- ١٩- أنور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٢٠- الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) أبى بكر بن محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، علق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح الدين بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.
- ٢١- بشرى غازى القيسى، ألفاظ الطبيعة الحية في القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٩.
- ٢٢- البيضاوى (ت ٧٩١ هـ): تفسير البيضاوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- ٢٣- تقرير بحث السيد السيستاني رحمته الله، للسيد منير، الرافد في علم الأصول، مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني رحمته الله، ١٤١٤هـ.
- ٢٤- د. توفيق يوسف الواعى، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٨٨.
- ٢٥- ابن تيمية، منهاج السنة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٢.
- ٢٦- جابر عصفور، تعارضات الحداثة، مجلة فصول، مجلد ١، عدد ١، ١٩٨٠م.
- ٢٧- الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، كتاب التعريفات: دار احياء التراث العربى، بيروت، ٢٠٠٣ م.
- ٢٨- الجرجاني عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ)، دلائل الإعجاز، تصحيح: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨.
- ٢٩- جفري لانغ، حتى الملائكة تسأل.... رحلة إلى الإسلام في أمريكا، ترجمة: د. منذر العيسى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠١ م.
- ٣٠- جمال الدين الأنصارى، شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه،

- مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٣، ١٩٨٤.
- ٣١- د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨.
- ٣٢- جوارافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة: د. خلف محمد الجراد، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.
- ٣٣- جون فليفر، بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ترجمة: محمد الشحات، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.
- ٣٤- جيرالد هوكنز، بدائع السماء رحلة مع العلم في رحاب الكون، ترجمة: عبد الرحيم بدر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧.
- ٣٥- حامد صادق قينبي، المشاهد في القرآن الكريم، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٤.
- ٣٦- حنفي احمد: التفسير العلمي للآيات الكونية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠.
- ٣٧- حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، مطبعة السعادة، ١٣٥٨هـ.
- ٣٨- حيدر اليعقوبي، رسائل ومسائل، النجف الاشرف، (د ت).
- ٣٩- حيدر حسين الكاظمي، موسوعة أهل البيت ﷺ الكونية - الظواهر الطبيعية-، دار سحر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٤٠- بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨.
- ٤١- خير شواهين، علوم الكون والفضاء، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ٢٠٠٧.
- ٤٢- دافيد براجاميني، الكون، ترجمة: دار الترجمة والنشر، بيروت، ١٩٧١م.
- ٤٣- د. داوود العطار، موجز علوم القرآن، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٩٥.
- ٤٤- الرازي (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣.
- ٤٥- الراغب الأصفهاني، مقدمة التفسير، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ.
- ٤٦- ابن رشد (ت ٥٩٥هـ)، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢٠٠١، ٢٠٠١م.

- ٤٧- الراغب الأصفهاني (ت حدود ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢.
- ٤٨- رشيد رشدي العابري، آيات الخالق الكونية والنفسية، مطبعة النقيض الأهلية، بغداد، ط ٢، ١٩٥٣.
- ٤٩- رياض الحكيم، علوم القرآن دروس منهجية، دار الهلال، ط ٣، ٢٠٠٦ م
- ٥٠- الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٦
- ٥١- زغول النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- ٥٢- د. زغول راغب النجار، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، مركز البحوث والمعلومات، قطر، ١٩٨٨.
- ٥٣- د. زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٨٠
- ٥٤- _____، جابر بن حيان، مكتبة مصر، (د ت).
- ٥٥- الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، أساس البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.
- ٥٦- _____، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١.
- ٥٧- سالم شبيب بدوي، البحث القرآني عند السيد محمد الصدر رحمته، مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر رحمته، ١٤٣٠ هـ.
- ٥٨- السيزواري هادي، شرح المنظومة - قسم الفلسفة -، منشورات قم، ط ٦، ١٣٦٩ هـ ش.
- ٥٩- ستيفن واينبرج، الكون في الدقائق الثلاث الأولى، ترجمة: د. ممدوح الموصللي، دار الغد للنشر والإعلان، القاهرة، ١٩٨٥.
- ٦٠- سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النفسية، ١٣٢٦ هـ، مصر، مطبعة كرستال.
- ٦١- سعد المرصفي، المعجم المفهرس لألفاظ صحيح مسلم، شركة ذات السلاسل للطباعة، الكويت، ١٩٨٨.
- ٦٢- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط ٢، ١٩٨٦.

- ٦٣- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ١٩٨٧، ط ١٣.
- ٦٤- السيوطي (ت ١١١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦
- ٦٥- _____، الاقتراح في علم أصول النحو، جمعية دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩ هـ
- ٦٦- _____، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت.
- ٦٧- الشافعي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠ هـ
- ٦٨- د. شاکر عبد الجبار، المنهج العلمي للاعتقاد، بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨٥
- ٦٩- د. شبر الفقيه، نهاية الكون في الفكر القرآني الفلسفي، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٩ م
- ٧٠- ابن شعبة الحراني (توفي القرن الرابع الهجري)، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تعليق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ .
- ٧١- الشيرازي(ت ١٠٥٠هـ) محمد بن ابراهيم صدر الدين ، تفسير القرآن الكريم، منشورات بيدار، قم، ط ٣، ١٣٦٦هـ ش.
- ٧٢- د. صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط ٢، ٢٠٠٤.
- ٧٣- _____، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، ط ٣، ١٩٩٣.
- ٧٤- صلاح الدين عبد المجيد، الله ﷻ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة، بغداد، ١٩٧٤
- ٧٥- صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار الثقافة والنشر، ١٩٨٠
- ٧٦- طاش كبرى زاده احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، تحقيق: كامل بكري وآخر، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨.
- ٧٧- طالب ناهي الخفاجي، نظرتنا المعاصرة الى الكون، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١
- ٧٨- الطباطبائي محمد حسين (ت ١٤١٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين، قم.
- ٧٩- الطبري، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٤

- ٨٠- الطريحي فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: السيد احمد الحسيني، المكتبة المرصوية لإحياء التراث، ١٣٧٥ هـ
- ٨١- الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تفسير التبيان، تحقيق: احمد حبيب أعلامي، مكتبة الأمين، النجف الاشرف، ١٩٦٣
- ٨٢- الطيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دار الينايع للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٧
- ٨٣- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف بمصر، ١٩٧١
- ٨٤- عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية، نهضة مصر للطبع والنشر، (د ت)
- ٨٥- د. عبد الأمير زاهد، مقدمات منهجية في تفسير النص القرآني، مطبعة الضياء للطباعة، النجف الاشرف، ٢٠٠٨
- ٨٦- _____ ، الاتجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم قراءة في المنهج، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العدد ٩، السنة ٥، ٢٠٠٠ م.
- ٨٧- د. عبد الجبار النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، من مقدمة طه العلواني، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، أمريكا، ١٩٩٢.
- ٨٨- عبد الحليم محمود، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٩
- ٨٩- د. عبد الحميد هندأوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر، القاهرة
- ٩٠- عبد الحي مجازي، المدخل لدراسة العلوم القانونية، القانون، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢
- ٩١- د. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، ١٩٦٣
- ٩٢- د. عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار العلم، بيروت، ط ٢.
- ٩٣- د. عبد الرزاق نوفل، الإعجاز العددي للقرآن الكريم، دار الفكر، بيروت.
- ٩٤- عبد الرسول مهدي عبدة، قضية الخلق بين الماديين والمثاليين، ١٩٧٩

- ٩٥- عبد السادة الحداد، مقالات الشهيد الصدر (تتمة) في الصحافة النجفية، دار المجتبي، ٢٠٠٦.
- ٩٦- عبد العظيم الاسدي، حديث الروح مع الشهيد الصدر (تتمة)، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، (دت)
- ٩٧- عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، دار إحياء الكتب العربية، عيسى ألبابي الحلبي، ط ٣، (دت).
- ٩٨- عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبيعيات والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار السعودية للنشر، ١٩٨٦
- ٩٩- د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن، دار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤
- ١٠٠- د. عبد الغفار عبد الرحيم، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، دار الأنصار، القاهرة
- ١٠١- د. عبد الفتاح لاشين، دلالة ألفاظ القرآن الكريم عند ابن القيم، مجلة الدارة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، العدد ٤، السنة ٨، ابريل ١٩٨٣
- ١٠٢- عبد القادر عودة، الموسوعة العصرية في الفقه الجنائي الإسلامي، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٢
- ١٠٣- عبد الكريم آل شمس الدين، العقل الإسلامي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٤م
- ١٠٤- د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ٢٠٠٢م
- ١٠٥- عبد اللطيف الراضي، المنهج الحركي في القرآن الكريم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٩٩١.
- ١٠٦- عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ١٠٧- عبد المجيد الزنداني، توحيد الخالق، منشورات مكتبة المثني، بغداد.
- ١٠٨- د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.

- ١٠٩- عبد المجيد محمود مطلوب، مباحث في علوم القرآن والحديث، مؤسسة المختار
لنشر، القاهرة، ٢٠٠٤
- ١١٠- د. عدنان الشريف، من علم الفلك القرآني - الثوابت العلمية في القرآن الكريم -،
دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١
- ١١١- العزّ الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة،
مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٢
- ١١٢- عطية الغرناطي (ت ٩٧٢هـ)، مقدمتان في علوم القرآن، مطبعة السنة
المحمدية، القاهرة، ١٩٥٤
- ١١٣- علاء الحسون، تنمية الوعي، دار الغدير، قم، ٢٠٠٣ م
- ١١٤- علي الأمير، الكون العميق، بغداد، ١٩٨٦
- ١١٥- علي الكوراني العالمي، ثمار الأفكار، دار الهدى للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ
- ١١٦- علي بن محمد ناصر الفقيهي، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، رسالة
ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ١٣٩٥
- ١١٧- عليّة عزت عباد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار المريخ للنشر،
الرياض، ١٩٨٤
- ١١٨- د. عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، دار النفائس للنشر، الكويت
- ١١٩- عيسى باطاهر، قضية إعجاز القرآن عند مالك بن نبي، مجلة عالم الفكر،
الكويت، العدد ٢، المجلد ٢٠٠٢، ٣١ م
- ١٢٠- الغزالي، المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى، مركز دراسات الوحدة
العربية، بيروت، ط ٢٠٠١، ٢
- ١٢١- الغزالي أبو حامد (٥٠٥هـ)، جواهر القرآن، منشورات دار الآفاق الجديدة،
بيروت، ط ٣، ١٩٧٨
- ١٢٢- _____، إحياء علوم الدين، دار المعرفة للنشر، بيروت.
- ١٢٣- الغني حيدر فارغ، منهج حماية العقيدة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم
الإسلامية، جامعة بغداد، ٢٠٠٣ م

- ١٢٤- فؤاد أبو حطب وآخر، التفكير دراسات نفسية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢
- ١٢٥- فاضل السامرائي، التعبير القرآني، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٧
- ١٢٦- فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن، ط ٤، ٢٠٠٣.
- ١٢٧- فوقية حسين محمود، مقالات في أصالة المفكر المسلم، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٨٨
- ١٢٨- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت
- ١٢٩- الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير: مكتبة الإيمان، مصر، ٢٠٠٨ م
- ١٣٠- أبو القاسم الموسوي الخوئي، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٨.
- ١٣١- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، دار الكتاب، ١٩٦٠.
- ١٣٢- القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار البيان الحديثة، ١٤٢٥ هـ.
- ١٣٣- القمي علي بن إبراهيم، تفسير القمي (البرهان)، منشورات مكتبة الهدى، ١٣٨٧ هـ
- ١٣٤- قيصر كاظم عاجل، البحث القرآني عند الدكتور محمد حسين الصغير، مطبعة دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف الاشرف، ٢٠٠٨ م.
- ١٣٥- ابن القيم، مفتاح دار السعادة، صححه وعلق عليه. محمود حسن ربيع، مصر، ط ٣، ١٩٧٩
- ١٣٦- —، بدائع الفوائد، إدارة المطابع المنيرية، مصر.
- ١٣٧- د. كاصد الزبيدي، الطبيعة في القرآن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠.
- ١٣٨- ابن كثير (ت ٧٤٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢
- ١٣٩- كرسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار القلم، بيروت

- ١٤٠- كريم المنفي: إبداع المرجع، الناشر سبط النبي، ط ٢، ٢٠٠٥
- ١٤١- الكليني(ت ٣٢٩ هـ) محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، طهران، ١٣٦٥ هـ ش.
- ١٤٢- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨
- ١٤٣- مجدي كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩
- ١٤٤- د. محسن عبد الحميد، العقائد الإسلامية في ضوء العلم والعقل والوحي، بغداد، ٢٠٠٢
- ١٤٥- —، المنهج الشمولي في فهم الإسلام، شركة الراشد للطباعة، بغداد، ط ٢، ١٩٩٤
- ١٤٦- —، علوم القرآن والتفسير (منهج الدراسي)، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١.
- ١٤٧- محمد احمد درينقة، القرآن والعلم، دار الأرقم للطباعة والنشر، ٢٠٠٣
- ١٤٨- محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن والإعجاز العلمي، دار الفكر
- ١٤٩- محمد الانور السنهوتي: مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الإحساء، العدد ٣، السنة ١٤٠٤، ٣ هـ
- ١٥٠- محمد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، مكتبة الزهراء، ١٩٩٠
- ١٥١- محمد الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي
- ١٥٢- نديم الجسر، قصة الإيمان بين العلم والفلسفة والقرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٦٩ م
- ١٥٣- محمد الصدر، موسوعة الإمام المهدي ﷺ، مؤسسة المجتبي لمطبوعات، ط ٤، ٢٠٠٦

- ١٥٤- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، إصدارات بيت القرآن، الكتاب الخامس،
البحرين، ١٩٩٣
- ١٥٥- محمد أمين زين الدين، الإسلام ينبع منه غاياته، مطبعة الآداب النجف
الإشراف، ط ٢، ١٩٧٨
- ١٥٦- محمد باقر الحكيم تق علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، ط ٧، ١٤٢٦ هـ
- ١٥٧- محمد باقر الصدر تق، المدرسة القرآنية، تحقيق: لجنة المؤتمر العالمي للإمام
الصدر تق، مطبعة شريعتي، قم، ط ١٤٢٤، ٣ هـ.
- ١٥٨- محمد بن صامل السلمي، منهج كتاب التاريخ الإسلامي وتدريسه، دار الوفاء
للطباعة والنشر، المنصورة، ١٩٨٨
- ١٥٩- محمد جمال الدين الفندي، الله والكون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،
١٩٧٦
- ١٦٠- محمد جواد مغنية، التفسير المبين، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط ٢،
٢٠٠٤
- ١٦١- محمد حسن الحمصي، الإيمان بالله، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر
- ١٦٢- د. محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي،
بيروت، ١٤٢٠ هـ
- ١٦٣- ———، دراسات قرآنية، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم دراسة مقارنة،
مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، ١٤١٣ هـ.
- ١٦٤- ———، نظرات معاصرة في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت،
١٤٢٠ هـ
- ١٦٥- محمد رشدي عبد العقراوي، رؤية علمية للإيمان، المنشورات مكتبة ٣٠ تموز،
ط ٢، بغداد، ١٩٨٤
- ١٦٦- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٩، ١٩٧٩ م
- ١٦٧- د. محمد سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢ هـ
- ١٦٨- ———، فقه السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١٠، ١٩٩١ م

- ١٦٩- —، منهج الحضارة الإسلامية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢
- ١٧٠- —، كبرى التعيينات الكونية، دار الفكر، بيروت، ط ٥، ١٣٤٧ هـ
- ١٧١- محمد عبد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المنار، ١٣٧٣ هـ
- ١٧٢- محمّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث
الكتب العربية، القاهرة
- ١٧٣- د. محمّد كاظم حسين، مفهوم الحرية في الفكر الغربي، بحث غير منشور،
٢٠٠٨ م
- ١٧٤- —، حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية الفقه،
جامعة الكوفة، ٢٠٠٨
- ١٧٥- —، مفهوم الحرية في الفكر الغربي، بحث غير منشور، ٢٠٠٧ م
- ١٧٦- محمّد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، الدار العربية، بغداد
- ١٧٧- د. محمّد محمّد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، بيروت، مؤسسة الرسالة،
١٩٨١ م
- ١٧٨- محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية
للعلوم الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٥ هـ.
- ١٧٩- محمود ابو الفيض المنوفي، الوجود، مطبعة الحجازي، القاهرة، ١٩٤٧
- ١٨٠- د. محمود البستاني، الإسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت،
١٩٩٤
- ١٨١- محمود الملكي الأصفهاني، مختصر التمهيد في علوم القرآن، منشورات دار
الزهراء، مطبعة قدس، قم، ١٣٧٦ هـ
- ١٨٢- د. محمود عثمان، الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، الدار الإسلامية
للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٨٤ هـ.
- ١٨٣- مرتضى العسكري، عقائد الإسلام من القرآن، منشورات كلية اصول الدين، ط ٥،
١٤٢٦ هـ
- ١٨٤- د. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي:

- ط ٩، ١٩٧٣
- ١٨٥- _____ ، تأريخ آداب العرب، ضبطها: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٣
- ١٨٦- د. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم، ١٩٩٦.
- ١٨٧- من العلماء الأمريكيين، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدوداش عبد المجيد سرحان، دار التربية للنشر
- ١٨٨- منتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦
- ١٨٩- منده (ت ٣٩٥ هـ) أبو عبد الله محمد بن إسحاق، كتاب التوحيد، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ط ١٩٩٤، ٢
- ١٩٠- بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت
- ١٩١- د. منير شفيق، الإسلام في معركة الحضارة، بيروت، دار الكلمة للنشر، ط ٢، ١٩٨٣ م
- ١٩٢- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢٠٠٥، ٢
- ١٩٣- نبيل محمّد السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، جدة، دار الشروق، ١٩٨٠
- ١٩٤- نجيب محمود زبيب، الكون العظيم، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥
- ١٩٥- د. نعمة محمّد، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ألقيت على طلبة الماجستير، كلية الفقه، جامعة الكوفة، ٢٠٠٧
- ١٩٦- نو فيكون، الثقوب السوداء في الكون، ترجمة: د. إحسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين، سوريا، ٢٠٠٧ م
- ١٩٧- هاشاوي كلودم، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: د. الدمرداش وآخر، ط ٢، ١٩٦٨
- ١٩٨- هاشم معروف الحسني، صور مشرقة من وحي الاسلام، دار القلم، بيروت،

١٩٨٣

١٩٩- د. واضح الصمد، الحضارة العربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام،

المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان

٢٠٠- والد ماركمفرت، فتوحات علمية، ترجمة: يوسف الحاروني، مراجعة: عبد الفتاح

إسماعيل، مؤسسة سجل العرب، ١٦٦٤.

٢٠١- وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، ترجمة: محسن عثمان

الندوي، دار الصحوة، ١٩٨٤

٢٠٢- د. ياسين خليل، العلوم الطبيعية عند العرب، بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٠م

٢٠٣- يحيى ابن سلام، التصاريف، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٩

٢٠٤- يوسف الحاج احمد، موسوعة الإعجاز العلمي، دار ابن حجر، دمشق، ٢٠٠٧م

٢٠٥- د. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصر، دار المعارف، ١٩٧٩م.

٢٠٦- www bad com



المؤلف في سطور

الاسم: محمد كاظم حسين الفتلاوي.

* حاصل على اللقب العلمي: (أستاذ) Professor

في ١٧/١٢/٢٠٢٠م.

* أستاذ في التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة.

شغل مهام:

* رئيس قسم علوم القرآن الكريم / كلية الفقه الجامعة (إعارة).

* مسؤول وحدة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية.

* أمين مجلس كلية التربية.

الشهادات الأكاديمية:

١. خريج قسم التربية الإسلامية في معهد اعداد المعلمين / الديوانية ١٩٩٧م.

(العشرة الأوائل).

٢. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الإسلامية/ جامعة

بغداد / كلية التربية (ابن رشد)/ ٢٠٠١م.

٣. حاصل على شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / كلية الفقه / جامعة الكوفة عن رسالته الموسومة بـ(حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي) وبتقدير (أمتياز). ٢٠٠٨م.

٤. حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه / جامعة الكوفة/ عن أطروحته الموسومة بـ(المنظور القرآني في بناء الإنسان - دراسة تفسيرية -) وحاصلة على تقدير (أمتياز). ٢٠١٣م.

* محاضر لمادة (الميراث) في كلية القانون / جامعة القادسية لستين: ٢٠٠٧ - ٢٠٠٩م.

* محاضر لمادة: (العقائد، الفكر الإسلامي، مناهج المفسرين، مدارس فقهية، حقوق الإنسان) في كلية الدراسات الإنسانية الجامعة (الكفيل) / النجف الأشرف/ لأربع سنوات: ٢٠٠٨ - ٢٠١٢م.

* شارك في مؤتمرات علمية عديدة.

* نشر بحوث علمية في مجلات علمية محكمة.

* نشر مقالات ثقافية في مجلات معنية.

* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.

* عضو المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة - جمعية علمية - النجف الأشرف.

* عضو نقابة المعلمين / فرع النجف الأشرف.

* عضو جمعية أبي طالب الخيرية / قضاء الشامية/ المسؤول الثقافي.

* عضو المركز الإعلامي العراقي المقر العام/ الديوانية.

* عضو في لجنة:

- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية.
- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة الداخلية.
- عضو لجنة تأليف المناهج الإسلامية في ديوان الوقف الشيعي.
- عضو لجنة الارشاد التربوي المركزية في ديوان جامعة الكوفة. ٢٠٢٢م

للتواصل مع المؤلف:

mohamadm323@gmail.com

mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

<http://staff.uokufa.edu.iq/profile.html?mohammedk.alfatlawy>

كتب صدرت للمؤلف

- ١- كتاب: الإدارة المدرسية في الفكر التربوي الإسلامي، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣١) لسنة ٢٠١٠م.
- ٢- كتاب: الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني - دراسة قرآنية -، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٣٤) لسنة ٢٠١٤م.
- ٣- كتاب: الإعجاز في القرآن الكريم - دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية - رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥م.
- ٤- كتاب: الفرق الإسلامية الكبرى - الإمامية، المعتزل، الاشاعرة - دراسة مدخلية مقارنة في النشأة والأصول. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٦) لسنة ٢٠١٦م.
- ٥- (كتيب): اخلاقيات مهنة الشرطة في الفكر الإسلامي. نشر كلية التربية / جامعة الكوفة ٢٠١٦م. رقم الإيداع: ٧٨٠ لسنة ٢٠١٦م.
- ٦- كتاب: مناهج المفسرين - دراسة في النظرية والتطبيق -، نشر دار حدود النجف الاشرف ٢٠١٧م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م. طبعة ثانية: ٢٠٢٠م
- ٧- كتاب: المجتمع الإسلامي المعاصر - دراسة في ضوء الكتاب والسنة -، دار حدود للنشر، بيروت، ٢٠١٨م الطبعة الثانية: ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م.

٨- كتاب: أصول التفسير -دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد-، دار حدود للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م. ورقم الإيداع في دار الكتب ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٩م.

٩- كتاب: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي، تقديم: أ.د. بشرى اسماعيل أنروط (مصر/ جامعة الزقازيق). الناشر: دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٣) لسنة ٢٠٢٠م.

١٠- (كتيب): ميثاق أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤) لسنة ٢٠٢٠م.

١١- كتاب: التفسير التربوي للقرآن الكريم -أضواء تربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات-، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٥١) لسنة ٢٠٢١م.

١٢- كتاب: أساليب القرآن الكريم - دراسة في النظرية والتطبيق -، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٢م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م.

١٣- كتاب: علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن)، نشر: مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٣م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م.